

كيف تُقبِل القلوب

ولماذا تُدبِر؟

تأليف

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

تقديم

معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية

كيف تُقبِل القلوب، ولماذا تُدبِر؟

تأليف

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

تقديم

معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الإلكترونية
الطبعة الأُولىٰ: ١٤٣٨هـ
العدد: ١٠٠٠ نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المعهد:

لقد حثَّت النصوص من القرآن الكريم والروايات الشريفة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام علىٰ طلب العلم وتحصيله، ومن جملة تلك النصوص قوله تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العلق: ١ - ٥).

وهذه السورة علىٰ قول أكثر المفسِّرين أوَّل ما نزل علىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله، وتدلُّ بوضوح علىٰ أنَّ أفضل النعم التي منحها الله للإنسان هي نعمة العلم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ ۝٩﴾ (الزمر: ٩).

وفي هذه الآية استفهام استنكاري، استنكاراً للمساواة بين العالم وغير العالم.

وروي في كتاب المحاسن عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أُغْدُ عالماً أو متعلِّماً، وإيّاك أن تكون لاهياً متلذِّذاً»[1].

(١) المحاسن للبرقي ١: ٢٢٧/ ح ١٥٤.

وفي حديث آخر: «وإياك أن تكون من الثلاثة متلذِّذاً»[(١)].

وفي أمالي الصدوق عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: «تعلَّموا العلم، فإنَّ تعلّمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وهو عند الله لأهله قربة، لأنَّه معالم الحلال والحرام، وسالك بطالبه سبيل الجنَّة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح علىٰ الأعداء، وزين الأخلّاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمَّة يُقتدىٰ بهم، تُرمَق أعمالهم، وتُقتَبس آثارهم، وترغب الملائكة في خلَّتهم، يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأنَّ العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمىٰ، وقوَّة الأبدان من الضعف، يُنزل الله حامله منازل الأبرار، ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة، بالعلم يُطاع الله ويُعبَد، وبالعلم يُعرَف الله ويُوحَّد، وبالعلم تُوصَل الأرحام، وبه يُعرَف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل، والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء، ويُحرمه الأشقياء»[(٢)].

وكلّنا يعرف صعوبة طلب العلم بكلِّ أصنافه في الأزمنة الماضية وما يتطلَّبه من جهد ومال وتعب، لكن بالعلم ذاته أصبح طلب العلم متيسِّراً لكلِّ إنسان وإن كان حبيساً في بيته، لأيِّ علَّة أو سبب.

إنَّ معهد تراث الأنبياء في النجف الأشرف هو من المشاريع الرائدة في هذا المجال، والتي صيَّرت الدراسة الحوزوية التمهيدية في متناول أيدي جميع الناس بمختلف شرائحهم، لكي يرتقوا بعد ذلك في سُلَّم العلم، وليأخذوا حظّاً وافراً من العلوم التي تُصيِّرهم بعد ذلك أهلاً للانخراط في الحوزات العلمية، أو أن يبقوا في مجتمعاتهم كشريحة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أمالي الصدوق: ٧١٣/ ح (٩٨٢/ ١).

مثقَّفة متديِّنة متفقِّهة، تعرف أُصول دينها وفروعه، كي يُورِّثوها لأجيالهم جيلاً بعد جيل، وليحسنوا تربيتهم وتقويمهم.

ومن الجدير بالذكر أنَّ المعهد أُنشئ قبل عدَّة أشهر فقط، وقد تجاوز عدد الطلبة المسجّلين فيه (٨٥٠) طالباً من مختلف دول العالم من الصين وأمريكا وأُوروبا وبلاد المغرب العربي وغيرها.

فالمعهد أُوجِد من أجل تسهيل مهمَّة طلب العلم، لمن لا يستطيع الوصول إلىٰ منهله ومرتعه: النجف الأشرف، ولا يعني هذا الاستغناء به تماماً، بل المعهد وما يبثّه من دروس ومحاضرات إنَّما يُمثِّل الخطوة الأُولىٰ في مجال طلب العلم، وعلىٰ من أراد الاستمرار أن يسعىٰ لأكثر من هذا.

إنَّ من أولويات المعهد - بالإضافة إلىٰ الدراسات الحوزوية الإلكترونية - هو نشر وطباعة البحوث والمؤلَّفات العلمية لطلبة وأساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، لما في ذلك من خدمة عظيمة نُقدِّمها لطالبي المعرفة في كلِّ مكان.

ومن هذا المنطلق يسرّنا أن نُقدِّم لكم باكورة أعمالنا، وهو كتاب (كيف تُقبِل القلوب ولماذا تُدبِر؟)، من تأليف سماحة الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي، فإنَّه وبعد أن تمَّ تسجيل هذا الكتاب في ثلاثين حلقة صوتية، وتمَّ بثّها في القنوات المختلفة للمعهد، رأينا من المناسب أن يُنشَر الكتاب ورقياً، مرفقاً معه قرصٌ مدمج بالحلقات الصوتية، ليتسنّىٰ لمن يُحِبُّ القراءة أو الاستماع ما يُحِبُّ.

راجين من المولىٰ عزَّ اسمه القبول، والأخذ بعين الرضا.

معهد تراث الأنبياء

للدراسات الحوزوية الإلكترونية

الإهداء

إلىٰ من أقبلت القلوب – قلوب المحبّين – إليها..

إلىٰ من فُطِمَت وفَطَمت شيعتها من النار..

إلىٰ من فُطِمَ مبغضوها من حبِّها، فأدبرت قلوبهم عنها..

إلىٰ المظلومة المهتضمة..

مكسورة الضلع..

محنيَّة الظهر..

مولاتي الزهراء..

اقبلي عمل عبدكِ الرقّ..

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلّف:

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

كثيرةٌ هي الآلات التي أودعها الله تعالىٰ لدىٰ الإنسان، وكثيرةٌ هي أدوارها في الحياة، وهي علىٰ كثرتها وتنوّعها لا تخلو من حالات متضادَّة تمرُّ عليها، بحسب اختلاف الظروف الموضوعية والملابسات الآنية، فقد تقوىٰ وقد تضعف، وقد تصحو وقد تمرض، وقد تلين وقد تقسو.

فظهرك المستقيم، مهما استقام، فإنَّ القوس آتيك بلا ثمن.

ونظرك الذي يُقرِّب لك البعيد، لن يُمهِلك كثيراً حتَّىٰ يُخفي عليك الواضحات.

وسمعك الذي يُميِّز لك صوتاً من بين ألف صوت، لن تطول أيّامه حتَّىٰ يُشوِّش عليك أوضح الأصوات.

فأعضاؤك تبدأ من الضعف، وتقوىٰ، ثمّ تقوىٰ، إلىٰ أن تصل إلىٰ أوج قوَّتها، ثمّ تبدأ تهدم نفسها!

والمفارقة هنا، هي أنَّه يمكن للإنسان أن يتنبَّأ - ولو في الجملة - بقوَّة تلك الأعضاء وزمن ضعفها، وقد يستطيع أن يُرجِعَ لها قوَّتها بعد ضعفها بعلاج ونحوه.

ولكن هناك عضواً لدى الإنسان، ما كان له أن يستقرَّ علىٰ حالٍ واحدة، فالتغيّر سمته الثابتة، والتقلّبات تعصف به باستمرار، بحيث يصعب التنبّؤ بحالة له، وأصعب منها علاجه لو مرض.

إنَّه ذلك العضو الذي شبَّهته الروايات الشريفة بريشة معلَّقة في مهبِّ الريح، تُحرِّكها من جانب إلىٰ آخر[1].

إنَّه يعيش حالات متضادَّة كثيرة، فقد يكون أزهراً، وقد يكون مظلماً، وقد يكون مفتوحاً، وقد يكون مغلقاً، وقد يكون مستقيماً، وقد يكون منكوساً، وقد يكون محلَّ إيمان، وقد يكون جحر كفر ونفاق.

إنَّه القلب.

ومن أغرب الحالات المتضادَّة التي تمرُّ به وأخطرها عليه، هي حالات الإقبال والإدبار!

قلبك، قد يُقبِلُ على شيء ما، فيُحِبُّه حبّاً جمّاً، يُعميك عن معايبه، ويشغلك ذكرُه عن ذكر غيره، ولكنَّه قد يُدبِر عن نفس ذلك الشيء، بسبب كلمة أو موقف أو ظرف ما، فيجعلك تكرهه كدم أسنانك، أو قاتل أبيك.

فما هي أسباب إدبار القلب؟

وكيف تجعل قلبك مقبلاً؟

كيف تكسب محبَّة الناس؟

وكيف تتجنَّب ما يُنفِّرهم عنك؟

هذه الأوراق تُجيبك عن هذه الأسئلة وغيرها، بالاستعانة بنور آيات الكتاب العزيز وعبق عطر أحاديث أهل بيت العصمة الطاهرين.

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٩٧/ ح ٢٥٩٥.

كانـت بدايـة هـذه الأوراق ثـلاث محـاضرات أُلقيـت في النجـف الأشرف، كانـت بعنـوان: كيـف تعـرف منزلتـك عنـد الله تعـالىٰ، وكيـف تكسب محبَّته؟

ولكـن عنـدما أردت تـدوينها، وجـدت أنَّ هـذا العنـوان ينحـلُّ إلىٰ عناوين جانبية وفرعية كثيرة، فصار الموضـوع أوسـع ممَّـا بـدأ بـه وبـدا عليـه، فنتج ما بين يديك.

إنَّ في أحشاء هذا الكتاب مضامين عديدة:

كيف تعرف منزلتك عند الله تعالىٰ؟

وما هي الطرق التي يمكن مـن خلالهـا كسـب مـودَّة النـاس واقتنـاص محبَّتهم؟

كيف تجعل من نفسك محبوباً لدىٰ الناس؟

وكيف تتجنَّب منفِّرات القلوب؟

لماذا تعيش قلوبنا حالات الإدبار مع الله جلَّ وعلا؟

وكيف نجعل منها قلوباً مقبلة عليه تعالىٰ؟

وغيرهـا مـن العنـاوين الاجتماعيـة والنفسـية والأخلاقيـة والسـلوكية، ممَّا نحتاجه في تعاملاتنا اليومية.

إنَّهـا الحيـاة، ذات المصـاعب والمصـائب، تحتـاج إلىٰ قلـب مقبـل عـلىٰ الله تعالىٰ، يُحِبُّه الناس ويودّونـه، حتَّـىٰ تخـف عليـه وطـأة الآلام، ويُـزاح عنـه الرين والآثام.

كلـماتٌ، اسـتوحت فكرتهـا مـن جـلاء صـدأ القلـوب، فـإنَّ القلـوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، وإن جلاءها حديث أهل البيت عليهم السلام.

وقـد أُتـيح لهـذه الكلـمات أن تكـون برنامجـاً صـوتياً يُبَـثُّ عـبر بـرامج

التواصل الاجتماعي، وبرعاية من معهد تراث الأنبياء للدراسة الحوزوية الإلكترونية.

وبعد أن تمَّ بثُّه، اقترح الأخ العزيز سماحة الشيخ حسين الترابي مدير المعهد أن نطبع الكتاب ونُرفِق معه قرصاً صوتياً مدمجاً بالبرنامج، وهي فكرة جميلة كجمال قلبه، فشكر الله سعيه، وزاده علماً وفهماً.

والشكر أوَّلاً وآخراً لربِّ العزَّة والجلال، ومنه أطلب التوفيق والقبول.

ورجائي من إخوتي أن لا ينسوني ووالديَّ من دعواتهم، وأن يمنّوا عليَّ بملاحظاتهم عبر معرِّف برنامج (telegram) التالي: (@Husseinalasadi).

فإن تجد عيباً فسُدَّ الخللا فجَلَّ من لا عيب فيه وعلا

حسين عبد الرضا الأسدي

النجف الأشرف

مساء الخميس (١٨/ محرَّم الحرام/ ١٤٣٨هـ)

(٢٠ / ١٠ / ٢٠١٦م)

تمهيد

الدين والحبّ:

عندما نطالع الروايات الشريفة نجد أنَّ هناك العديد من السبل التي توصل الإنسان إلىٰ الدين والتديّن، فالتقوىٰ طريق، والإيمان آخر، والعمل الصالح ثالث، وحسن الخلق رابع، وهكذا...

ومن جملة تلك الطرق هو طريق الحبِّ والمحبَّة والمودَّة، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «الإيمان حبٌّ وبغضٌ»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام - لـمَّا سُئِلَ عن الحبِّ والبغض، أَمِن الإيمان هو؟ -: «وهل الإيمان إلَّا الحبّ والبغض؟»[2].

وعنه عليه السلام: «هل الدين إلَّا الحبّ؟! إنَّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣١]»[3].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «الدين هو الحبُّ، والحبُّ هو الدين»[4].

بل نجد أنَّ المحبَّة والمودَّة من أقوىٰ الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فالمحبَّة تصنع عرىٰ وثيقة للعلاقات الاجتماعية تتجاوز العلاقات النسبية والمصلحية والقبلية والقومية وغيرها، وهذا الوجدان والواقع شاهدان علىٰ ذلك.

---

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: ٢٩٥.
(٢) المحاسن ١: ٢٦٢/ ح ٣٢٦.
(٣) الخصال للصدوق: ٢١/ ح ٧٤.
(٤) المحاسن ١: ٢٦٣/ ح ٣٢٧.

وما ذكرناه واضح ولا يحتاج إلىٰ تكلّف عناء.

وحتّىٰ تتّضح نظرة الدين الشمولية لعنصر المودّة والحبّ، نتكلّم في عدّة فصول...

* * *

الفصل الأوَّل:

علامات صدق المودَّة

ينبغي لنا أن نلتفت إلىٰ قضيَّة مهمَّة جدّاً، وهي:

أنَّ المودَّة والمحبَّة مركزها القلب والمشاعر، وبالتالي فهي غير محسوسة بالحواسّ الظاهرة، بل هي أمر معنوي، نعم لها آثار عديدة تظهر علىٰ سلوكيات الفرد.

من هنا، احتجنا إلىٰ علامات محدَّدة نستطيع من خلالها معرفة الحبِّ والمودَّة الحقيقية من الأُخرىٰ الوهمية، سواء كان الحبُّ والمودَّة في علاقتنا مع الله تعالىٰ، أو مع بقيَّة أفراد المجتمع.

علامات صدق المودَّة والحبّ:

إنَّ الروايات الشريفة والواقع يعطيان لنا عدَّة طرق نستطيع من خلالها أن نقيس مقدار حبِّنا الحقيقي أو الوهمي لأيِّ مخلوق أو لأيِّ شيء كان، وكذا نعرف مقدار حبّ ذلك الموجود لنا، ومن تلك الطرق:

١ - شهادة القلب:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوا القلوب عن المودّات، فإنَّها شواهد لا تقبل الرشا»[1].

بمعنىٰ أنَّ من يريد أن يعرف - مثلاً - مقدار حبّ الإمام المهدي عليه السلام له، فله أن ينظر إلىٰ قلبه ليرىٰ كم يحبّ هو الإمام، وبنفس ذلك المقدار من الحبِّ يجد الإمام يحبّه.

ومن هنا قال الإمام الرضا عليه السلام للحسن بن جهم لـمَّا قال له:

(١) عيون الحكم والمواعظ لليثي: ٢٨٥.

جُعلت فداك، أشتهي أن أعلم كيف أنا عندك؟ فقال له الإمام عليه السلام: «اُنظر كيف أنا عندك»[١].

بل ورد أنَّه من أراد منكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله منه عند الذنوب[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أراد أن يعرف كيف منزلته عند الله، فليعرف كيف منزلة الله عنده، فإنَّ الله يُنزِّل العبد مثل ما يُنزِّل العبد الله من نفسه»[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «من أحبَّ أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنَّ كلَّ من خُيِّر له أمران: أمر الدنيا وأمر الآخرة، فاختار أمر الآخرة علىٰ الدنيا فذلك الذي يُحِبُّ الله، ومن اختار أمر الدنيا فذلك الذي لا منزلة لله عنده»[٤].

فشهادة القلب طريق لمعرفة المودَّة - إلهيَّة كانت أو اجتماعية - وصدقها.

طبعاً هذا ربَّما يكون له علاقة بعالم الذرِّ، حيث أجابت بعض الأرواح النداء الإلهي فآمنت، واستكبرت أُخرىٰ. وحيث تآلفت بعض الأرواح وتنافرت أُخرىٰ.

من هنا ورد أنَّه جاء رجل إلىٰ عليٍّ وكلَّمه فقال في عرض الحديث: إنّي أُحبّك، فقال له عليٌّ: «كذبت»، قال: لِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: «لأنّي لا أرىٰ قلبي يحبّك، قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: إنَّ الأرواح كانت تَلاقىٰ في الهواء

(١) أمالي الصدوق: ٣١١/ ح (٣٦٠/ ٨).

(٢) تحف العقول: ١٠٧.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي ٦٨: ١٥٦/ ح ٧٤، عن عدَّة الداعي لابن فهد: ١٦٧.

(٤) بحار الأنوار ٦٧: ٢٥/ ح ٢٧.

فتشام، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، فلمَّا كان من أمر عليّ ما كان، كان ممَّن خرج عليه(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا وإن لم يُظهِروا التودّد بألسنتهم كسرعة اختلاط قطر السماء علىٰ مياه الأنهار، وإنَّ بُعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا وإن أظهروا التودّد بألسنتهم كبُعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها علىٰ مذود واحد»(٢).

٢ - كثرة ذكره:

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «من أحبَّ شيئاً أكثر ذكره»(٣).

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «من أحبَّ شيئاً لهج بذكره»(٤).

وهذا أمر وجداني، فالعاشق يحاول أن يجد أيَّة مناسبة ولو من بعيد ليبدأ بتلاوة كلمات الثناء وقصائد العشق في محبوبه! وإذا لم يجد مناسبة لذلك تصنَّعها وبذل في سبيلها وقته وجهده.

من هنا، يمكن لنا أن نتلمس قوَّة حبِّنا لله تعالىٰ من خلال كثرة ذكره خصوصاً إذا نام الناس وهدأت الأصوات وأُطفئت الأنوار.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام - فيما أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: «كذب من زعم أنَّه يحبّني فإذا جنَّه الليل نام عنّي، أليس كلُّ محبٍّ يحبُّ خلوة حبيبه؟! ها أنا ذا يا بن عمران مطَّلع علىٰ أحبّائي، إذا جنَّهم

---

(١) بحار الأنوار ٢٥: ١٤/ ح ٢٧، عن بصائر الدرجات: ١٠٨/ ج ٢/ باب ١٥/ ح ٧.

(٢) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٣٥٢.

(٣) كنز العمّال للمتَّقي الهندي ١: ٤٢٥/ رقم ١٨٢٩.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٣.

الليل حوَّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثَّلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويُكلِّموني عن الحضور»[١].

وكثرة ذكر الله تعالىٰ كما تكشف عن حبِّك له، كذلك تورثك اطمئناناً تعيش به في الحياة تشقُّ أمواجها وبلواها بقدم ثابتة. حسب قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرعد: ٢٨).

٣ - المواساة له في السرّاء والضرّاء:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أصدق الإخوان مودّةً أفضلهم لإخوانه في السرّاء والضرّاء مواساةً»[٢].

وهذا أمر وجداني واقعي أيضاً، فإذا لم ينفعني من يدَّعي محبَّتي عند شدَّتي، فمتىٰ سأرجو نفعه!؟ فالمرء كثير بأخيه - كما يقول الإمام الصادق عليه السلام[٣] -، وإذا لم يكن أخوك معك عندما تكون وحدك فأيَّة أُخوَّة هذه!؟

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «في الضيق والشدَّة يظهر حسن المودَّة»[٤].

من هنا، فرض الإسلام علىٰ المؤمن حقوقاً لإخوته المؤمنين ترتكز علىٰ المواساة في الضيق والشدَّة، ففرض علىٰ المؤمن أن يقضي حاجة أخيه المؤمن، وإذا استطاع أن يقضيها له من دون أن يسأله قضاء حاجته وجب عليه ذلك من باب صدق الأُخوَّة، يقول الإمام عليّ عليه السلام: «لا يُكلِّف أحدكم أخاه الطلب إذا عرف حاجته»[٥].

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٣٨/ ح (٥٧٧/ ١).

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ١٢٢.

(٣) تحف العقول: ٣٦٨.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٣٥٤.

(٥) بحار الأنوار ٧١: ١٦٦/ ح ٢٩، عن كنز الفوائد للكراجكي: ٣٤.

وعن سعيد بن الحسن: قال أبو جعفر عليه السلام: «أيجيء أحدكم إلىٰ أخيه فيُدخِل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟»، فقلت: ما أعرف ذلك فينا، فقال أبو جعفر عليه السلام: «فلا شيء إذاً...»[1].

من هنا ورد التحذير من عدم قضاء حاجة الأخ مع القدرة عليها، يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عزَّ وجلَّ»[2].

ولقد كان المسلمون يعيشون حالة من المواساة لا نظير لها، وإن لم تكن هي الحالة الوحيدة في الساحة، ولكن كانت المواساة صفة يمكن تلمّسها في العديد من مواقف المسلمين المؤمنين. وكلّنا سمع بالمسلمين الثلاثة الذين أُصيبوا في واحدة من المعارك، فجاء أحدهم بماء لأحدهم فأرسله إلىٰ الثاني ولم يشرب، وهكذا الثاني إلىٰ الثالث، فأرجعه إلىٰ الأوَّل فوجده ميِّتاً، فقام إلىٰ الثاني فوجدهم ماتوا كلّهم[3].

وحقّاً: (الجود بالنفس أقصىٰ غاية الجود...).

وقد مدح القرآن الكريم الذين يواسون إخوانهم المؤمنين، فقال جلَّ من قائل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

٤ - أن لا يرىٰ من محبوبه إلَّا جميلاً:

فمن عشق شيئاً أعشىٰ بصره وأمرض قلبه، فلا يرىٰ في الوجود من يستحقُّ الوجود إلَّا معشوقه! فهذا مجنون ليلىٰ لـمَّا قال له أبوه: (فليت شعري، ما أراها ممَّن يوصف بالحسن والجمال، وقد بلغني أنَّها

(١) الكافي للكليني ٢: ١٧٣/ باب حقّ المؤمن علىٰ أخيه وأداء حقِّه/ ح ١٣.

(٢) الكافي ٢: ٣٦٦ و٣٦٧/ باب من استعان به أخوه فلم يعنه/ ح ٤.

(٣) أُنظر: المعجم الكبير للطبراني ٣: ٢٥٩/ ح ٣٣٤٢؛ كنز العمّال ١٠: ٥٦٥ و٥٦٦/ ح ٣٠٢٥٥.

فوهـاء[(١)]، قصـيرة جاحظـة العينـين، شـهلة[(٢)]، سـمجة، فعـد عـن ذكرهـا ولك في قومك من هي خير لك منها. فلـمَّا سمع ثلبه فيها أنشأ يقول:

يقـول لي الواشـون لـيلىٰ قصـيرةٌ   فليـت ذراعـاً عـرضُ لـيلىٰ وطولُهـا
وإنَّ بعينيهـا لعمـرك شـهلةً   فقلـتُ كـرامُ الطـير شُـهْلٌ عيونُهـا
وجاحظـةٌ فوهـاء لا بـأس إنَّهـا   مُنـىٰ كبـدي كـلُّ نفـس وسُـولُها
فدقَّ صلابَ الصخر رأسك سرمداً   فـإنِّي إلىٰ حـين المـمات خليلُهـا[(٣)]

ومن هنا روي عـن رسـول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّـه قـال: «حبُّـك للشـيء يُعمـي ويُصِم»[(٤)].

وعـن أمـير المـؤمنين عليه السلام أنَّـه قـال: «عـين المحـبِّ عميـاء عـن عيـب المحبوب، وأُذُنه صمّاء عن قبح مساويه»[(٥)]. وفعلاً:

وعين الرضا عن كـلِّ عيـب كليلـة   ولكن عين السخط تُبدي المسـاويا

إنَّك ترىٰ في الحيـاة أُناسـاً لـيس لهـم هـمٌّ إلَّا إبـراز المعايـب والمثالـب، ولا يـرون إلَّا النصـف الفـارغ مـن الكـأس، وإلَّا الجانـب المظلـم مـن الأرض، فلا تقع أعينهم علىٰ شيء إلَّا أبـرزوا فيـه مـا لا يُعَـدُّ مـن العيـوب، وإلَّا دقَّقوا النظـر لـيروا أدقّ التفاصـيل ليُظهِـروا فيـه عيبـاً مـا، ويتناسـون أنَّ في كلِّ الأُمور جوانب مشرقة مهما كان فيها من ظلام.

فمن الناس من لا ينظر إلىٰ جودة المعلومة التي تُكتَب، إنَّما ينظر إلىٰ خطـأ

---

(١) واسعة الفم قبيحه.

(٢) شهل العين أن يشوب سوادها زرقة، وهو من علامات القبح.

(٣) ديوان قيس بن الملوح: ٦٥.

(٤) من لا يحضره الفقيه للصدوق ٤: ٣٨٠/ ح ٥٨١٤.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٣٤٠.

نحوي صدر منك غفلةً، أو رداءة الخطِّ، أو عدم تلوين العنوان، وهكذا، وهناك من لا يتأمَّل في تعبك وعنائك عندما أتممت بناء بيتك، وإنَّما يبحث عن خطأ فني في البناء، أو اختلاف قياس في السطوح، وهكذا.

في حين أنَّ تربويات الدين ترسم لنا خطّاً واضحاً في ضرورة النظر إلىٰ جانبي الحياة، المظلم منها والمشرق، وأن نتغاضىٰ عن المظلم ما أمكننا ذلك، وأن نهتمَّ بالجوانب المشرقة، لما لها من أثر إيجابي في الحياة وتسهيل الأُمور وعدم تعقيدها. وما ألطف ما ورد من أنَّ النبيَّ عيسىٰ عليه السلام مرَّ مع الحواريين علىٰ جيفة، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب!؟ فقال عيسىٰ عليه السلام: «ما أشدّ بياض أسنانه!»[1].

ولذا ترىٰ أنَّ المؤمنين لا يعترضون - ولو من طرف خفيٍّ - علىٰ قضاء الله تعالىٰ الذي يجري عليهم مهما كان، فإنَّهم آمنوا بأنَّ الله تعالىٰ - حيث إنَّه لا عداوة شخصية له مع أحد، بل هو تعالىٰ يحبُّ عباده ويريد لهم الخير، وهو لا يفعل إلَّا ما هو خير للعبد في عاجل الدنيا أو آجل الآخرة - مهما ابتلاهم فهو في صالحهم، وروَّضوا أنفسهم علىٰ الرضا بقضاء الله تعالىٰ، فلو مات للمؤمن ولد استرجع وحمد الله تعالىٰ، ولو خسر مالاً ارتاح من همِّه ولم يَهُمّ بأكثر من ذلك، وسواء كان الجوُّ بارداً أو حارّاً، وسواء كان العبد غنيّاً أو فقيراً، صحيحاً أو مريضاً، هو في حالة واحدة مع الله تعالىٰ ولا يرىٰ هذه الأحوال إلَّا خيراً له، ولذا تراه مرتاح البال مطمئنَّ الروح، وليس له همٌّ إلَّا أن يُرضي الله تعالىٰ.

ومن هنا، جاء التحذير من اليأس والاعتراض علىٰ طول غيبة الإمام المهدي عليه السلام، فإنَّ طول الغيبة إن لم يكن بسببنا فهو لصالحنا. ولذا ورد في دعاء الغيبة: «اللّهُمَّ فَثَبِّتْنِي عَلىٰ دِينِكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطاعَتِكَ، وَلَيِّنْ قَلْبِي لِوَلِيِّ أَمْرِكَ،

---

(١) تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام) ١: ١٢٥.

وَعافِنِي مِمَّا امْتَحَنْتَ بِهِ خَلْقَكَ، وَثَبِّتْنِي عَلىٰ طاعَةِ وَلِيِّ أَمْرِكَ، الَّذِي سَتَرْتَهُ عَنْ خَلْقَكَ، فَبِإِذْنِكَ غابَ عَنْ بَرِيَّتِكَ، وَأَمْرَكَ يَنْتَظِرُ، وَأَنْتَ العالِمُ غَيْرُ المُعَلَّمِ بِالوَقْتِ الَّذِي فِيهِ صَلاحُ أَمْرِ وَلِيِّكَ فِي الإِذْنِ لَهُ بِإِظْهارِ أَمْرِهِ وَكَشْفِ سِرِهِ، فَصَبِّرْنِي عَلىٰ ذلِكَ حَتَّىٰ لا أُحِبَّ تَعْجِيلَ ما أَخَّرْتَ، وَلا تَأْخِيرَ ما عَجَّلْتَ، وَلا أَكْشِفُ ما سَتَرْتَ، وَلا أَبْحَثُ عَمَّا كَتَمْتَ، وَلا أُنازِعَكَ فِي تَدْبِيرِكَ، وَلا أَقُولَ: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟ وَما بالُ وَلِيِّ الأَمْرِ لا يَظْهَرُ وَقَدْ امْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنَ الجَوْرِ؟! وَأُفَوِّضَ أُمُورِي كُلَّها إِلَيْكَ»[1].

وهذا هو ما جعل صبر السيِّدة زينب عليها السلام يعجز عن وصفه البلغاء، لـمَّا قال ابن زياد لها: كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتكِ؟ فقالت: «**ما رأيت إلَّا جميلاً**، هؤلاء قوم كُتِبَ عليهم القتل فبرزوا إلىٰ مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجّ وتُخاصم، فانظر لمن الفلج، هبلتك أُمُّك يا ابن مرجانة...»[2].

فعلىٰ المؤمن أن يكون علىٰ حالٍ واحدةٍ من الرضا مع الله تعالىٰ، ليُثبِت حبّه لدينه، وحبّه لربِّه، ولا يكون مثل ذلك الذي قيل فيه:

يتمنّىٰ المرء في الصيف الشتا ... فإذا جاء الشتا أنكرهُ

لا بذا يرضىٰ ولا يرضىٰ بذا ... قُتِلَ الإنسان ما أكفرهُ

٥ - أن يبذل النصيحة لمن يحبُّ:

إنَّ الإنسان حيث إنَّه معرَّض للخطأ، وحيث إنَّه لا يرىٰ أخطاءه دائماً، بل ربَّما يُخطئ وهو يظنُّ أنَّه يحسن صنعاً، فقد احتاج كلُّ واحد منّا إلىٰ مرآة صافية تحكي له ما يصدر عنه بصدقٍ وأمانة، والروايات

(١) مصباح المتهجِّد للطوسي: ٤١٢/ ح (٥٣٦/ ١٤٦).

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ٧١؛ بحار الأنوار ٤٥: ١١٥ و١١٦ بتفاوت يسير.

الشريفة تؤكّد أنَّ تلك المرآة الصافية ينبغي أن يُمثِّلها المؤمن[١]، هذا من جانب.

ومن جانب آخر، أنت إذا أحببت شخصاً لا بدَّ أنَّك تحبُّ أن تراه علىٰ خير دائماً، ولا تحبُّ أن ترىٰ منه شيئاً خاطئاً، لأنَّ ذلك يُقلِّل من شأن المحبوب، وهو ما لا تحبُّه لمحبوبك، وهذا ما يؤسِّس لمبدأ النصيحة، وهو ما تؤكّده الروايات الشريفة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن يحقُّ عليه نصيحته»[٢].

طبعاً هذا لا يخالف النقطة السابقة، من أنَّك لا ترىٰ من محبوبك إلَّا جميلاً، لأنَّ ذلك لا ينافي نصحه لو أخطأ، ونحن لا نريد من تلك النقطة أن يكون الإنسان مثالياً لا يرىٰ واقع الخطأ من المحبوب، كلَّا، وإنَّما نريد أنَّه يتجاوز عن الأخطاء التي تصدر من المحبوب باتِّجاه محبوبه، ولكن في نفس الوقت، يجب علىٰ المحبوب أن ينظر بعين ثاقبة إلىٰ تصرّفات محبوبه، ويحاول أن يجعلها لا تتجاوز الصحيح. ولذلك يقول الإمام عليّ عليه السلام: «ما أخلص المودَّة من لم ينصح»[٣].

ويقول عليه السلام: «امحض أخاك النصيحة، حسنةً كانت أو قبيحةً»[٤].

وهذه النصيحة ستكون سبباً من أهمّ أسباب توارث المودَّة والحبِّ، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «النصح يُثمِر المحبَّة»[٥].

من هنا جاءت التربويات والإرشادات المعصومية بضرورة استماع

---

(١) تحف العقول: ١٧٤.

(٢) كتاب المؤمن للحسين بن سعيد: ٤٢/ ح ٩٦.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٧٦.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٧٩.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٣٢.

النصيحة ولو كانت مؤذية ومؤلمة، فإنَّ الدواء قد يكون مُرّاً ولكن نتيجته الشفاء والعافية، فعن أبان، عن أبي العديس، عن صالح، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا صالح، اتَّبع من يُبكيك وهو لك ناصح، ولا تتَّبع من يُضحِكك وهو لك غاش، وستردون علىٰ الله جميعاً فتعلمون»[١].

وينبغي أن لا ننسىٰ أنَّ للنصيحة آداباً لا بدَّ من الحفاظ عليها وعدم تجاوزها، وخلاصة تلك الآداب ما ذكره الإمام السجّاد عليه السلام في رسالة الحقوق: «حقُّ المستنصح أن تؤدّي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به، وحقُّ الناصح أن تُلين له جناحك وتُصغي إليه بسمعك، فإن أتىٰ الصواب حمدت الله عزَّ وجلَّ، وإن لم يوافق رحمته، ولم تتَّهمه وعلمت أنَّه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلَّا أن يكون مستحقّاً للتهمة فلا تعبأ بشيء من أمره علىٰ حالٍ»[٢].

٧ - أن يحبَّ محبوب حبيبه:

إنَّ صدق الحبِّ يعني فيما يعنيه أن يكون الشخص علىٰ علاقة وثيقة بمن يحبُّ، وأن يعمل علىٰ التقرّب إلىٰ محبوبه بأيَّة وسيلة ممَّا يرضاه المحبوب، ولذا كان الحبُّ الخالي من الطاعة حبّاً كاذباً، يقول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تُظهِر حبَّه ... هذا لعمري في الفعال بديعُ
لو كان حبُّك صادقاً لأطعته ... إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

إذن، من علامات صدق المودَّة أن تحبَّ مَنْ وما يحبُّه حبيبك، وهذا ما أكَّدته الروايات الشريفة، وهي عديدة في هذا المجال، نذكر منها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ داود عليه السلام قال في ما يخاطب ربَّه عزَّ وجلَّ: يا

(١) المحاسن ٢: ٦٠٣ و٦٠٤/ ح ٣٢.
(٢) الخصال: ٥٧٠/ ح ١.

ربِّ، أيُّ عبادك أحبُّ إليك، أُحِبُّه بحبِّك؟ قال: يا داود، أحبُّ عبادي إليَّ: نقيُّ القلب، نقيُّ الكفّين، لا يأتي إلىٰ أحد سوءاً، ولا يمشي بالنميمة، تزول الجبال ولا يزول، وأحبَّني، وأحبَّ من يُحِبُّني، وحبَّبني إلىٰ عبادي. قال: يا ربِّ، إنَّك لتعلم أنّي أُحِبُّك، وأُحِبُّ من يُحِبُّك، فكيف أُحبِّبك إلىٰ عبادك؟ قال: ذكِّرهم بآياتي وبلائي ونعمائي»[١].

وعن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام إذ دخل المفضَّل بن عمر، فلمَّا بصر به ضحك إليه، ثمّ قال: «إليَّ يا مفضَّل، **فوَربِّي إنّي لأُحِبُّك وأُحِبُّ من يُحِبُّك**. يا مفضَّل، لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان...»[٢].

وعن بشير الدهّان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لمحمّد بن كثير الثقفي: «ما تقول في المفضَّل بن عمر؟»، قال: ما عسيت أن أقول فيه؟ لو رأيت في عنقه صليباً وفي وسطه كستيجاً لعلمت أنَّه علىٰ الحقِّ بعد ما سمعتك تقول فيه ما تقول. قال: «رحمه الله، لكن حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة أتياني فشتماه عندي، فقلت لهما: لا تفعلا، فإنّي أهواه، فلم يقبلا، فسألتهما وأخبرتهما أنَّ الكفَّ عنه حاجتي، فلم يفعلا، فلا غفر الله لهما، أمَا إنّي لو كرمت عليهما لكرم عليهما من يكرم عليَّ، ولقد كان كثير عزَّة في مودَّته لها أصدق منهما في مودَّتهما لي حيث يقول:

لقد علمت بالغيب أنّي أخونها إذا هو لم يكرم علىٰ كريمها

(١) شعب الإيمان للبيهقي ٦: ١١٩/ ح ٧٦٦٨.

(٢) الاختصاص للمفيد: ٢١٦.

أَمَا إنّي لو كرمت عليهما، لكرم من يكرم عليَّ»(١)، وفي رواية أُخرىٰ أنَّه عليه السلام قال: «... أمَا والله لو أحبّاني لأحبّا من أُحِبُّ»(٢).

لذا ورد في بعض أدعية تعقيبات الصلاة: «... واجعل عيني باكية لخشيتك، واجعلني أُحِبُّك وأُحِبُّ من يُحِبُّك، واجعلني أسجد في مواطن صدق ترضيك عنّي، إنَّك علىٰ كلِّ شيء قدير...»(٣).

ومن هنا نجد روايات الفريقين ذكرت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكرم صديقات خديجة عليها السلام بعد وفاتها ويُرسِل إليهنَّ بالهدايا حبّاً لها، وكان هذا سبباً كافياً ليجعل بعض نسائه صلى الله عليه وآله تغار من خديجة وهي في قبرها.

فقد روي أنَّ عجوزاً دخلت علىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله فألطفها، فلمَّا خرجت سألته عائشة فقال: «إنَّها كانت تأتينا في زمن خديجة، وإنَّ حسن العهد من الإيمان»(٤).

وعن عائشة، قالت: ما غرت علىٰ امرأة ما غرت علىٰ خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوَّجني بثلاث سنين لـمَّا كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربُّه عزّ وجلّ أن يُبشِّرها ببيت من قصب في الجنَّة، وإن كان ليذبح الشاة ثمّ يهديها إلىٰ خلائلها(٥).

وعنها، قالت: ما غرت علىٰ نساء النبيِّ (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) إلَّا علىٰ خديجة، وإنّي لم أدركها، قالت: وكان رسول الله (صلّىٰ

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٦١٢ و٦١٣/ ح ٥٨٣.

(٢) الكافي ٨: ٣٧٣ و٣٧٤/ ح ٥٦١.

(٣) إقبال الأعمال لابن طاووس ٢: ٢٢٤.

(٤) بحار الأنوار ١٦: ٨؛ الاستيعاب لابن عبد البرِّ ٤: ١٨١٥/ ح ٣٣٠٦.

(٥) صحيح مسلم ٧: ١٣٣ و١٣٤.

الله عليه [وآله] وسلَّم) إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلىٰ أصدقاء خديجة»، قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة، فقال رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم): «إنّي قد رُزِقْتُ حبَّها»[١].

وفي الصحيح عن عائشة: كان رسول الله (صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلَّم) إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا إلىٰ أصدقاء خديجة»، فقالت: فذكرت له يوماً، فقال: «إنّي لأُحِبُّ حبيبها»[٢].

هذه بعض الطرق التي يمكن من خلالها معرفة المودَّة ومقدارها!

* * *

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإصابة لابن حجر ٨: ١٠٣.

الفصل الثاني:

كيف تكسب قلوب الناس ومودَّتهم؟

إنَّ قلوب الناس ملك لهم، ولا يمكنك أن تدخل إلىٰ حرم قلوبهم عنوة من دون مبرِّر وسبب واستئذان، تماماً كما لا يمكنك أن تدخل إلىٰ بيت أحدهم من دون إذنه، بل يجب عليك أن تطرق الباب بكلِّ أدب، فإن أذن لك وإلَّا رحلْتَ.

وحيث إنَّ المودَّة مركزها القلب، فإذا أردت أن تملك قلب أحدهم ومودَّته فلا بدَّ لك أن تدخل علىٰ قلبه، وتجلس علىٰ أريكة المودَّة من عرش روحه، لتنال بذلك ودَّه ومحبَّته.

والسؤال المهمّ هنا: كيف يمكنني أن أدخل إلىٰ قلبك؟ هل من طرق وسبل يمكنني من خلالها فعل ذلك؟

والجواب: أنَّ الدين يُعطي نظريته النفسية والاجتماعية لذلك، ويُبيِّن الكثير من الطرق المناسبة لذلك، ويمكن أن نمنهج تلك الطرق بالتالي:

أوَّلاً: طرق بين العبد وربِّه.

ثانياً: طرق وأعمال بين الإنسان والإنسان الآخر.

وهذه بدورها نوعان:

النوع الأوَّل: طرق مجّانية!

النوع الثاني: طرق تحتاج إلىٰ بذل ولو قليلاً.

ولنتكلَّم عن هذه الطرق علىٰ التوالي: ...

* * *

أوّلاً: طرق بين العبد وربّه

وقد ذكرت الروايات الشريفة العديد من هذه الطرق، وأهمّها:

أوّلاً: الإقبال بالقلب على الله ﷻ:

إنَّ الله تعالىٰ هو مالك القلوب، ولو أراد أن يميل بالقلوب لك فلا شيء يمكنه أن يمنعه، فهذا النبيُّ موسىٰ عليه السلام يقول له الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ (طه: ٣٩).

والروايات تُحدِّثنا الأعاجيب عن هذه المحبَّة الملقاة من الله تعالىٰ علىٰ نبيِّه موسىٰ عليه السلام، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «... فلـمَّا وضعت أُمُّ موسىٰ بموسىٰ عليه السلام نظرت وحزنت واغتمَّت وبكت وقالت: يُذبَح الساعة، فعطف الله قلب الموكِّلة بها عليه، فقالت لأُمِّ موسىٰ: ما لكِ قد اصفرَّ لونكِ؟ فقالت: أخاف أن يُذبَح ولدي، فقالت: لا تخافي، وكان موسىٰ لا يراه أحد إلَّا أحبَّه، وهو قول الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾، فأحبَّته القبطية الموكَّلة به...

وكان لفرعون قصر علىٰ شطِّ النيل متنزَّه، فنظر من قصره - ومعه آسية امرأته - إلىٰ سواد في النيل ترفعه الأمواج وتضربه الرياح حتَّىٰ جاءت به علىٰ باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه، فأُخِذَ التابوت ورُفِعَ إليه، فلـمَّا فتحه وجد فيه صبياً، فقال: هذا إسرائيلي، فألقىٰ الله في قلب فرعون لموسىٰ محبَّة شديدة وكذلك في قلب آسية. وأراد أن يقتله فقالت آسية: ﴿لا تَقْتُلُوهُ عَسَى

أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: ٩] أنَّـه موسـىٰ، ولم يكن لفرعون ولد، فقال: التمسوا له ظئراً تُربّيه...»[١].

ولا شـكَّ أنَّ مـن أهـمّ الموجبـات لعطـف الله تعـالىٰ القلـوب عليـك هو أن تعطف بقلبـك عـلىٰ الله تعـالىٰ، كـما يقـول رسـول الله ﷺ: «مـا أقبـل عبـد بقلبـه إلىٰ الله إلَّا جعـل الله قلـوب المـؤمنين تفـد إليـه بـالودِّ والرحمـة، وكان الله إليه بكلِّ خير أسرع»[٢].

ولا شكَّ أنَّ الإنسان يستطيع أن يجعل كلَّ وجوده مقبلاً عـلىٰ الله تعـالىٰ، ولا ينبغي لأحد أن يعتقد أنَّ الإقبال علىٰ الله تعالىٰ منحصـر بالصـلاة والصـوم وبقيَّة العبادات المعروفة، فليس التقرّب إلىٰ الله تعالىٰ منحصـراً بذلك، ولذا ورد أنَّ «الكاد علىٰ عياله كالمجاهد في سبيل الله تعالىٰ»[٣].

وقد ورد أنَّ رسـول الله ﷺ قـال في جلـد رجـل ونشـاطه - لـمَّا قـال أصحابه فيه: لو كان هـذا في سـبيل الله -: «إن كـان خـرج يسـعىٰ عـلىٰ ولـده صـغاراً فهـو في سـبيل الله، وإن كـان خـرج يسـعىٰ عـلىٰ أبـوين شـيخين كبيرين فهـو في سـبيل الله، وإن كـان خـرج يسـعىٰ عـلىٰ نفسـه يعفّهـا فهـو في سبيل الله، وإن كان خرج رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان»[٤].

ثانياً: الإقبال بالقلب على الله تعالى أثناء الصلاة:

هـذه المرحلـة متـأخِّرة ترتيبـاً عـن المرحلـة الأُولىٰ، وكأنَّـه إذا عجـز الإنسـان عـن الإقبـال عـلىٰ الله تعـالىٰ في جميـع لحظـات حياتـه، فـلا أقـلَّ أن

(١) بحار الأنوار ١٣: ٢٥ و٢٦/ ح ٢، عن تفسير القمّي ٢: ١٣٦.
(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٥: ١٨٦.
(٣) الكافي ٥: ٨٨/ باب من كدَّ علىٰ عياله/ ح ١.
(٤) المعجم الكبير للطبراني ١٩: ١٢٩.

يُقبِل عليه تعالىٰ أثناء أهمّ العبادات الجارحية، الصلاة، فإنّها عمود الدين[١]، والتي إن قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها[٢].

لقد ذكرت الروايات الشريفة العديد من الآثار التي تترتَّب علىٰ الإقبال بالقلب علىٰ الصلاة[٣]، **منها**: إنَّ ما يُقبَل منها علىٰ قدر ما يُقْبِلُ العبد منها عليها، فعن رسول الله ﷺ: «إنَّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلىٰ العشر، وإنَّ منها لما يُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوب الخَلِق فيُضرَب بها وجه صاحبها، **وإنَّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك**»[٤].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام - لـمَّا سقط رداؤه علىٰ أحد منكبيه ولم يُسوِّه فسُئِلَ عن ذلك -: «ويحك أتدري بين يدي من كنت؟! إنَّ العبد لا يُقبَل من صلاته إلَّا ما أقبل عليه منها بقلبه»[٥].

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «لا يقومنَّ أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعساً، ولا يُفكِّرَنَّ في نفسه، فإنَّه بين يدي ربِّه عزَّ وجلَّ، وإنَّما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه»[٦].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من صلّىٰ وأقبل علىٰ صلاته لم يُحدِّث نفسه ولم يَسْهَ فيها، أقبل الله عليه ما أقبل عليها، فربَّما رفع نصفها وثلثها وربعها وخمسها، وإنَّما أمر بالسُّنَّة[٧] ليكمل ما ذهب من المكتوبة»[٨].

---

(١) أُنظر: دعائم الإسلام ١: ١٣٣.

(٢) بحار الأنوار ١٠: ٣٩٤.

(٣) أُنظر: ميزان الحكمة للريشهري ٢: ١٦٣٧/ دور حضور القلب في قبول الصلاة.

(٤) بحار الأنوار ٨١: ٢٦٠/ ح ٥٩.

(٥) الخصال: ٥١٧/ ح ٤.

(٦) الخصال: ٦١٣/ حديث أربعمائة.

(٧) أي النوافل.

(٨) المحاسن ١: ٢٩/ ح ١٤.

ومنها: إنَّ الإقبال عليها يوجب إقبال الله تعالىٰ علىٰ العبد، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام العبد إلىٰ الصلاة أقبل الله عزّ وجلّ عليه بوجهه، فلا يزال مقبلاً عليه حتَّىٰ يلتفت ثلاث مرّات، فإذا التفت ثلاث مرّات أعرض عنه»[(١)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا قمت في صلاتك فأقبل علىٰ الله بوجهك يُقْبِلْ عليك»[(٢)].

ومنها: إنَّ حضور القلب في الصلاة يوجب غفران الذنوب، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صلّىٰ ركعتين ولم يُحدِّث فيهما نفسه بشيء من أُمور الدنيا غفر الله له ذنوبه»[(٣)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من صلّىٰ ركعتين يعلم ما يقول فيهما، انصرف وليس بينه وبين الله ذنب»[(٤)].

ومنها - ما هو محلُّ الشاهد هنا -: إنَّ الإقبال عليها يوجب جذب القلوب، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّي لأُحِبُّ للرجل منكم المؤمن إذا قام في صلاة فريضة أن يُقبِل بقلبه إلىٰ الله ولا يُشغِل قلبه بأمر الدنيا، فليس من مؤمن يُقبِل بقلبه في صلاته إلىٰ الله إلَّا أقبل الله إليه بوجهه، **وأقبل بقلوب المؤمنين إليه بالمحبَّة له بعد حبِّ الله عزّ وجلّ إيّاه**»[(٥)].

ثالثاً: السجود بين الأذان والإقامة:

وهذه مرحلة متأخِّرة عن الأُولتين، لا بمعنىٰ عدم إمكان اجتماعها مع ما

(١) المحاسن ١: ٨٠ و٨١/ ح ٩.

(٢) بحار الأنوار ٨١: ٢٢١/ ح ٤، عن (الأربعون) للشهيد الأوَّل: ٤٣/ ح ١٤.

(٣) بحار الأنوار ٨١: ٢٤٩/ ح ٤١، عن عوالي اللئالي للأحسائي ١: ٣٢٢/ ح ٥٩.

(٤) الكافي ٣: ٢٦٦/ باب فضل الصلاة/ ح ١٢.

(٥) وسائل الشيعة للحرِّ العاملي ٥: ٤٧٥/ ح (٧١٠١/ ٦)، عن ثواب الأعمال للصدوق: ١٣٥.

قبلها، وإنَّما بمعنىٰ أنَّها أقلّ مرتبة يمكن أن يتوجَّه بها العبد إلىٰ الله تعالىٰ، وهي لا تأخذ أكثر من لحظة من تفكير الإنسان.

ولكن لماذا السجود؟

ولماذا بين الأذان والإقامة؟

أمَّا لماذا السجود؟ فلأنَّ الروايات الشريفة تذكر أنَّ أقرب ما يكون العبد إلىٰ ربِّه إذا كان في سجوده، فعن الإمام الصادق عليه السلام - لـمَّا سأله سعيد بن يسار: أدعو وأنا راكع أو ساجد؟ -: فقال: «نعم أُدْعُ وأنت ساجد، فإنَّ أقرب ما يكون العبد إلىٰ الله وهو ساجد، أُدْعُ الله عزَّ وجلَّ لدنياك وآخرتك»[١].

وإذا ضممت إلىٰ ذلك السجود علىٰ تربة الحسين عليه السلام كنت أقرب شيء إلىٰ استجابة الدعاء، فإنَّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: «السجود علىٰ تربة الحسين عليه السلام يخرق الحجب السبع»[٢].

وأمَّا أنَّه لماذا بين الأذان والإقامة؟ فلأنَّ الروايات الشريفة ذكرت أنَّه من المواضع التي يُستجاب فيها الدعاء، فعن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَد»[٣].

ولذا ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام يقول لأصحابه: من سجد بين الأذان والإقامة فقال في سجوده: **ربِّ لك سجدت خاضعاً خاشعاً ذليلاً**، يقول الله تعالىٰ: ملائكتي، وعزَّتي وجلالي لأجعلنَّ محبَّته في قلوب عبادي المؤمنين، وهيبته في قلوب المنافقين»[٤].

---

(١) مستدرك الوسائل للنوري ٤: ٤٦٣.

(٢) الدعوات للراوندي: ١٨٨/ ح ٥١٩.

(٣) الدعوات: ٣٦/ ح ٨٧.

(٤) بحار الأنوار ٨١: ١٥٢/ ح ٤٨، عن فلاح السائل لابن طاووس: ١٥٢.

رابعاً: الاستعانة بالله تعالى:

وهـذا الأمـر يُمثِّـل الأسـاس للمراحـل السـابقة، فـإنَّ التقـرّب إلىٰ الله تعالىٰ بالإقبـال عليـه في جميـع لحظـات الحيـاة أو أثنـاء الصـلاة أو في السـجود بـين الأذان والإقامـة كلّهـا مصـاديق للاسـتعانة بـالله تعـالىٰ، ولا شـكَّ أنَّ أصـل ذلـك هـو الـدعاء، ولـذا ورد في دعـاء الإمـام زيـن العابـدين عليه السلام: «اللّهـمّ اقـذف في قلـوب عبـادك محبَّتـي...، ولا تجعلنـي مـن الغـافلين، أحببني وحبِّبني، وحبِّـب إليَّ مـا تُحِـبُّ مـن القـول والعمـل حتَّـىٰ أدخـل فيـه بلذَّة، وأخرج منه بنشاط»[1].

وقـد ورد أنَّـه كـان في وصـيَّة رسـول الله صلى الله عليه وآله لعـليٍّ عليه السلام: «يـا عـليُّ، إذا أردت مدينـة أو قريـة فقـل حـين تعاينهـا: اللّهـمّ إنّي أسـألك خيرهـا، وأعـوذ بـك مـن شرِّهـا، اللّهـمّ حبِّبنـا إلىٰ أهلهـا وحبِّـب صـالحي أهلهـا إلينا»[2].

* * *

---

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ١٤٦/ من دعائه عليه السلام في طلب الرزق.

(٢) وسـائل الشـيعة ١١: ٤٤٣ و٤٤٤/ ح (١٥٢١٤/ ١)، عـن مـن لا يحضـره الفقيـه ٢: ٢٩٨/ ح ٢٥٠٩.

ثانياً: طرق وأعمال بين الإنسان والإنسان الآخر

النوع الأوَّل: طرق مجّانية:

الطريق الأوَّل: الابتسامة:

قالوا: هي كالملح في الطعام، لا بدَّ من المحافظة عليها من دون إفراط ولا تفريط، فكما أنَّ الملح إذا فُقِدَ من الطعام فلا مذاق يبقىٰ للطعام، وكما أنَّ الملح إذا زاد في الطعام أفسد الطعام، كذلك الابتسامة فقدانها يُفقِد المودَّة، وكثرتها مضرَّة.

ولقد ثبت أنَّ الضحك حتَّىٰ وإن كان مصطنعاً يرفع الروح المعنوية ويُحسِّن الحالة المزاجية، مثلما هو الحال مع التدريبات البدنية، فالابتسامة تؤدّي إلىٰ إفراز المهدِّئات الداخلية (الأندورفينات) والتي تمنح الجسم إحساساً بالاسترخاء بمجرَّد الابتسام يؤدّي إلىٰ إفراز مادَّة السيروتونين، وهو ناقل عصبي يؤدّي للشعور بالسعادة في مجرىٰ الدم، وهو مضادٌّ قويّ للاكتئاب.

وهل تعلم أنَّ عدد العضلات في وجه الإنسان هو (٨٠) عضلة، وكلُّ عضلة مرتبطة بجزء من المخِّ[١]، وأنَّ الناس تستخدم كلَّ عضلات الوجه تقريباً عندما يكون الوجه عبوساً، ممَّا يُسبِّب لهم التجاعيد، وأنَّنا عندما نبتسم فإنَّنا نستخدم (١٤) عضلة فقط[٢]!؟

---

(١) قوَّة التحكّم بالذات لإبراهيم الفقي: ٩١.

(٢) قوَّة التحكّم بالذات: ٦٧.

فما دامت الابتسامة لها هذا الأثر الطبّي المهمّ، وهي مجّانية بمعنىٰ الكلمة، فلماذا ترانا تركناها!؟ لقد نُشِرَ مقال بمجلّة (النجاح) الأمريكية تناول علاقة الأطفال بالابتسام، وذكر فيه أنَّ الأطفال يبتسمون ويضحكون حوالي (٤٠٠) مرَّة في اليوم، وإذا ما قارناهم بالكبار نجد أنَّ الكبار يبتسمون (١٤) مرَّة فقط في اليوم[١]!

من هنا، وردت الأوامر التربوية عن أهل البيت عليهم السلام بضرورة كون المؤمن هشّاً بشّاً، وأن يكون بشره في وجهه، وإن كان عنده حزن فهو في قلبه!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ، وَالاِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ»[٢].

فالابتسامة أسرع سهم تملك به القلوب، وهي مع ذلك عبادة وصدقة، فـ«تبسّمك في وجه أخيك صدقة»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من تبسَّم في وجه أخيه كانت له حسنة»[٤].

الطريق الثاني: البدء بالسلام:

من الطبيعي جدّاً أنَّك إذا لقيت أخاك بالبشاشة والابتسامة، فإنَّه سيبدأ بالسلام عليك إن لم تسبقه أنت بالفضل وتبدأه السلام، فإنَّ «البادي بالسلام أولىٰ بالله وبرسوله» كما قال الإمام الصادق عليه السلام[٥]، وهذا ما يقوّي أواصر المحبَّة بينكما.

---

(١) قوَّة التحكّم بالذات: ٦٦.

(٢) نهج البلاغة: ٤٦٩/ ح ٦.

(٣) صحيح ابن حبّان ٢: ٢٢١/ ح ٤٧٣.

(٤) الكافي ٢: ٢٠٦/ باب في إلطاف المؤمن وإكرامه/ ح ١.

(٥) الكافي ٢: ٦٤٥/ باب التسليم/ ح ٨.

من هنا تجد أنَّ من أهمّ علامات المؤمن أنَّه ليِّن المنكب يُوسِّع علىٰ أخيه والمنافق يتجافىٰ يُضيِّق علىٰ أخيه، والمؤمن يبدأ بالسلام والمنافق يقول: حتَّىٰ يُبدَأ بي[1].

ولذا قال ﷺ: «أطوعكم لله الذي يبدأ صاحبه بالسلام»[2].

وفي مقام بيان أثر السلام في جذب القلوب والتحابب، يقول رسول الله الأعظم ﷺ: «لا تدخلون الجنَّة حتَّىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنون حتَّىٰ تحابّوا، أوَ لا أدلّكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم!؟ أفشوا السلام بينكم»[3].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «السلام تحيَّة لملَّتنا، وأمان لذمَّتنا»[4].

الطريق الثالث: المصافحة:

ومن الطبيعي أيضاً أنَّك إذا ابتسمت في وجه أخيك وألقيت عليه السلام فإنَّكما ستتصافحان، وهنا تكمن طريقة أُخرىٰ من طرق تقوية الأواصر وكسب المحبَّة، فإنَّ وضع اليد في اليد علامة صدق المودَّة وعلامة التودّد وعدم الغدر...، وبالتالي سيحسُّ المقابل بأنَّه مقبل علىٰ من يُحِبُّه.

وعلي أيَّة حالٍ، نجد أنَّ الروايات الشريفة تذكر عدَّة آثار للمصافحة، وكلّها تصبُّ في ما نبغي من كسب القلوب وربح مودَّتها، **منها**: إذهاب الغلِّ من القلوب فيما لو كان موجوداً بسبب فعل سابق أو

---

(١) كنز العمّال ١: ١٥٦/ ح ٧٧٨.

(٢) كنز العمّال ٩: ١١٦/ ح ٢٥٢٥٣.

(٣) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ٤١٨.

(٤) بحار الأنوار ٧٣: ١٢/ ح ٤٦.

كلمة أو موقف، ولذا قال رسول الله الأعظم ﷺ: «تصافحوا فإنَّه يُذهِب بالغلِّ[1]، تصافحوا فإنَّ التصافح يُذهِب السخيمة»[2]، أي الحقد والضغينة.

ومنها: غفران الذنوب، كما قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ المؤمن إذا صافح المؤمن تفرَّقا من غير ذنب[3]، إذا صافح الرجل صاحبه فالذي يلزم التصافح أعظم أجراً من الذي يدع، ألَا وإنَّ الذنوب ليتحات فيما بينهم حتَّىٰ لا يبقىٰ ذنب»[4].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «إذا لقيتم إخوانكم فتصافحوا وأظهروا لهم البشاشة والبشر، تتفرَّقوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب»[5].

ولهذا وذاك كان المسلمون إذا غزوا مع رسول الله ﷺ ومرّوا بمكان كثير الشجر ثمّ خرجوا إلىٰ الفضاء نظر بعضهم إلىٰ بعض فتصافحوا - كما نقل ذلك الإمامان الباقران عليهما السلام -[6].

عن أبي عبيدة، قال: كنت زميل أبي جعفر عليه السلام، وكنت أبدأ بالركوب، ثمّ يركب هو، فإذا استوينا سلَّم وسأل مسألة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح، قال: وكان إذا نزل نزل قبلي، فإذا استويت أنا وهو علىٰ الأرض سلَّم وسأل مسألة من لا عهد له بصاحبه، فقلت: يا ابن رسول الله، إنَّك لتفعل شيئاً ما يفعله أحد من قبلنا وإن فعل مرَّة فكثير،

---

(١) عوالي اللئالي ١: ٢٩٤/ ح ١٨٢.

(٢) تحف العقول: ٥٥.

(٣) الخصال: ٢١ و٢٢/ ح ٧٥.

(٤) الكافي ٢: ١٨١/ باب المصافحة/ ح ١٣.

(٥) الخصال: ٦٣٣/ حديث أربعمائة.

(٦) الكافي ٢: ١٨١/ باب المصافحة/ ح ١٢.

فقال: أمَا علمت ما في المصافحة؟ إنَّ المؤمنين يلتقيان، فيصافح أحدهما صاحبه، فلا تزال الذنوب تتحاتُّ عنهما كما يتحاتُّ الورق عن الشجر، والله ينظر إليهما حتَّىٰ يفترقا»[1].

ومع الأسف نجد أنَّ مبدأ التصافح قد قلَّ هذه الأيّام بين المؤمنين، واكتفىٰ جلّهم برفع اليد من بعيد أو هزِّ الرأس - هذا لو ألقىٰ السلام -!

الطريق الرابع: المعانقة:

لو تأسَّفنا علىٰ مبدأ المصافحة لأنَّه قلَّ بين المؤمنين، فإنَّ أسفنا علىٰ مبدأ المعانقة أشدّ، لأنَّه قلَّ أكثر وأكثر بمرور الأيّام، إلَّا نادراً بين المؤمنين!

وأعتقد أنَّ قلَّة التزام المؤمنين بهذا المبدأ له أكثر من سبب، ولعلَّ منها الثقافة المستوردة من الغرب، فإنَّك لا تجد المصافحة عندهم إلَّا نادراً، وأمَّا المعانقة فهي شيمة المتخلِّفين عندهم! وحيث إنَّنا أبينا إلَّا تطوّراً وثقافةً - تطوّراً غربياً وثقافةً مستوردةً منهم -، فإنَّنا ومن حيث لا نشعر تأثَّرنا بذلك!

أمَّا تراثنا الإسلامي الأصيل، فإنَّه احتوىٰ علىٰ الكثير من التربويات الأدبية التي تحثُّ علىٰ هذا المبدأ، وسيكون عملاً مرتَّباً طبعاً يأتي بعد الابتسامة، فالسلام، فالمصافحة.

من هنا أكَّدت الروايات الشريفة علىٰ ضرورة المعانقة بين المؤمنين، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما

(١) الكافي ٢: ١٧٩/ باب المصافحة/ ح ١.

الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلَّا وجه الله، ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا، قيل لهما: مغفوراً لكما، فاستأنفا»[(١)].

وعن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام: «أيّما مؤمن خرج إلىٰ أخيه يزوره عارفاً بحقِّه كتب الله له بكلِّ خطوة حسنة، ومُحيت عنه سيِّئة، ورُفِعَت له درجة، وإذا طرق الباب فُتِحَت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه»[(٢)].

وعن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلَّا وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفوراً لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا علىٰ المسألة قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحّوا عنهما فإنَّ لهما سرّاً وقد ستر الله عليهما».

قال إسحاق: فقلت: جُعلت فداك، فلا يُكتَب عليهما لفظهما وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨]؟

قال: فتنفَّس أبو عبد الله عليه السلام الصعداء ثمّ بكىٰ حتَّىٰ اخضلَّت دموعه لحيته، وقال: «يا إسحاق، إنَّ الله تبارك وتعالىٰ إنَّما أمر الملائكة أن تعتزل عن المؤمنين إذا التقيا إجلالاً لهما وإنَّه وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ولا تعرف كلامهما فإنَّه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السرِّ وأخفىٰ»[(٣)].

الطريق الخامس: الزيارة:

لا شكَّ أنَّ العلاقات الاجتماعية كالشجرة، تحتاج - حتَّىٰ تأكل

---

(١) الكافي ٢: ١٨٤/ باب المعانقة/ ح ٢.

(٢) الكافي ٢: ١٨٣ و١٨٤/ باب المعانقة/ ح ١.

(٣) الكافي ٢: ١٨٤/ باب المعانقة/ ح ٢.

من ثمراتها - إلىٰ رعاية مستمرَّة، وأهمّ ما تحتاجه الشجرة هو السقي المستمرّ، وسقاية شجرة المودَّة والمحبَّة تكمن فيما تكمن في الزيارات المتبادلة والدورية خصوصاً في المناسبات.

فعن رسول الله ﷺ: «الزيارة تُنبِت المودَّة»[1].

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «لقاء الإخوان مغنم جسيم وإن قلّوا»[2].

ولو لم يكن في زيارة الإخوان إلَّا نكاية إبليس، لكان هذا أعظم مغنم، حيث ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «ليس شيء أنكىٰ لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات، ومن أعتق رقبة مؤمنة وقىٰ كلُّ عضو عضواً منه من النار حتَّىٰ أنَّ الفَرْج يقي الفَرْج»[4].

نعم، لا بدَّ في الزيارة من أُمور مهمَّة - حتَّىٰ تكتمل الصورة وتحصل علىٰ النتائج المرجوَّة من تثبيت المودَّة وزيادة المحبَّة -، وهي:

أوَّلاً: أن تكون الزيارة لله تعالىٰ، لا لأجل مصلحة مؤقَّتة، فإنَّ علاقة المصلحة تنتهي بانتهاء المصلحة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من زار أخاه لله لا لغيره التماس موعد الله وتنجّز ما عند الله وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادونه: ألَا طبت وطابت لك الجنَّة»[5].

---

(١) بحار الأنوار ٧١: ٣٥٥/ ح ٣٦.

(٢) الكافي ٢: ١٧٩/ باب زيارة الإخوان/ ح ١٦.

(٣) الكافي ٢: ١٨٨/ باب تذاكر الإخوان/ ح ٧.

(٤) الكافي ٢: ١٧٨/ باب زيارة الإخوان/ ح ١٣.

(٥) الكافي ٢: ١٧٥/ باب زيارة الإخوان/ ح ١.

وعن رسول الله ﷺ: «من زار أخاه في بيته، قال الله ﷻ له: أنت ضيفي وزائري، عليَّ قراك وقد أوجبت لك الجنَّة بحبِّك إيّاه»[١].

ثانياً: أن لا تكثر بحيث تولِد الملالة، بل تكون بصورة دورية وبفترات مختلفة، كما روي عن رسول الله ﷺ: «زُرْ غبّاً تزدد حبّاً»[٢].

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «إغباب الزيارة أمان من الملالة»[٣].

ثالثاً: عليك باختيار الأوقات المناسبة للزيارة، فلا تزر أحداً في وقت راحته أو نومه، ولا تزره في وقت طعامه من دون إشعار مسبق، والأفضل أن تتَّصل به أو تضرب معه موعداً مسبقاً للزيارة، حتَّىٰ يكون مهيَّئاً لاستقبالك.

رابعاً: أن تجلس حيث يطلب منك صاحب البيت، فإنَّه - كما في بعض الروايات الشريفة - أدرىٰ بعورة منزله منك.

عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام، قال: «إذا دخل أحدكم علىٰ أخيه في رحله، فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل، فإنَّ صاحب الرحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه»[٤].

ولا شكَّ أنَّ طلبه منك الجلوس في مكان معيَّن إمَّا لأنَّه يُحِبُّك فيريد منك أن تجلس في مكان يُحِبُّه لك، وإمَّا لأنَّك مؤمن ولا تُحِبُّ أن تقع عينك علىٰ ما لا يحلُّ لك، فهو يساعدك في ذلك.

خامساً: لا شكَّ أنَّ لكلِّ بيت خصوصياته، ولا شكَّ أنَّنا لا نُحِبُّ

---

(١) الكافي ٢: ١٧٧/ باب زيارة الإخوان/ ح ٦.

(٢) بحار الأنوار ٧١: ٣٥٥/ ح ٣٦؛ مستدرك الحاكم ٣: ٣٤٧.

(٣) ميزان الحكمة ٢: ١١٩٣/ الرقم ١٦٧٣.

(٤) قرب الإسناد للحميري: ٦٩/ ح ٢٢٢.

مـن الآخـر أن يتـدخَّل في خصوصـياتنا مـا لم نطلـب منـه ذلـك، فخـذ هـذا بعين الاعتبار ولا تتعدّاه أبداً[1].

الطريق السادس: اللين واللباقة في الأقوال والأفعال:

أنت لا تعرف من أخيك إلَّا مـا يظهـر منـه مـن أقـوال وأفعـال، ولعـلَّ

---

(١) لتتميم الفائدة نذكر آداب زيارة المريض نقلاً عن (تعليقة علىٰ العروة الوثقىٰ للسيد عليّ السيستاني ١: ٢٨١ و٢٨٢):

في استحباب عيادة المريض وآدابها:

عيادة المريض من المستحبّات المؤكَّدة، وفي بعض الأخبار أنَّ عيادته عيادة الله تعالىٰ، فإنَّه حاضر عند المريض المؤمن، ولا تتأكَّد في وجع العين والضرس والدُّمَّل، وكذا من اشتدَّ مرضه أو طال، ولا فرق بين أن تكون في الليل أو في النهار، بل يُستَحبُّ في الصباح والمساء، ولا يُشتَرط فيها الجلوس، بل ولا السؤال عن حاله. ولها آداب:

أحدها: أن يجلس عنده، ولكن لا يطيل الجلوس، إلَّا إذا كان المريض طالباً.

الثاني: أن يضع العائد إحدىٰ يديه علىٰ الأُخرىٰ أو علىٰ جبهته حال الجلوس عند المريض.

الثالث: أن يضع يده علىٰ ذراع المريض عند الدعاء له أو مطلقاً.

الرابع: أن يدعو له بالشفاء، والأولىٰ أن يقول: «اللّهمّ اشفه بشفائك، وداوه بدوائك، وعافه من بلائك».

الخامس: أن يستصحب هدية له من فاكهة أو نحوها ممَّا يفرحه ويريحه.

السادس: أن يقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين، أو أربعين مرَّة، أو سبع مرّات، أو مرَّة واحدة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «لو قُرأت الحمد علىٰ ميِّت سبعين مرَّة ثمّ رُدَّت فيه الروح ما كان ذلك عجباً»، وفي الحديث: «ما قُرئ الحمد علىٰ وجع سبعين مرَّة إلَّا سكن بإذن الله، وإن شئتم فجرِّبوا ولا تشكّوا»، وقال الصادق عليه السلام: «من نالته علَّة فليقرأ في جيبه الحمد سبع مرّات». وينبغي أن ينفض لباسه بعد قراءة الحمد عليه.

السابع: أن لا يأكل عنده ما يضرّه ويشتهيه.

الثامن: أن لا يفعل عنده ما يغيظه أو يُضيِّق خُلُقه.

التاسع: أن يلتمس منه الدعاء، فإنَّه ممَّن يُستجاب دعاؤه، فعن الصادق صلوات الله عليه: «ثلاثة يُستجاب دعاؤهم: الحاجُّ، والغازي، والمريض».

أثـر الأقـوال أشـدّ مـن أثـر الأفعـال، مـن هنـا تجـد في الإسـلام منظومـة متكاملة حول الأقوال إيجاباً وسلباً.

وفـيما يتعلَّـق بتقويـة آصرة المـودَّة والمحبَّـة تجـد أنَّ هنـاك العديـد مـن الأقـوال ينبغـي قولهـا، وأُخـرىٰ ينبغـي تجنّبهـا، فمـثلاً لـين الكـلام مـع الأصدقاء مطلـوب حتَّـىٰ لا ينفـر منـك أصـدقاؤك، فـإنَّهم إذا وجـدوك ليِّنـاً في أقوالـك معهـم فـإنَّهم سـيأمنون عـلىٰ أنفسـهم وأعراضـهم مـن ثـورة ألفاظك. وينبغي قبول عـذر الأخ لـو اعتـذر، فـإن لم يكـن لـه عـذر فـالتمس له عذراً.

ومثلاً ينبغي تجنّـب الجـدال والمـراء، فـإنَّ كثـرة المـراء سـبب الشـحناء، وتجنّب الحسد فإنَّه كما يأكل الحسنات يُحرق المودّات.

وباختصـار إنَّ مجاملـة النـاس ثلـث العقـل - كـما ورد في الروايـة الشـريفة -، قـال أمـير المـؤمنين عليه السلام: «عـوِّد لسـانك لـين الكـلام وبـذل السلام، يكثر محبّوك ويقلَّ مبغضوك»[1].

وفي هذا المضمار جاء التأكيد علىٰ إعلان المودَّة والمحبَّة، فإنَّها من مقتضيات تقوية المحبَّة والمودَّة، فقد روي أنَّه مرَّ رجل في المسجد وأبو جعفر عليه السلام جـالس وأبو عبد الله عليه السلام، فقال له بعض جلسائه: والله إنّي لأُحِبُّ هذا الرجل، قال له أبو جعفر: «ألَا فأعلمه، فإنَّه أبقىٰ للمودَّة، وخير في الأُلفة»[2].

وروي عـن النبـيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّـه قـال: «إذا أحـبَّ الرجـل أخـاه، فليُخـبِره أنَّه يُحِبُّه»[3].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٣٤٠.

(٢) المحاسن ١: ٢٦٦/ ح ٣٤٧.

(٣) سنن أبي داود ٢: ٥٠٣/ ح ٥١٢٤.

الطريق السابع: الزهد في ما في أيدي الناس:

لعلَّ أهمّ ما يُقلِق الناس هذه الأيّام هو فقدانهم لما جمعوه من مال - ولو كان قليلاً -، وهذا القلق تشعَّب ليُولِّد قلقاً من الأولاد أو اللصوص أو الخسائر المفاجئة أو التقلّبات الاقتصادية العالمية التي تلقي بخسائرها الفادحة علىٰ جميع المتموّلين، ومن ضمن من يُخاف منهم علىٰ المال هم المعارف والأصحاب والأصدقاء، حيث يخاف الواحد منّا أن يستغلّه أصحابه فيأخذوا من أمواله من حيث يعلم أو لا يعلم.

هذا بالإضافة إلىٰ أنَّ الكثير منّا قد اكتشف - ولو بعد حين - أنَّ عدَّة علاقات قد أقامها مع أُناس ظنَّهم أصدقاء حقيقة كانت علاقات من أجل اكتساب مصلحة منه، وما أن تنتهي المصلحة حتَّىٰ تنتهي تلك العلاقة، وبالتالي فقد امتدَّت جذور الشكِّ لتشمل أكثر من نقيم معهم علاقات، ظنّاً منّا أنَّهم إنَّما أقاموا معنا علاقة من أجل أن يستنزفوا منّا ما نملكه، أو من أجل أن يقضوا منّا مآربهم.

من أجل هذا وذاك، احتاج من يريد أن يدخل إلىٰ قلوب الناس ويكتسب محبَّتهم أن يُعلِمهم أنَّه إنَّما صادقهم لله تعالىٰ، وأن يُثبِت ذلك عملياً، وأن يُظهِر الزهد في ما يملكونه، وتكون أعماله مطابقة لما يدَّعيه من الزهد في هذا المجال.

والحقيقة أنَّ المرء يحتاج إلىٰ هذا النوع من الزهد لعدَّة أسباب، منها:

السبب الأوَّل: ما تلوناه قبل قليل، حيث سيفهم الآخرون أنَّه إنَّما يقيم معهم علاقة مبدئية لا تقوم علىٰ المصلحة، وبالتالي سيفتحون له قلوبهم ويُحكّمونه فيها.

السبب الثاني: إنَّ المسلم ينبغي له أن لا يعتمد إلَّا علىٰ ما عند الله تعالىٰ، فحيث إنَّه تعالىٰ هو الرزّاق الوحيد المستقلّ في هذا الكون، وحيث إنَّ كلَّ ما في الوجود هو ملك له تعالىٰ، يؤتيه من يشاء ويمنعه من يشاء، إذن لا بدَّ للعاقل أن يختار افتقاره إلىٰ الله تعالىٰ، وأن يعمل من أجل أن يكتسب عن طريق الله تعالىٰ لا غير. نعم، الناس أسباب لذلك الرزق، ولكن ينبغي أن يكون المطلوب منه أوَّلاً وبالذات هو الباري تعالىٰ، وهذا يستبطن الزهد ممَّا في أيدي الناس والتوجّه لما عند الله تعالىٰ، و«من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس»[1]، ذلك لأنَّ ﴿إِنَّ اللهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحجّ: ٣٨).

السبب الثالث: إنَّ الرغبة فيما عند الناس تستدعي إمَّا الذلَّة - لو منّوا عليك مستعلين بذلك عليك -، وإمَّا الحسد - لو لم تنل من أموالهم شيئاً -، وإمَّا الحسرة - فيما لو رأيت النعم تتوالىٰ عليهم وأنت واقف علىٰ التلِّ تتابع -، وكلُّ ذلك ممَّا لا يحتاج إلىٰ بيان كره الإنسان له.

وعلاج ذلك كلّه ما قاله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقى ﴿١٣١﴾﴾ (طه: ١٣١).

لكلِّ ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تحبَّبْ إلىٰ الناس بالزهد في ما بين أيديهم، تفز بالمحبَّة منهم»[2].

الطريق الثامن: العمل بالحقِّ:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عمل بالحقِّ مال إليه الخلق»[3].

---

(١) نهج البلاغة: ٤٨٣/ ح ٨٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٢٠٠.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٦٠.

مهما اختلف الناس في تقييم بعضهم البعض، إلَّا أنَّهم لا يختلفون في استقامة العامل بالحقِّ!

إنَّ العمل بالحقِّ له مراتب، تبدأ بالتعامل مع النفس وفق الحقِّ، فلا يُعطيها إلَّا ما هو موافق للحقِّ، ويمنعها من كلِّ ما هو مخالف له.

ثمّ بالتعامل مع الأهل وفق مبدأ الأمر المعروف والنهي عن المنكر، وهاتان المرتبتان أشار لهما القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ (التحريم: ٦).

وتنتهي بالعمل بالحقِّ مع بقيَّة الناس علىٰ اختلاف مشاربهم، فـ «لئن يهدي الله علىٰ يديك رجلاً خير لك ممَّا طلعت عليه الشمس وغربت» كما قال ذلك الرسول الأكرم ﷺ للإمام عليٍّ عليه السلام حينما بعثه لليمن[١].

طبعاً لا بدَّ من ملاحظة أمر مهمّ للغاية في قضيَّة التعامل الحقّ، وهي: اللباقة في ذلك، أو كما قال القرآن الكريم: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (المؤمنون: ٩٦)، وعلىٰ قاعدة «لا تحملنَّ عليه ما لا يُطيقه فتكسره»[٢]، وعلىٰ مبدأ (لا تكن ظهراً فيُركَب ولا ضرعاً فيُحلَب)[٣]، أو (لا تكن رطباً فتُعصَر، ولا يابساً فتُكسَر، ولا حلوا فتُسترَط، ولا مرّاً فتُلفَظ)[٤].

---

(١) الكافي ٥: ٢٨/ باب وصيَّة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا/ ح ٤.

(٢) الخصال: ٤٤٨/ ح ٤٩.

(٣) أُنظر: نهج البلاغة: ٤٦٩/ ح ١ بتصرّف.

(٤) زهر الآداب للقيرواني ٤: ١٠٥٥.

وهـذا يحتـاج إلىٰ ذكـاء حـادٍّ، ورأي نافـذ، للتعـرّف علىٰ ظـروف التعامل المناسبة، فرُبَّ موقف يفرض عليك أن تقف موقفاً حادّاً جادّاً لا ليونة فيه، وفق مبدأ «أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقىٰ أهل المعاصي بوجوه مكفهرَّة»[١]، ورُبَّ موقف آخر يُحتِّم عليك الليونة وترك الخشونة، علىٰ مبدأ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ (التوبة: ٦).

وهذه حياة أهل البيت عليهم السلام بين يديك، تجد فيها الدستور الكامل للهداية إلىٰ الظروف المناسبة لأنواع التعامل، فبينما يُحرق أمير المؤمنين عليه السلام من قالوا بأُلوهيته[٢]! يعفو عن خارجي كفَّره وجهاً لوجه وبحضرة أصحابه[٣]!

إنَّ التعامل بالحقِّ يُمثِّل منظومة متكاملة في تربويات الإسلام، لذا ينبغي أخذه بعين الاعتبار. وتتبّع حياة الرسول الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام وكلماتهم كفيلة برسم الصورة الواضحة لتلك المنظومة.

---

(١) الكافي ٥: ٥٩/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ح ١٠.

(٢) فقد روي أنَّه جاء أُناس إلىٰ عليٍّ بن أبي طالب من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أنت هو. قال: «من أنا؟»، قالوا: أنت هو، قال: «ويلكم من أنا؟»، قالوا: أنت ربُّنا، أنت ربُّنا. قال: «ارجعوا»، فأبوا، فضرب أعناقهم، ثمّ خدَّ لهم في الأرض، ثمّ قال: «يا قنبر، ائتني بحزم الحطب»، فأحرقهم بالنار، ثمّ قال: «لـمَّا رأيت الأمر أمراً منكراً ❊ أوقدت ناري ودعوت قنبراً». (تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢: ٤٧٦).

(٣) فقد روي أنَّه عليه السلام كان جالساً في أصحابه، فمرَّت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: «إنَّ أَبْصَارَ هَذِه الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ امْرَأَةٍ تُعْجِبُه فَلْيُلَامِسْ أَهْلَه، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِه»، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: «رُوَيْداً إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ». (نهج البلاغة: ٥٥٠/ ح ٤٢٠).

الطريق التاسع: دعوة الناس بأحبِّ الأسماء إليهم:

لا شكَّ أنَّ أشهر ما يدلُّ علىٰ الإنسان هو اسمه، ولا شكَّ أنَّ كلَّ واحد منّا يُحِبُّ اسمه، ويُحِبُّ منه دلالته عليه، وبالتالي يُحِبُّ أن يناديه الناس به.

ثمّ إنَّه قد جرت العادة علىٰ أن يكون للإنسان أكثر من اسم[١]، فهناك اسم، وكنية، ولقب، وكلّها تدلُّ علىٰ الشخص والشخصية، ولا شكَّ أنَّ هذه الأسماء ليست علىٰ مستوىٰ واحد من القرب إلىٰ قلب المسمّىٰ بها، وأنَّ الناس يختلفون في تفضيل بعضها علىٰ البعض الآخر، فهناك من يُحِبُّ كنيته أكثر، وهناك من يُحِبُّ لقبه أكثر، وهناك من يُحِبُّ اسمه أكثر، وأنت حتَّىٰ تنجح في علاقتك مع الناس ينبغي عليك أن تبحث عن أكثر ما يُحِبّون أن تناديهم به، فتناديهم به!

يقول الرسول الأكرم ﷺ: «ثلاث يصفين لك ودَّ أخيك: تُسلِّم عليه إذا لقيته، وتُوسِّع له في المجلس، وتدعوه بأحبِّ أسمائه إليه»[٢].

لذلك تجد في الإسلام حرصاً شديداً علىٰ قضيَّة التسمية بالأسماء الجميلة اللطيفة، واعتبرتها بعض الأحاديث من أوَّل الواجبات الملقاة علىٰ عاتق الأب بالنسبة إلىٰ ولده. ولأهمّية هذا الموضوع أذكر هذه الأحاديث التي ترسم صورة واضحة عن هذا المبحث:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «حدَّثني أبي، عن جدّي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا، فإن لم تدروا أذكر أم أُنثىٰ فسمّوهم بالأسماء التي تكون للذكر والأُنثىٰ، فإنَّ

---

(١) أُريد من الاسم هنا الأعمّ من الاصطلاح النحوي.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ٤٢٩.

أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسمّوهم يقول السقط لأبيه: ألَا سمَّيتني! وقد سمّىٰ رسول الله ﷺ محسناً قبل أن يُولَد»[(١)].

وعن أبي الحسن عليه السلام، قال: «أوَّل ما يبرُّ الرجل ولده أن يُسمّيه باسم حسن، فليُحسِن أحدكم اسم ولده»[(٢)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لا يُولَد لنا ولد إلَّا سمّيناه محمّداً، فإذا مضىٰ (لنا) سبعة أيّام فإن شئنا غيَّرنا وإن شئنا تركنا»[(٣)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «من وُلِدَ له أربعة أولاد لم يسمِّ أحدهم باسمي فقد جفاني»[(٤)].

واستعمل معاوية مروان بن الحكم علىٰ المدينة، وأمره أن يفرض لشباب قريش، ففرض لهم، فقال عليُّ بن الحسين عليهما السلام: «فأتيته، فقال: ما اسمك؟ فقلت: عليُّ بن الحسين، فقال: ما اسم أخيك؟ فقلت: عليٌّ، قال: عليٌّ وعليٌّ؟! ما يريد أبوك أن يدع أحداً من ولده إلَّا سمّاه عليّاً؟! ثمّ فرض لي، فرجعت إلىٰ أبي فأخبرته، فقال: ويلي علىٰ ابن الزرقاء دباغة الأدم، لو وُلِدَ لي مائة لأحببت أن لا أُسمّي أحداً منهم إلَّا عليّاً»[(٥)].

وعن سليمان الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمّد، أو أحمد، أو عليّ، أو الحسن، أو الحسين، أو جعفر، أو طالب، أو عبد الله، أو فاطمة من النساء»[(٦)].

---

(١) الكافي ٦: ١٨/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ٢.
(٢) الكافي ٦: ١٨/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ٣.
(٣) الكافي ٦: ١٨/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ٤.
(٤) الكافي ٦: ١٨/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ٦.
(٥) الكافي ٦: ١٩/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ٧.
(٦) الكافي ٦: ١٩/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ٨.

وعن جابر، قال: أراد أبو جعفر عليه السلام الركوب إلىٰ بعض شيعته ليعوده، فقال: «يا جابر، ألحقني»، فتبعته، فلمَّا انتهىٰ إلىٰ باب الدار خرج علينا ابن له صغير، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «ما اسمك؟»، قال: محمّد، قال: «فبما تُكنّىٰ؟»، قال: بعلي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «لقد احتظرت من الشيطان احتظاراً شديداً، إنَّ الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمّد يا عليُّ، ذاب كما يذوب الرصاص، حتَّىٰ إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوٍّ من أعدائنا اهتزَّ واختال»[1].

ولأجل أهمّية هذا الموضوع، ورد النهي - بنحو الكراهة - عن التسمية ببعض الأسماء، لما فيها من دلالات سلبية، وورد أنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله غيَّر بعض الأسماء لأجل ذلك.

فعن ابن بكير، عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّ رجلاً كان يُغشي عليَّ بن الحسين عليهما السلام، وكان يُكنّىٰ أبا مرَّة، فكان إذا استأذن عليه يقول: أبو مرَّة بالباب، فقال له عليُّ بن الحسين عليه السلام: بالله إذا جئت إلىٰ بابنا فلا تقولنَّ: أبو مرَّة»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُغيِّر الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان»[3].

ووفد علىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله رجل فقال: «ما اسمك؟»، فقال: بغيض، قال: «أنت حبيب، فسمّاه حبيباً»[4].

---

(١) الكافي ٦: ١٩ و٢٠/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ١٢.
(٢) الكافي ٦: ٢١/ باب الأسماء والكنىٰ/ ح ١٧.
(٣) قرب الإسناد: ٩٣/ ح ٣١٠.
(٤) أُسد الغابة لابن الأثير ١: ٣٧٤.

وأنـت تعلـم أنَّ المدينـة المنـوَّرة كانـت تُسـمّىٰ يثـرب، فسـمّاها النبـيُّ الأكرم ﷺ بعد هجرته إليها بالطيبة(١).

(**جـيم فـارلي**) مـا إن بلـغ الأربعـين مـن عمـره حتَّـىٰ منحتـه أربـع جامعـاتٍ درجاتهـا الفخريـة، وتـمَّ تعيينـه مـديراً للبريـد العـامِّ في الولايـات المتَّحدة، فما سرُّ نجاحه؟ كان يمتلـك مقـدرةً فائقـةً عـلىٰ تـذكُّر أسـماء النـاس. كـان يلقـىٰ الرجـل فيتعـرَّف عـلىٰ اسـمه الكامـل وأسـماء أولاده وأهلـه المقـرَّبين، ويستفسـر عـن عملـه وميولـه السياسـية ونزعاتـه الفكريـة، ثـمّ يختـزن كـلَّ ذلـك في ذاكرتـه حتَّـىٰ إذا التقـىٰ بـه ثانيـةً سـار الحـديث بيـنهما وكأنَّه لم ينقطع عنـه. فيسـأله (جـيم) عـن أولاده وزوجتـه وأزهـار حديقتـه، وفي لغــة يشــعر معهــا المســؤول بقرابتــه الفعليــة مــن قلــب (جــيم) وعواطفه(٢).

---

(١) أُنظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥: ٢٩٢/ مادَّة (يثرب).

ومن الطرائـف مـا روي مـن أنَّـه وفـد الأحنـف بـن قـيس وجاريـة بـن قدامـة والحبّـاب بـن يزيـد المجاشـعي عـلىٰ معاويـة، فقـال لجاريـة: يـا جاريـة! أنـت السـاعي مـع عـليٍّ بـن أبي طالـب، والموقـد النـار في شـعلك، تجـوس قـرىٰ عربيـة تسـفك دمـاءهم؟ قـال جاريـة: يـا معاويـة! دع عنـك عليّـاً، فـما أبغضـنا عليّـاً مـذ أحببنـاه، ولا غششـناه مـذ نصـحناه. قـال: ويحك يا جارية! ما كان أهونـك عـلىٰ أهلـك إذ سـمّوك جاريـة! قـال: أنـت يـا معاويـة كنـت أهـون عـلىٰ أهلـك إذ سـمّوك معاويـة. قـال: لا أُمَّ لـك. قـال: أُمٌّ مـا ولـدتني. إنَّ قـوائم السـيوف التـي لقينـاك بهـا بصـفّين في أيـدينا. قـال: إنَّـك لتُهـدِّدني! قـال: إنَّـك لم تملكنـا قسـرة، ولم تفتحنـا عنـوة، ولكـن أعطيتنـا عهـوداً ومواثيـق، فـإن وفيـت لنـا وفينـا لـك، وإن نزعـت إلىٰ غـير ذلـك فقـد تركنـا وراءنـا رجـالا مـداداً وأذرعـا شـداداً وأسـنَّة حـداداً، فـإن بسطت إلينـا فـتراً مـن غـدر دلفنـا إليـك ببـاع مـن خـتر. قـال معاويـة: لا كثَّـر الله في النـاس أمثالك! قال: قـل معروفـاً يـا أمـير...! فقـد بلونـا قريشـاً، فوجـدناك أوراهـا زنـداً، وأكثرهـا رفداً، فارعنا رويداً، فإنَّ شرَّ الرعاء الحطمة. (تهذيب الكمال للمزي ٤: ٤٨٢ و٤٨٣).

(٢) أُنظر: فنُّ التعامل مع الناس لعبد الرحمن الجار الله: ١٤ و١٥.

وهكـــذا إذا أردت أن يُحِبَّــك النـــاس فـــاذكر أســـماءهم، لأنَّ اســـم الرجل هو من أقرب الطرق لكسبه.

الطريق العاشر: تعامل مع الفئات العمرية بذكاء:

إنَّ النـاس إمَّـا أصـغر منـك عمـراً، وإمَّـا بـنفس عمـرك، وإمَّـا أكـبر منـك، وحتَّـىٰ تـدخل في قلـوب هـؤلاء جميعـاً فإنَّـك تحتـاج إلىٰ أُسـلوب مناسب مع كلِّ واحدٍ منهم، وقد تكفَّلت تربويات الدين ببيان ذلك.

أمَّا من هم أصغر منك، فهنا نقاط كثيرة، نذكر منها:

أوَّلاً: أن تحـاكم بيـنهم فـيما لـو دعـت الضـرورة إلىٰ ذلـك بالعـدل، لأنَّهـم عنـدما يـأتون للكبـير يريـدون منـه أن يتفاعـل معهـم، وأن ينصـفهم، وأن يعـاملهم وكـأنَّهم كبـار، فقـد ورد عـن الإمـام الصـادق عليه السلام: «أنَّ أمـير المؤمنين عليه السلام ألقىٰ صبيان الكتـاب ألـواحهم بـين يديـه ليُخـيِّر بيـنهم، فقـال: أمَّـا إنَّهـا حكومـة! والجـور فيهـا كـالجور في الحكـم! أبلغـوا معلِّمكـم إن ضربكم فوق ثلاث ضربات في الأدب أقتصُّ منه»[1].

ثانيـاً: ينبغـي أن يبـدأ بالسـلام علـيهم، وليتـأسَّ بـالنبيِّ الأكـرم صلى الله عليه وآله، فإنَّه كان يُسلِّم علىٰ الصبيان لتكون سُنَّة من بعده[2].

ثالثاً: عدم التعنيف في المعاتبـة عنـدما يُخطـئ، فالطفـل لـيس معصـوماً، وبالتالي سيقع في الخطأ، وليس صحيحاً أن أتغاضىٰ عن الخطأ، وإنَّما لا بـدَّ مـن المعاتبة، ولكن كيف؟ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا عاتبت الحـدث فـاترك لـه موضعاً من ذنبه، لئلَّا يحمله الإخراج علىٰ المكابرة»[3].

---

(١) الكافي ٧: ٢٦٨/ باب النوادر/ ح ٣٨.

(٢) أُنظر: الخصال: ٢٧١ و٢٧٢/ ح ١٢ و١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٣٣٣/ ح ٨١٩.

رابعاً: العمل علىٰ إرضائه وتسكيته عندما يبكي، فإنَّ ذلك أكثر ما يُحبِّبك إلىٰ الأحداث، وفيه من الثواب ما لا يعلمه إلَّا الله تعالىٰ، يقول رسول الله ﷺ: «من بكىٰ صبي له فأرضاه حتَّىٰ يُسكِته أعطاه الله ﷻ من الجنَّة حتَّىٰ يرضىٰ»[1].

وخصوصاً إذا كان يتيماً، فـ «إنَّ في الجنَّة داراً يقال لها: دار الفرح، لا يدخلها إلَّا من فرَّح يتامىٰ المؤمنين»[2].

خامساً: الوفاء بالوعد معهم، وهو أمر مهمٌّ في مجال التربية والتعليم، فإنَّ الكذب بالوعد معهم يُبرِّر لهم الكذب في المستقبل، وحجَّتهم في ذلك الفعل الذي صدر من أبيهم أو من الرجل الكبير الذي كذب عليهم بالوعد، ولذا يقول رسول الله ﷺ: «أحبّوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإنَّهم لا يدرون إلَّا أنَّكم ترزقونهم»[3].

سادساً: لا تكن منغِّصاً لفرحهم وسرورهم، وإن كان هذا علىٰ حساب كسر الكأس الجديد، أو إتلاف كتاب مهمّ عندك، فالطفل طفل وليس حكيماً! ولا أظنُّ أنَّهم يُفسِدون شيئاً فريداً في هذا الكون ولا يوجد ثانٍ له أو بديل!

أمَّا من هم أكبر منك، فقبل أن نذكر آداب التعامل معهم، لا بدَّ أن نتذكَّر أمرين مهمّين:

---

(١) الفردوس ٣: ٥٤٩/ ح ٥٧١٥ عن ثوبان؛ نقله عنه: تربية الطفل في الإسلام للريشهري: ١١٩/ ح ٣٤٢.
(٢) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٥٤/ ح ٢٣٢٢.
(٣) الكافي ٦: ٤٩/ باب برّ الأولاد/ ح ٣.

الأمـر الأوّل: إنَّ كـبر السـنِّ يُشـكِّل صـعوبة في التعامـل - إذا صـحَّ التعبير -، فـالقرآن الكـريم يُعـبِّر عـن تلـك المرحلـة بــ ﴿وَمِـنْكُمْ مَـنْ يُـرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُـرِ لِـكَيْ لا يَعْلَـمَ بَعْـدَ عِلْـمٍ شَـيْئاً﴾ (النحـل: ٧٠)، بمعنـىٰ أنَّ الإنسان يبدأ طفـلاً، وقـد يعـود طفـلاً في يـوم مـن الأيّـام، وإن كـان هـذا لا يُعَدُّ قاعدة عامَّة، وإنَّما عـلىٰ الأقـلِّ هـو واقـع معـاش وطبيعـي، خصوصـاً إذا ضـممنا إليـه اخـتلاف الثقافـات بـين الأجيـال. وهـذا مـا يـؤدّي إلىٰ أن لا يقبـل الكبـير الكثـير مـن التصـرّفات مـن الشـباب، أو يـؤدّي إلىٰ صـعوبة تعايش الشباب مـع ثقافـة الكبـير الموروثـة. مـن هنـا ورد عـن أمـير المـؤمنين عليه السلام: «لا تقسـروا أولادكـم عـلىٰ آدابكـم، فـإنَّهم مخلوقـون لزمـان غـير زمانكم»[١].

الأمـر الثـاني: ولكـن رغـم هـذا، ورد التأكيـد الشـديد عـلىٰ ضرورة التعامل المناسـب مـع الكبـير، سـواء كـان رحمـاً كـالأب والأُمِّ، حيـث أُمرنـا بالتعامـل معهـم وفـق التـالي: ﴿وَقَضـى رَبُّـكَ أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّـاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْـدَكَ الْكِـبَرَ أَحَـدُهُما أَوْ كِلاهُمـا فَـلا تَقُـلْ لَهُمـا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمـا وَقُـلْ لَهُمـا قَـوْلاً كَرِيمـاً ﴿٢٣﴾ وَاخْفِـضْ لَهُمـا جَنـاحَ الذُّلِّ مِـنَ الرَّحْمَـةِ وَقُـلْ رَبِّ ارْحَمْهُمـا كَمـا رَبَّيـانِي صَـغِيراً ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء: ٢٣ و٢٤). أو غـير رحـم، مـن هنـا ورد عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «مـن إجـلال الله إجـلال ذي الشـيبة المسـلم»[٢]، «إنَّ مـن إجـلالي تـوقير الشـيخ مـن أُمَّتي»[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٦٧/ ح ١٠٢.

(٢) الكافي ٢: ١٦٥/ باب إجلال الكبير/ ح ١.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٧٧/ ح ٢٤٧٠.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «عظِّموا كباركم، وصلوا أرحامكم»[١]، «ليس منّا من لم يُوقِّر كبيرنا ويرحم صغيرنا»[٢].

وحتَّىٰ تتَّضح الصورة نذكر عدَّة أُمور مهمَّة تُمثِّل آداب التعامل مع الكبير:

أوَّلاً: لا تستغلّ قوَّتك وخفَّة وزنك لتتقدَّم عليه عندما تمشي معه، بل انتظره وماشه وخذ بيده، وإلَّا فإنَّ القوس آتٍ إليك بلا ثمن!

ثانياً: استمع إليه إذا تحدَّث، ولا تُظهِر الضجر من حديثه وإن كان مملًّا! بل أظهر أنَّك مهتمٌّ بكلامه وبنصائحه. وأكثِر من استشارته، فلا شكَّ أنَّ له خبرة في الحياة أكثر منك بكثير.

ثالثاً: إن ظهر منه خطأ، فحاول أن تنصحه برفق وبأُسلوب غير مباشر، كما فعل الإمامان الحسنان عليهما السلام مع الشيخ الكبير في حادثة الوضوء المعروفة[٣].

رابعاً: ساعده، واحمل الأشياء الثقيلة عنه، ولا تُكلِّفه بما لا يُطيقه!

وأمَّا الذين هم في سنِّك، فالتعامل معهم يكون وفق التالي:

أوَّلاً: اُنظر إلىٰ الجوانب المشرقة في تصرّفاتهم وأخلاقهم، ولا تنظر إلىٰ نقاط الضعف فيهم، ولا تُضخِّمها لو نظرت إليها، فإنَّ ذلك من أخلاق السفهاء، وهو مدعاة إلىٰ أن ينصرف عنك الناس، وخصوصاً من هم في عمرك، لأنَّهم لا يريدون أن ينظر أحد إلىٰ سلبياتهم، كما أنت كذلك تماماً.

---

(١) الكافي ٢: ١٦٥/ باب إجلال الكبير/ ح ٣.

(٢) الكافي ٢: ١٦٥/ باب إجلال الكبير/ ح ٢.

(٣) راجع: بحار الأنوار ٤٣: ٣١٩.

وقـد ورد أنَّ النبـيَّ عيسـىٰ عليه السلام مـرَّ هـو والحـواريين عـلىٰ جيفـة، فقـالوا: مـا أنـتن ريـح هـذا الكلـب! فقـال عيسـىٰ عليه السلام: «مـا أشـدّ بيـاض أسنانه!»[1].

ثانيـاً: وإن أردت أن تنصـحه عـلىٰ خطـأ صـدر منـه، فكـن لـه مـرآة صافية صادقة، وأنـت تعلـم أنَّ المـرآة تنقـل الحـدث إلىٰ الآخـر مبـاشرةً ومـن دون غشٍّ، ولكنَّهـا تنقلـه بصـورة مؤدَّبـة وبطريقـة مهذَّبـة لا تـؤذي مشـاعر النـاظر فيهـا، فالنصـح واجـب، لكـن بشــرط أن يكـون بطريقـة مهذَّبـة، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ (المؤمنون: ٩٦).

ثالثاً: تجنَّب التصـرّفات التي تؤذي مشاعرهم، كالشكِّ في تصـرّفاتهم[2]، وذكر مساوئهم في حضـرتهم - إذا كان غيركما في المجلـس - أو في غيبـتهم، أو حسدهم واستكثار ما في أيديهم، وقد قال جلَّ وعلا: ﴿يـا أَيـُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتـاً فَكَرِهْتُمُـوهُ وَاتَّقُـوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (الحجرات: ١٢).

رابعـاً: الحفـاظ عـلىٰ قـدر مـن الأُصـول والـروتين العـامّ في علاقتـك مـع مـن هـم في سـنِّك مـن أصـدقائك ومعارفـك، ولا ترفـع جميـع الحجـب فـيما بيـنكم، لأنَّـه يـؤدّي إلىٰ مـا لا تُحمَـد عقبـاه، وقـد قـال الإمـام الصـادق

---

(١) بحار الأنوار ١٤: ٣٢٧/ ح ٤٧، عن تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام) ١: ١٢٥.

(٢) قال الإمام عليّ عليه السلام: «ضـع أمـر أخيـك عـلىٰ أحسـنه حتَّـىٰ يأتيـك منـه مـا يغلبـك منـه، ولا تظـننَّ بكلمـة خرجـت مـن أخيـك سـوءاً وأنـت تجـد لهـا في الخـير محمـلاً». (الكـافي ٢: ٣٦٢/ بـاب التهمـة وسـوء الظـنِّ/ ح ٣). ويقـول عليه السلام: «مـن حسـن ظنُّـه بالنـاس حـاز منهم المحبَّة». (عيون الحكم والموعظ: ٤٣٥).

عليه السلام: «لا تُـذهِب الحشـمة بينـك وبـين أخيـك، وأبـق منهـا، فـإنَّ ذهـاب الحشمة ذهاب الحياء، وبقاء الحشمة بقاء المودَّة»(١).

وفي هذا المجال ينبغـي عـدم التفـريط بحقوقـه اتِّكـالاً عـلىٰ مـا بيـنكما مـن المـودَّة، كمـن يسـتعمل حاجـة صـديقه مـن دون إذنـه، أو يتصـرَّف في شيء من أُموره من دون سابق إنذار.

والخلاصة: أنَّه لا بـدَّ مـن الحفـاظ عـلىٰ قـدر مـن (الـروتين العـرفي) في العلاقـات، وقـد قـال أمـير المـؤمنين عليه السلام: «لَا تُضِـيعَنَّ حَـقَّ أَخِيـكَ اتِّكَـالًا عَلَىٰ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَه، فَإِنَّه لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّه»(٢).

خامساً: احـتمال زلَّتـه وخطئـه وقبـول عـذره لـو أخطـأ، فحـاول سـدّ الثغرات التـي ربَّـما تصـدر منـه، فـإنَّ ذلـك مـن أهـمّ ركـائز المـودَّة مـن دون شكٍّ، وقد قال أمـير المـؤمنين عليه السلام: «إنَّ أخـاك حقّـاً مـن غفـر زلَّتـك، وسـدَّ خلَّتك، وقبل عذرك، وستر عورتك، ونفىٰ وجلك، وحقَّق أملك»(٣).

وينبغـي أيضـاً عـدم تعنيفـه في العتـاب أو عنـد الخطـأ إلَّا في طاعـة الله والنهـي عـن معصـيته، فـإنَّ خـير إخوانـك مـن عنَّفـك في طاعـة الله - كـما يقول أمير المؤمنين عليه السلام -(٤).

والخلاصة:

إنَّ تربويـات الـدين أمرتنـا بـاحترام الجميـع. أمَّـا مـن هـم أكـبر سـنّاً منّـا، فلأنَّهـم أكثـر خدمـةً منّـا للـدين وأكثـر طاعـةً لله تعـالىٰ. وأمَّـا مـن هـم

---

(١) تحف العقول: ٣٧٠.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠٣/ ح ٣١، من وصيَّة له لابنه الحسن عليهما السلام.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١٥٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٢٣٨.

أصغر منّا، فلأنَّهم أقلّ ذنوباً منّا. وأمَّا الذين بأعمارنا، فلأنَّنا نعلم بذنوبنا ولا نعلم بذنوبهم!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «النَّاسُ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[1].

وروي أنَّ الله سبحانه أوحىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: إذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيراً منه، فجعل موسىٰ لا يعترض أحداً إلَّا وهو لا يجسر أن يقول: إنّي خير منه، فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتَّىٰ مرَّ بكلب أجرب فقال: أصحب هذا، فجعل في عنقه حبلاً، ثمّ جرَّ به، فلمَّا كان في بعض الطريق شمَّر الكلب من الحبل وأرسله، فلمَّا جاء إلىٰ مناجاة الربِّ سبحانه قال: يا موسىٰ، أين ما أمرتك به؟ قال: يا ربِّ، لم أجده. فقال الله تعالىٰ: وعزَّتي وجلالي لو أتيتني بأحد لمحوتك من ديوان النبوَّة»[2].

وهنا ملاحظة مهمَّة:

في هذا المجال، وهي أنَّه لا بدَّ للإنسان أن يوازن بين العزَّة المطلوبة منه كمؤمن ﴿وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، وبين التواضع الذي كنّا نتكلَّم فيه الآن، وإلىٰ هذا المعنىٰ يشير الإمام السجّاد عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: «اللّهمّ صلِّ علىٰ محمّد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلَّا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تُحدِث لي عزّاً ظاهراً إلَّا أحدثت لي ذلَّة باطنة عند نفسي بقدرها»[3].

---

(١) أُنظر: نهج البلاغة: ٤٢٧/ ح ٥٣.

(٢) عدَّة الداعي: ٢٠٤.

(٣) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ١١٠.

فالرفعة والعزَّة الظاهرية لا بدَّ أن يقابلها حطَّة وذلَّة باطنية اتِّجاه من وهب لك تلك العزَّة، وما يستتبع ذلك من تودَّد لخلق الله تعالىٰ.

النوع الثاني: طرق تحتاج إلى بذل ولو قليلاً:

وهذه الطرق تعتمد علىٰ مبدأ «مَنْ جَادَ سَادَ»[1]، وعلىٰ مبدأ «جُبِلت القلوب علىٰ حبِّ من أحسن إليها»[2]، وتنطوي تحت هذا النوع الكثير من الأُمور والأفعال، نذكر المهمّ منها:

الطريق الأوَّل: الإحسان إلىٰ الناس:

فقديماً قالوا:

أحسن إلىٰ الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

والإحسان محبَّة، وبه تُملَك القلوب، ومن كثر إحسانه أحبَّه إخوانه، وكثر خدمه وأعوانه، واستدام منهم المحبَّة - كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام -[3].

وليس مهمّاً كمُّ الإحسان الذي تُقدِّمه بقدر ما هو مهمّ كيف يكون ذلك الإحسان، وبأيَّة طريقة تُقدِّمه، فإنَّه ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ (البقرة: ٢٦٣).

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (المائدة: ٩٣).

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «امنن علىٰ من شئت تكن أميره»[4].

هذا فضلاً عن أنَّ الإحسان وظيفة لازمة في حقِّ من أحسن الله

---

(١) الكافي ٨: ٢١/ ح ٤، خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨١/ ح ٥٨٢٦.

(٣) أُنظر: ميزان الحكمة ١: ٦٤١/ الرقم ٨٦٤.

(٤) الخصال: ٤٢٠/ ح ١٤.

تعالىٰ إليه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أحقُّ الناس بالإحسان من أحسن الله إليه، وبسط بالقدرة يديه»[١].

وتذكَّر أنَّك لن تستطيع أن تسع الناس بأموالك، فسعهم بأخلاقك.

ومن الإحسان المكافأة علىٰ الصنائع، بمعنىٰ أن تُرجِع إحسان من أحسن إليك بأزيد منه، ﴿وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴿٨٦﴾﴾ (النساء: ٨٦)، وترك ذلك يقطع سبيل المعروف - كما قالوا -[٢].

الطريق الثاني: صلة الرحم:

كما أنَّ الشجرة تحتاج إلىٰ تعهّد بالسقي، كذلك الرحم يحتاج إلىٰ مواصلة الصلة، حتَّىٰ لو قطعك أحدهم، فما بالك لا تصبح أفضل منه وأقرب إلىٰ الله تعالىٰ فتصله وإن قطعك.

ولا بدَّ أن يكون التواصل بصورة مهذَّبة - بالصورة التي تقدَّمت في أدبيات الزيارة -.

واليوم لا عذر لمن يقطع رحمه، فإنَّ وسائل الاتِّصال وفَّرت الكثير من الوقت والمال في سبيل ذلك، فاتِّصال هاتفي دوري تجريه مع أرحامك كفيل باستمرار علاقتك معهم وإن لم تصلهم ميدانياً، وطبعاً الفضل يبقىٰ للوصلة الميدانية، فإنَّ فيها تصريحاً بالحبِّ وعملاً به.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّه لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عِتْرَتِه، وَدِفَاعِهِمْ عَنْه بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٢٧.

(٢) أُنظر: من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٧ و٥٨/ ح ١٦٩٦.

النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِه وأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِه، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْه عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِه، وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُه اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَه مِنَ الْمَالِ يَرِثُه غَيْرُه. أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَىٰ بِهَا الْخَصَاصَةَ، أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُه إِنْ أَمْسَكَه، وَلَا يَنْقُصُه إِنْ أَهْلَكَه، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَه عَنْ عَشِيرَتِه فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْه عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْه أَيْدٍ كَثِيرَةٌ، وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُه يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِه الْمَوَدَّةَ»(١).

والروايات الشريفة الحاثَّة علىٰ صلة الرحم أكثر من أن نُحصيها في هذه العجالة، وهي تذكر الكثير من الثمرات علىٰ ذلك، نذكر منها:

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «صلة الأرحام تُزكّي الأعمال، وتُنمّي الأموال، وتدفع البلوىٰ، وتُيسِّر الحساب، وتُنسئ في الأجل»(٢).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «صلة الأرحام تُحسِّن الخُلُق وتسمح الكفّ، وتُطيب النفس، وتزيد في الرزق، وتُنسئ في الأجل»(٣).

ويقول عليه السلام: «إنَّ صلة الرحم والبرَّ ليُهوِّنان الحساب، ويعصمان من الذنوب، فصِلوا أرحامكم، وبرّوا بإخوانكم، ولو بحسن السلام وردِّ الجواب»(٤).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلَّا ثلاثة أيّام فيُنسئه الله ثلاثين سنة، وإنَّ الرجل ليقطع الرحم وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيُصيِّره الله إلىٰ ثلاثة أيّام»(٥).

---

(١) نهج البلاغة: ٦٥/ الخطبة ٢٣.

(٢) الكافي ٢: ١٥٠/ باب صلة الرحم/ ح ٤.

(٣) الكافي ٢: ١٥١/ باب صلة الرحم/ ح ٦.

(٤) الكافي ٢: ١٥٧/ باب صلة الرحم/ ح ٣١.

(٥) كنز العمّال ٣: ٣٥٧/ ح ٦٩٢٠.

الطريق الثالث: الهدية:

ولها تأثير عجيب، فهي تُذهِب بالسمع والبصر والقلب، وما يفعله الناس من تبادل الهدايا في المناسبات وغيرها أمر محمود، بل ومندوب إليه علىٰ أن لا يُكلِّف نفسه إلَّا وسعها، ومن اللطيف ما نراه في مجتمعاتنا من أنَّ أحدنا إذا ذهب للحجِّ أو للزيارة مثلاً جلب معه هدايا ولو رمزية يُقدِّمها لمن يزوره، والناس تُحِبُّ الذهاب إلىٰ من يعطيهم هدايا، وهل رأيت الناس تتكالب علىٰ شخص قدم من سفر من دون هدايا؟!

وهكذا تعوَّدت مجتمعاتنا علىٰ تقديم هدايا للمولود الجديد، أو حين الختان، أو عند الزواج، أو أنَّهم يأخذون معهم بعض الهدايا للمريض عندما يزورونه[1]، وغيرها العديد من العادات الحسنة.

وهذا ما أكَّدته ودعت إليه الروايات الشريفة، فعن رسول الله ﷺ: «الهدية تُذهِب الضغائن من الصدور»[2].

وعنه ﷺ: «الهدية تورث المودَّة، وتُجدِّد الأُخوَّة، وتُذهِب الضغينة، تهادوا تحابّوا»[3].

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «لأن أُهدي لأخي المسلم هدية تنفعه أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بمثلها»[4].

---

(١) ورد في تعليقة السيِّد عليّ السيستاني علىٰ العروة الوثقىٰ (ج ١/ ص ٢٨١ و٢٨٢) في أدبيات زيارة المريض: (الخامس: أن يستصحب هدية له من فاكهة أو نحوها ممَّا يُفرحه ويُريحه) كما تقدَّم في عنوان الزيارة.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٧٩/ ح ٣٤٣.

(٣) عوالي اللئالي ١: ٢٩٤/ ح ١٨٣ و١٨٤.

(٤) الكافي ٥: ١٤٤/ باب الهدية/ ح ١٢.

وعن رسول الله ﷺ: «الهدية علىٰ ثلاثة أوجه: هدية مكافأة، وهدية مصانعة، وهدية لله ﷻ»[(١)].

ثمّ إنَّ الهدية لها مفهوم واسع ينطبق علىٰ العديد من الفقرات، منها ما ورد عن رسول الله ﷺ: «ما أهدىٰ مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة، يزيده الله بها هدىٰ، أو يردّه بها عن ردىٰ»[(٢)].

وفي الرواية أنَّ جبرئيل عليه السلام قال للنبيِّ ﷺ: يا رسول الله، إنَّ الله تبارك وتعالىٰ أرسلني إليك بهدية لم يُعطِها أحداً قبلك، قال رسول الله ﷺ: «قلت: وما هي؟ قال: الصبر، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الرضا، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الزهد، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الإخلاص، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: اليقين، وأحسن منه. قلت: وما هو يا جبرئيل؟ قال: إنَّ مدرجة ذلك التوكّل علىٰ الله ﷻ، فقلت: وما التوكّل علىٰ الله ﷻ؟ فقال: العلم بأنَّ المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع ولا يُعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق...»[(٣)].

وحيث إنَّ في الهدية نوع منَّة وتكرّم، فقد ورد النهي عن قبول هدايا المشركين والكفّار من أهل الحرب، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «... كان عياض رجلاً عظيم الخطر، وكان قاضياً لأهل عكاظ في الجاهلية، فكان عياض إذا دخل مكّة ألقىٰ عنه ثياب الذنوب والرجاسة، وأخذ ثياب رسول الله ﷺ لطهرها، فلبسها وطاف بالبيت ثمّ يردّها

---

(١) الكافي ٥: ١٤١/ باب الهدية/ ح ١.

(٢) شعب الإيمان ٢: ٢٨٠/ ح ١٧٦٤.

(٣) معاني الأخبار للصدوق: ٢٦٠ و٢٦١/ باب معنىٰ التوكّل علىٰ الله ﷻ.../ ح ١.

عليه إذا فرغ مـن طوافـه. فلـمَّا أن ظهـر رسـول الله ﷺ أتـاه عيـاض بهديـة، فـأبىٰ رسـول الله ﷺ أن يقبلهـا، وقـال: يـا عيـاض، لـو أسـلمتَ لقبلـتُ هـديتك، إنَّ الله ﷻ أبـىٰ لي زبـد المشـركين، ثـمّ إنَّ عياضـاً بعـد ذلـك أسـلم وحسن إسلامه، فأهدىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ هدية، فقبلها منه»[1].

الطريق الرابع: السخاء:

إنَّ الروايات الواردة في شـأن السـخاء كثـيرة جـدّاً، وأنـت عنـدما تقـرأ في آثـار السـخاء تجـد العجـب العجـاب، وحتَّـىٰ تتَّضـح الصـورة نُـنقِّط البحث فيه بعدَّة نقاط:

النقطة الأُولىٰ:

إنَّ صـفة السـخاء مـن الصـفات التـي تُحبِّـب السـخيَّ إلىٰ الله تعـالىٰ وإلىٰ رسـوله ﷺ وإلىٰ النـاس، فعـن رسـول الله ﷺ: «السـخيُّ قريـب مـن الله، قريب من الجنَّة، قريب من الناس»[2].

وعـن الإمـام الصـادق عليه السلام: «إنَّ الله يُحِـبُّ إطعـام الطعـام، وإراقـة الدماء بمنىٰ»[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «السخاء يُكسِب المحبَّة، ويَزين الأخلاق»[4].

وعـن رسـول الله ﷺ: «الـرزق أسرع إلىٰ مـن يُطعِـم الطعـام مـن السكّين في السنام»[5].

---

(١) الكافي ٥: ١٤٢/ باب الهدية/ ح ٣.

(٢) الكافي ٤: ٤٠/ باب معرفة الجود والسخاء/ ح ٩.

(٣) المحاسن ٢: ٣٨٨/ ح ٩.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٥٠.

(٥) الكافي ٤: ٥١/ باب فضل إطعام الطعام/ ح ١٠.

النقطة الثانية:

والسخاء من الصفات التي تجرُّ نحو دين التوحيد، فقد روي أنَّ جماعة أُسارىٰ جيء بهم إلىٰ رسول الله ﷺ فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بضرب أعناقهم، ثمّ أمره بإفراد واحد منهم وأن لا يقتله، فقال الرجل: لِمَ أفردتني من أصحابي والجناية واحدة؟ فقال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحىٰ إليَّ أنَّك سخيٌّ قومك و[أن] لا أقتلك»، فقال الرجل: فإنّي أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله، قال: فقاده سخاؤه إلىٰ الجنَّة[1].

النقطة الثالثة:

وهو بالتالي ممَّا يشفع للإنسان عند الله تعالىٰ، فقد روي أنَّه «أوحىٰ الله عزَّ وجلَّ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: أن لا تقتل السامري فإنَّه سخيٌّ»[2].

وأنَّ رسول الله ﷺ قال لعدي بن حاتم طيء: «إنَّ الله دفع عن أبيك العذاب الشديد، لسخاء نفسه!»[3].

وعن رسول الله ﷺ: «إنَّ أهون أهل النار عذاباً عبد الله بن جذعان»، فقيل له: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «إنَّه كان يُطعِم الطعام»[4].

النقطة الرابعة:

إنَّ من أهمّ مفردات السخاء هو الإطعام، بل لعلَّه المصداق الأبرز للسخاء، ومن دون إطعام يصعب أن نُسمّي أحداً سخيّاً! يقول الإمام عليّ عليه السلام: «لذَّة الكرام في الإطعام، [و]لذَّة اللئام في الطعام»[5].

---

(١) الاختصاص: ٢٥٣، عنه بحار الأنوار ٦٨: ٣٥٤ و٣٥٥/ ح ١٦.

(٢) الكافي ٤: ٤١/ باب معرفة الجود والسخاء/ ح ١٣.

(٣) الاختصاص: ٢٥٣.

(٤) المحاسن ٢: ٣٨٩/ ح ٢١.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٠.

وفي قضيَّة الإطعام لا بدَّ أن نلتفت إلىٰ:

أوَّلاً: أنَّ الشريعة قد شرَّعت عدَّة أنواع للإطعام في مناسبات خاصَّة، وكأنَّها جعلت من هذه المناسبات أوقاتاً رسمية لإقامة الولائم، وهي وإن لم تكن واجبة، ولكنَّها من المستحبّات التي تجرُّ محبَّة الناس بلا شكٍّ، فعن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّه قال في وصيَّته له: «يا عليُّ، لا وليمة إلَّا في خمس: في عرس، أو خرس، أو عذار، أو وكار، أو ركاز. والعرس التزويج، والخرس النفاس بالولد، والعذار الختان، والوكار في شراء الدار، والركاز الذي يقدم من مكّة»[1].

ثانياً: ومن هذا يتبيَّن أنَّه ليس من السُّنَّة أن يأكل أحدنا في (الفاتحة)، بل علىٰ العكس، السُّنَّة أن يصنع الجيران والأقرباء الطعام لأصحاب المصيبة ويبعثونه إليهم، فقد روي أنَّه لـمَّا قُتِلَ جعفر الطيّار (صلوات الله عليه) قال النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «اتَّخذوا لآل جعفر طعاماً، فقد شُغِلوا»[2].

ثالثاً: هناك مفردات للإطعام - غير ما ذُكِرَ في الرواية المتقدِّمة - ينبغي أن يداوم عليها الإنسان ما أمكنه إلىٰ ذلك سبيلاً، خصوصاً وإنَّ

---

(١) الخصال: ٣١٣ و٣١٤/ ح ٩٢، ثمّ قال الشيخ الصدوق رحمه الله بعد هذا الحديث: (يقال للطعام الذي يُدعىٰ إليه الناس عند بناء الدار أو شرائها: الوكيرة، والوكار منه. ويقال للطعام الذي يُتَّخذ للقادم من السفر: النقيعة. والركاز الغنيمة، كأنَّه يريد أنَّ في اتِّخاذ الطعام للقدوم من مكّة غنيمة لصاحبه من الثواب الجزيل...).

(٢) الكافي ٣: ٢١٧/ باب ما يجب علىٰ الجيران لأهل المصيبة.../ ح ٤. علماً أنَّ الإطعام في الفواتح إذا كان من أموال الورثة القاصرين أو البالغين من دون رضاهم لا يجوز، وعلىٰ من يريد أن يُطعِم الناس في الفاتحة أن يفتح كيسه وينفق منه، لا أنَّه يظهر بمظهر السخيِّ من مال غيره علىٰ مبدأ (وهب الأمير ما لا يملك)!

بعضها تُعَدُّ من الواجبات العرفية، مثل إطعام الضيف وإكرامه، وكدعوة الإخوة المؤمنين[١]، وكإطعام الصائم في إفطار شهر رمضان[٢]، وكإطعام اليتيم[٣]، وإطعام الجائع[٤].

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أطعم مسلماً حتَّىٰ يُشبِعه لم يدرِ أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة، لا ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل إلَّا الله ربّ العالمين...»، ثمّ تلا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ [البلد: ١٤]»[٥].

عن حسين بن نعيم الصحّاف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أتُحِبُّ إخوانك يا حسين؟»، قلت: نعم، قال: «تنفع فقراءهم؟»، قلت: نعم، قال: «أمَا إنَّه يحقُّ عليك أن تُحِبَّ من يُحِبُّ الله، أمَا والله لا تنفع منهم

---

(١) في الكافي ٢: ٢٠٠ و٢٠١/ باب إطعام المؤمنين/ ح ٣: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات الفردوس وجنَّة عدن وطوبىٰ [و]شجرة تخرج من جنَّة عدن، غرسها ربُّنا بيده».

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام: «من فطَّر صائماً فله مثل أجره». (الكافي ٤: ٦٨/ باب من فطَّر صائماً/ ح ١).

(٣) عن رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله: «من كفل يتيماً [من] بين مسلمين فأدخله إلىٰ طعامه وشرابه، أدخله الله الجنَّة البتَّة، إلَّا أن يعمل ذنباً لا يُغفَر». (عوالي اللئالي ١: ١٩٠/ ح ٢٧٤).

وقال صلى الله عليه وآله - لرجل يشكو قسوة قلبه -: «أتُحِبُّ أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك». (مجمع الزوائد للهيثمي ٨: ١٦٠).

(٤) في الكافي ٢: ٢٠١/ باب إطعام المؤمنين/ ح ٥: عن عليِّ بن الحسين عليهما السلام، قال: «من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنَّة، ومن سقىٰ مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم».

(٥) المحاسن ٢: ٣٨٩/ ح ١٧.

أحداً حتَّىٰ تُحِبَّه، أتدعوهم إلىٰ منزلك؟»، قلت: نعم ما آكل إلَّا ومعي منهم الرجلان والثلاثة والأقلّ والأكثر، فقال أبو عبد الله: «أمَا إنَّ فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم»، فقلت: جُعلت فداك، أطعمهم طعامي وأوطئهم رحلي، ويكون فضلهم عليَّ أعظم؟! قال: «نعم إنَّهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك»[1].

الطريق الخامس: قضاء حوائج الإخوان:

الإنسان اجتماعي بطبعه، والعلاقات الاجتماعية عرىٰ منفصلة، إلَّا إذا عملت علىٰ وصلها بعضها مع البعض الآخر، وممَّا يجعلها متَّصلة ويساعد علىٰ ديمومتها: قضاء الحاجة.

والإسلام قد شجَّع علىٰ قضاء حاجة الأخ المؤمن، ليس فقط لأنَّها تُحبِّبك إلىٰ الناس، وإنَّما لأنَّها تُقرِّبك من الله تعالىٰ والرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، كما ستعرف ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالىٰ.

عن الإمام الصادق عليه السلام - في حديث طويل -: «لأن أسعىٰ مع أخ لي في حاجة حتَّىٰ تُقضىٰ أحبُّ إليَّ من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل علىٰ ألف فرس في سبيل الله مسرجة ملجمة»[2].

وعن رسول الله ﷺ: «من سعىٰ في حاجة أخيه المسلم فكأنَّما عبد الله عزَّ وجلَّ تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره قائماً ليله»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف

(١) الكافي ٢: ٢٠١ و٢٠٢/ باب إطعام المؤمنين/ ح ٨.

(٢) قضاء حقوق المؤمنين للصوري: ٣١/ ح ٤٣، عنه بحار الأنوار ٧١: ٣١٦/ ح ٧٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٠/ ح ٢١٠٨.

حجَّة متقبّلة بمناسكها، وعتق ألف رقبة لوجه الله، وحملان ألف فرس في سبيل الله بسرجها ولجمها»[1].

وعنه عليه السلام: «أيّما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة، وهو يقدر علىٰ قضائها، فمنعه إيّاها، عيَّره الله يوم القيامة تعييراً شديداً، وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلتُ قضاءها في يدك، فمنعته إيّاها زهداً منك في ثوابها، وعزَّتي لا أنظر إليك اليوم في حاجة معذَّباً كنت أو مغفوراً لك»[2].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله، فلم يجره بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله عزَّ وجلَّ»[3].

أدبيات قضاء الحاجة:

١ - نسبتها إلىٰ الله عزَّ وجلَّ لأنَّه تعالىٰ هو الذي يعين علىٰ التوفيق لذلك، وهذا أدب تعلَّمناه من أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وهو صفوان بن مهران الجمّال، الذي لـمّا قضىٰ حاجة أحد إخوانه، نسب ذلك إلىٰ الله عزَّ وجلَّ، حيث ورد عن صفوان الجمّال، قال: كنت جالساً مع أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل مكّة يقال له: ميمون، فشكا إليه تعذّر الكراء عليه، فقال لي: «قم فأعن أخاك»، فقمت معه، فيسَّر الله كراه، فرجعت إلىٰ مجلسي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما صنعت في حاجة أخيك؟»، فقلت: **قضاها الله** بأبي أنت وأُمّي. فقال:

(١) أمالي الصدوق: ٣٠٨/ ح (٣٥٣/ ١).

(٢) أمالي الطوسي: ٩٩/ ح (١٥٢/ ٦).

(٣) الكافي ٢: ٣٦٦/ باب من استعان به أخوه فلم يعنه/ ح ٤.

«أمَا إنَّك أن تعين أخاك المسلم أحبُّ إليَّ من طواف أُسبوع بالبيت مبتدئاً»[١].

٢ - أن تكون لوجه الله تعالىٰ، فإنَّ أيَّ أمر إذا كان لوجه الله تعالىٰ فهو خالد ما بقي الدهر، فأهل البيت عليهم السلام بماذا تصدَّقوا حتَّىٰ أنزل الله تعالىٰ فيهم سورة الدهر؟! هل تصدَّقوا بأموال طائلة، أم ببيوتٍ فارهة، أم بذهب وفضَّة؟! كلَّا، إنَّما تصدَّقوا بكسرات من خبز الشعير علىٰ مسكين ويتيم وأسير! ولكن لماذا خُلِّدت هذه الصدقة؟ دعونا نستفتي القرآن في ذلك! إنَّه يقول في سبب ذلك: ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً ۝٩﴾ (الإنسان: ٩).

إذن هذا السبب، إنَّه **(لوجه الله)!**

٣ - قضاء حاجة المؤمن كرامة لأهل البيت عليهم السلام، فإنَّها من مقتضيات التشيّع، وهي تسرّهم وتُفرِحهم، ولا حاجة إلىٰ أكثر من كونه شيعياً وموالياً لأهل البيت عليهم السلام حتَّىٰ أُواسيه بأموالي، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدوِّنا، وإلىٰ أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها»[٢].

ومن ألطف ما ورد في قضاء الإخوة حاجة بعضهم، ما في كتاب قضاء حقوق المؤمنين لأبي عليّ بن طاهر الصوري بإسناده عن رجل من أهل الريِّ، قال: ولي علينا بعض كتّاب يحيىٰ بن خالد، و كان عليَّ بقايا يطالبني بها، وخفت من إلزامي إيّاها خروجاً عن نعمتي، وقيل لي: إنَّه

---

(١) الكافي ٢: ١٩٨/ باب السعي في حاجة المؤمن/ ح ٩.

(٢) الخصال: ١٠٣/ ح ٦٢.

ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضي إليه فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أُحِبُّ، فاجتمع رأيي علىٰ أنّي هربت إلىٰ الله تعالىٰ وحججت ولقيت مولاي الصابر - يعني موسىٰ بن جعفر عليه السلام -، فشكوت حالي إليه، فأصحبني مكتوباً نسخته: «**بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم أنَّ لله تحت عرشه ظلًّا لا يسكنه إلَّا من أسدىٰ إلىٰ أخيه معروفاً أو نفَّس عنه كربة، أو أدخل علىٰ قلبه سروراً، وهذا أخوك، والسلام**».

قال: فعدت من الحجِّ إلىٰ بلدي، ومضيت إلىٰ الرجل ليلاً، واستأذنت عليه، وقلت: رسول الصابر عليه السلام! فخرج إليَّ حافياً ماشياً، ففتح لي بابه، وقبَّلني وضمَّني إليه، وجعل يُقبِّل بين عيني، ويُكرِّر ذلك كلَّما سألني عن رؤيته عليه السلام وكلَّما أخبرته بسلامته، وصلاح أحواله، استبشر، وشكر الله، ثمّ أدخلني داره وصدَّرني في مجلسه وجلس بين يدي، فأخرجت إليه كتابه عليه السلام، فقبَّله قائماً وقرأه، ثمّ استدعىٰ بماله وثيابه، فقاسمني ديناراً ديناراً، ودرهماً درهماً، وثوباً ثوباً، وأعطاني قيمة ما لم يمكن قسمته، وفي كلِّ شيء من ذلك يقول: يا أخي هل سررتك؟ فأقول: إي والله، وزدت علىٰ السرور، ثمّ استدعىٰ العمل فأسقط ما كان باسمي وأعطاني براءة ممَّا يتوجَّه عليَّ منه، وودَّعته، وانصرفت عنه.

فقلت: لا أقدر علىٰ مكافاة هذا الرجل إلَّا بأن أحجَّ في قابل وأدعو له وألقىٰ الصابر عليه السلام وأُعرِّفه فعله، ففعلت، ولقيت مولاي الصابر عليه السلام، وجعلت أُحدِّثه ووجهه يتهلَّل فرحاً، فقلت: يا مولاي، هل سرَّك ذلك؟ فقال: «**إي والله، لقد سرَّني وسرَّ أمير المؤمنين، والله لقد سرَّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد سرَّ الله تعالىٰ**»[1].

---

(١) قضاء حقوق المؤمنين: ٢٢ و٢٣/ ح ٢٤، عنه بحار الأنوار ٤٨: ١٧٤/ ح ١٦.

٤ - أن تكـون بـلا منَّـة، فإنَّهـا مـن مـبطلات العمـل، يقـول تعـالىٰ: ﴿قَـوْلٌ مَعْـرُوفٌ وَمَغْفِـرَةٌ خَـيْرٌ مِـنْ صَـدَقَةٍ يَتْبَعُهـا أَذى وَاللهُ غَـنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣).

ومـن دعـاء الإمـام السـجّاد عليه السلام في دعـاء مكـارم الأخـلاق: «وَأَجْـرِ لِلْنـاسِ عَـلىٰ يَـدَيَّ الخَـيْرَ، وَلَا تَمْحَقْـهُ بِـالمَنِّ، وَهَـبْ لِي مَعـالِي الأَخْـلاقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الفَخْرِ»[١].

٥ - أن تكـون سرّيـة مهـما أمكـن إلَّا إذا قصـد مـن إظهارهـا تشـجيع غيره علىٰ قضـاء حـوائج الإخـوان، فـإنَّ خـير الصـدقة مـا كانـت سرّاً، فقـد روي عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ صـدقة السـرِّ في التطـوّع تفضـل علانيتهـا بسبعين ضعفاً...»[٢].

٦ - أن تبـادر بهـا، ولا تُكلِّـف أخـاك أن يسـألكها إذا علمـت بهـا، فعـن الإمـام عـليٍّ عليه السلام: «لا يُكلِّـف أحـدكم أخـاه الطلـب إذا عـرف حاجته»[٣].

* * *

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ١١٠.

(٢) عوالي اللئالي ٢: ٧٢/ ح ١٨٩؛ مستدرك الوسائل ٧: ١٣٣/ ح (٧٨٣٣/ ٣).

(٣) كنز الفوائد: ٣٤.

الفصل الثالث:

كيف أتجنَّب منفّرات القلوب؟

سُنَّة التغيير في الحياة:

هذه الحياة..

بُنيت علىٰ قانون لا يقبل التخصيص..

إنَّه قانون: التغيير..

فكلُّ ما في الوجود الإمكاني لا ثبات له..

وكما قالوا في الفلسفة: لا يوجد ثابت إلَّا قانون التغيّر!

وبنظرة عابرة للوجود يتبيَّن لك صدق هذا الكلام، فالظروف الجوّية دائمة التقلّب، والحضارات تموت وتُحيىٰ غيرها، والحجر - هذا الذي نراه بأعيننا وكأنَّه ثابت - أثبت علم الفيزياء أنَّ جزيئاته دائمة التحرّك وإن كانت بصورة بطيئة، والإنسان دائم التغيّر وإن كان يحسب نفسه ثابتاً.

فالكون كلّه في حركة مستمرَّة وتغيّر دائم، ولولا ذلك لأصبحت الحياة مملَّة ولا طعم لها، ولذا قالوا: إنَّك لن تعرف طعم العافية حتَّىٰ تذوق البلاء، ولن تعرف طعم الصحَّة حتَّىٰ تتجرَّع المرض، ولن تذوق طعم الأمن حتَّىٰ تتوسَّد الخوف!

فبهذا التغيّر المستمرّ يكون للحياة معنىٰ!

هكذا أراد الله تعالىٰ..

ولسنا الآن في صدد الإسهاب في هذه السُّنَّة، إنَّما نريد القول:

إنَّ قلوب البشر تخضع لهذه السُّنَّة، هي في حركة مستمرَّة، وتغيّر

دائم، ولذا نجد أنَّ للقلوب صفات عديدة، كالقساوة والموت والحياة والتذلّل والقوَّة والضعف والانتكاسة وغيرها(١).

وفي هذا المعنىٰ يقول رسول الله ﷺ: «إنَّما سُمّي القلب من تقلّبه، إنَّما مثل القلب مثل ريشة بالفلاة تعلَّقت في أصل شجرة يُقلِّبها الريح ظهراً لبطن»(٢).

---

(١) يقول تعالىٰ في سورة (الحديد: ١٦): ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وقال تعالىٰ في سورة (الزمر: ٢٢ و٢٣): ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللهِ ذلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيَّته لولده الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْه بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّه بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْه بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْه بِذِكْرِ المَوْتِ، وَقَرِّرْه بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْه فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْه صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ...». (نهج البلاغة: ٣٩٢/ ح ٣١).

وفي كتاب (معاني الأخبار: ٣٩٥/ ح ٥١): عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أنور»، قلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السراج، وأمَّا المطبوع فقلب المنافق، وأمَّا الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه الله عزَّ وجلَّ شكر وإن ابتلاه صبر، وأمَّا المنكوس فقلب المشرك»، ثمّ قرأ هذه الآية: «﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: ٢٢]، أمَّا القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف وإن أدرك أحدهم أجله علىٰ نفاقه هلك وإن أدركه علىٰ إيمانه نجا».

وعلَّق المحقِّق علىٰ الفقرة الأخيرة بقوله: (المراد بالذي فيه إيمان ونفاق هو قلب من آمن ببعض ما جاء به النبيُّ ﷺ وجحد بعضه، أو الشاكّ الذي يعبد الله علىٰ حرف).

(٢) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٩٧/ ح ٢٥٩٥.

ونحن في صدد نوع من أنواع هذه الصفات للقلوب، وهي صفة: الإدبار والإقبال، فهذا ما يتعلَّق بموضوع بحثنا.

إقبال وإدبار القلوب

إنَّ لإقبال القلوب وإدبارها جانبين: جانباً مع الله تعالىٰ، وجانباً مع البشر:

الجانب الأوَّل: إقبال وإدبار القلوب مع الله تعالى:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَىٰ النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَىٰ الْفَرَائِضِ»[1].

لقد خلق الله تعالىٰ البشر علىٰ الفطرة، ومعه، فالمفروض أن تكون القلوب دائمة التعلّق بالله تعالىٰ، ولا تنحرف عن طريق الفطرة، خصوصاً إذا علمنا أنَّ الله تعالىٰ يُحِبُّ البشر، وليس عنده عداوة مع أحد منهم لذاته. ومن هنا، فيمكن القول: إنَّ الحالة الأوَّلية المفروضة للقلوب هي الإقبال علىٰ الله تعالىٰ، ونحن لا نريد أن نبحث لماذا تقبل القلوب علىٰ الله تعالىٰ؟ فإنَّها حالة صحّية وغاية لكلِّ مؤمن، ولها أسبابها كما هو واضح.

إنَّما المهمّ أن نبحث: لماذا تُدبِر القلوب عن الله تعالىٰ وتميل عن المنهج التوحيدي؟

فإنَّ هذه حالة مرضية، لا بدَّ من البحث عن أسبابها، حتَّىٰ يتمكَّن من يريد الهداية من علاج نفسه لو وجد قلبه مدبراً عن الله تعالىٰ.

---

(١) نهج البلاغة: ٥٣٠/ ح ٣١٢.

وهنا أمران ينبغي الالتفات إليهما:

١ - إنَّ إدبار القلوب عن الله تعالىٰ يعني فيما يعنيه أنَّ الله تعالىٰ معرض عن هكذا قلوب، وإعراضه تعالىٰ عنها يعني سلب التوفيق منها.

٢ - حيث إنَّ الحكم الأوَّلي للبشر هو أنَّهم علىٰ الفطرة، فنستكشف من هذا أنَّ إدبار القلوب يكون سببه من البشر أنفسهم، وأمَّا من جهة الله تعالىٰ فليس إلَّا الخير، ولعلَّه إلىٰ هذا المعنىٰ يشير قوله تعالىٰ: ﴿مـا أَصـابَكَ مِـنْ حَسَـنَةٍ فَمِـنَ اللهِ وَمـا أَصـابَكَ مِـنْ سَـيِّئَةٍ فَمِـنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفى بِاللهِ شَهِيداً ﴿٧٩﴾﴾ (النساء: ٧٩).

وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم... ما أصابك من سيِّئة فمن نفسك، وذاك أنّي أولىٰ بحسناتك منك وأنت أولىٰ بسيِّئاتك منّي...»[١].

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: «تَتَحَبَّبُ إِلَيْنا بِالنِّعَمِ وَنُعارِضُكَ بِالذُّنُوبِ، خَيْرُكَ إِلَيْنا نازِلٌ وَشَرُّنا إِلَيْكَ صاعِدٌ، وَلَمْ يَزَلْ وَلَا يزالُ مَلَكٌ كَرِيمٌ يَأْتِيكَ عَنّا بِعَمَلٍ قَبِيحٍ، فَلا يَمْنَعُكَ ذلِكَ مِنْ أَنْ تَحُوطَنا بِنِعْمَتِكَ، وَتَتَفَضَّلَ عَلَيْنا بِآلائِكَ، فَسُبْحانَكَ ما أَحْلَمَكَ وَأَعْظَمَكَ وَأَكْرَمَكَ مُبْدِئاً وَمُعِيداً، تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُكَ وَجَلَّ ثَناؤُكَ...»[٢].

من هنا، يمكن أن نُجمِل القول في أسباب إدبار القلوب عن الله تعالىٰ، بأنَّها الذنوب. وقد أكَّدت الروايات الشريفة ذلك، يقول الإمام الصادق عليه السلام في ذلك: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتَّىٰ تغلب علىٰ قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً»[٣].

---

(١) الكافي ١: ١٥٢/ باب المشيئة والإرادة/ ح ٦.

(٢) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٢٢٠.

(٣) الكافي ٢: ٢٧١/ باب الذنوب/ ح ١٣.

وأمَّا تفصيل ذلك، فإنَّ أحسن مَنْ فصَّلها هو الإمام السجّاد عليه السلام في بعض فقرات دعائه المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي، حيث يقول:

«اللّهُمَّ إنِّي كُلَّما قُلْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ وَتَعَبَّأْتُ وَقُمْتُ للصَّلاةِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَناجَيْتُكَ، أَلْقَيْتَ عَلَيَّ نُعاساً إذا أَنا صَلَّيْتُ، وَسَلَبْتَنِي مُناجاتَكَ إذا أَنا ناجَيْتُ، وَما لِي كُلَّما قُلْتُ قَدْ صَلُحَتْ سَرِيرَتِي، وَقَرُبَ مِنْ مَجالِسِ التَّوّابِينَ مَجْلِسِي، عَرَضَتْ لِي بَلِيَّةٌ أَزالَتْ قَدَمِي، وَحالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ خِدْمَتِكَ، سَيِّدِي لَعَلَّكَ عَنْ بابِكَ طَرَدْتَنِي، وَعَنْ خِدْمَتِكَ نَحَّيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَخِفًّا بِحَقِّكَ فَأَقْصَيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُعْرِضاً عَنْكَ فَقَلَيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ وَجَدْتَنِي فِي مَقامِ الكاذِبِينَ فَرَفَضْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شاكِرٍ لِنَعْمائِكَ فَحَرَمْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجالِسِ العُلَماءِ فَخَذَلْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي فِي الغافِلِينَ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي آلِفُ مَجالِسَ البَطّالِينَ فَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ خَلَّيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ لَمْ تُحِبَّ أَنْ تَسْمَعَ دُعائِي فَباعَدْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ بِجُرْمِي وَجَرِيرَتِي كافَيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ بِقِلَّةِ حَيائِي مِنْكَ جازَيْتَنِي...»[1].

هذه الفقرات توحي لنا بعدَّة أسباب لإدبار القلب عن الباري جلَّ وعلا، فالله تعالىٰ يسلب العبد التوفيق إذا رآه علىٰ بعض الأحوال التي ذكرها الإمام السجّاد عليه السلام، تلك الأحوال التي تُسبِّب الطرد الإلهي عن مقام الخدمة، «لَعَلَّكَ عَنْ بابِكَ طَرَدْتَنِي، وَعَنْ خِدْمَتِكَ نَحَّيْتَنِي»، ولكن، لماذا يطرد العبد ويسلب التوفيق ويجعل قلبه مدبراً؟

يذكر الإمام عليه السلام عدَّة أسباب لذلك، وبالتدبّر نجد أنَّ هذه الأسباب التي ذكرها الإمام عليه السلام هي أسباب تراتبية، بمعنىٰ أنَّ أحدها

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٢٢٢.

يـؤدّي إلىٰ الآخـر، وهكـذا فهـي سلسـلة مـن الأسـباب مترابطـة فـيما بينهـا، وبالتـالي فمـن أراد الابتعـاد عـن منفِّـرات القلـب ومـا يجعلـه مـدبراً عـن الله تعـالىٰ، فعليـه أن يبـدأ بـأوَّل هـذه الأسـباب فينفيهـا عـن قلبـه، ثـمّ يسـتمرّ بنفيها واحداً تلو الآخر.

وتلك الأسباب هي:

السبب الأوَّل: الاستخفاف بحقوق الله تعالىٰ:

«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَخِفًّا بِحَقَّكَ فَأَقْصَيْتَنِي»:

إنَّ لله تعالىٰ علينـا حقوقـاً لا تُعَـدُّ ولا تُحصـىٰ، فلـه علينـا حـقُّ الخلـق والـرزق والعافيـة والقـدرة والعلـم والإرادة و...، ولا يمكـن لأحـد أن يُحصـي حقوقـه جـلَّ وعـلا، ولكـن الرحمـة الإلهيَّـة أبـت إلَّا تسـهيلاً للعبـاد، وحتَّىٰ يكـون بمقـدور العبـد أن يـؤدّي بعـض تلـك الحقـوق، فقـد شرَّع الله تعالىٰ حقوقاً هي تحـت وأقـلّ مـن قـدرة الإنسـان، وأمـره أن يلتزمهـا، وأخـذ الله تعـالىٰ عـلىٰ العبـاد أن يؤدّوهـا، وبالتـالي يكـون التـارك لبعضـها مسـتخفّاً بأقلّ حقوق الله تعالىٰ.

وأهمّ تلك الحقوق هي:

أوَّلاً: الحقوق العبادية:

كالصـلاة والصـوم وبقيَّـة العبـادات، فـالمطلوب أوَّلاً وبالـذات أن يؤدّيهـا الإنسـان في أوقاتهـا المخصّصـة لهـا، وأيُّ تقصـير في ذلـك - مـن دون عذر مشروع - يعني الاستخفاف.

عـن سـيِّدة النسـاء فاطمـة عليها السلام ابنـة سـيِّد الأنبيـاء صلى الله عليه وآله أنَّهـا سـألت أباهـا محمّـداً صلى الله عليه وآله فقالـت: «يـا أبتـاه، مـا لمـن تهـاون بصـلاته مـن الرجـال والنساء؟».

قال: «يا فاطمة، من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره.

فأمَّا اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأُولىٰ يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله ﷻ سيماء الصالحين من وجهه، وكلُّ عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلىٰ السماء، والسادسة ليس له حظٌّ في دعاء الصالحين.

وأمَّا اللواتي تصيبه عند موته فأوَّلهنَّ أنَّه يموت ذليلاً، والثانية يموت جائعاً، والثالثة يموت عطشاناً، فلو سُقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.

وأمَّا اللواتي تصيبه في قبره فأوَّلهنَّ يوكِّل الله به ملكاً يُزعجه في قبره، والثانية يُضيِّق عليه قبره، والثالثة تكون الظلمة في قبره.

وأمَّا اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره فأوَّلهنَّ أن يوكِّل الله به ملكاً يسحبه علىٰ وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية يُحاسَب حساباً شديداً، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يُزكّيه وله عذاب أليم»[١].

ثانياً: الحقوق المالية:

وهي الخمس والزكاة وزكاة الفطرة، ويدخل فيها الكفّارات التي تترتَّب علىٰ مخالفة أمر شرعي، فإنَّ بعض المخالفات الشرعية تترتَّب عليها كفّارة مالية، ولا يكفي الندم عن أداء تلك الكفّارة.

ومنها أيضاً النفقات التي افترضها الله تعالىٰ عليك اتِّجاه بعض الأفراد، كالزوجة والأولاد والأبوين - مع فقرهما وغناك -، بل

(١) فلاح السائل: ٢٢، عنه بحار الأنوار ٨٠: ٢١ و٢٢/ ح ٣٩.

والحيوانات المملوكة لك، حيث حكم الفقهاء بعدم جواز تركها بلا طعام حتَّىٰ تهلك...[١].

---

(١) وحتَّىٰ تتمَّ الفائدة ننقل مختصراً وبتصرّف قليل أحكام النفقات حسب رأي السيّد السيستاني (دام ظلّه):

النفقات الواجبة:

أوَّلاً: الزوجة:

أ - وجوب النفقة مشروط بـ:

١ - أن تكون الزوجة دائمة.

٢ - لا نفقة للناشز، وهي التي تمتنع من فراش الزوجية، لا لعذر شرعي.

٣ - لا نفقة للصغيرة غير المدخول بها، ولا للزوجة في فترة الخطوبة - وإن عقد عليها شرعاً - إذا كان المتعارف هو عدم النفقة، كما لعلَّه الحاصل اليوم عندنا.

ب - المطلَّقة، إذا كانت رجعية فتجب نفقتها فترة العدَّة، وإن كانت بائنة، فإن كانت حاملاً وجبت نفقتها إلىٰ أن تضع حملها، وإلَّا لم تجب.

جـ - ومعنىٰ النفقة هنا هو ما يقيم ظهر الزوجة، ويشمل:

١ - المسكن، والمرأة لا تملك مسكن زوجها.

٢ - الملابس، وهي تملكها، فلها أن تتصرَّف بها كيفما شاءت.

٣ - المأكل، وهنا تملك مقدار حاجتها لكلِّ يوم بيومه لا أكثر.

٤ - تستحقُّ عليه نفقات التنظيف - كالحمّام إذا احتاجت إليه - والأدوية الضرورية ومصاريف الولادة.

٥ - أثاث البيت، ولكنَّها لا تملكه.

د - لا يجوز للزوجة أن تطالب بنفقة أُسبوع أو شهر مستقبلاً، ولكن يجوز لها أن تُسقِط نفقتها الحاضرة والمستقبلية فضلاً عن الماضية.

هـ - تقدير النفقة عرفي، أي كلّ شخص بحسبه.

و - النفقة واجبة حتَّىٰ إذا كانت الزوجة غنيَّة.

ثانياً: القرابة: أي الآباء والأبناء:

أ - وهذه مشروطة بغنىٰ الأب وفقر الابن، وبالعكس، فلو كان الأب غنيَّاً، أي يملك قوت يومه، فلا يجب علىٰ الولد نفقته، وهكذا العكس. ⇦

ثالثاً: النواهي:

فإنَّ حقَّ الله تعالىٰ عليك أن تهرب منها ولا تتقرَّب إليها بأيِّ حالٍ من الأحوال، كالغيبة والنميمة وظنِّ السوء بالمؤمن وغيرها.

ورد في رواية جابر، عن الباقر عليه السلام، قال: أتاه رجل فقال له: وقعت فارة في خابية فيها سمن أو زيت، فما ترىٰ في أكله؟ قال: فقال له أبو جعفر عليه السلام: «لا تأكله»، قال: فقال له الرجل: الفارة أهون عليَّ من

⇦ ب - لا يجب علىٰ الأب تزويج الابن.

جـ - النفقة علىٰ القريب مشروطة بالقدرة علىٰ النفقة علىٰ النفس والزوجة، فإن زاد وجبت نفقة الأقارب.

د - لا تجب النفقة علىٰ الإخوة ولا علىٰ زوجة الأب ولا علىٰ زوجة الابن. نعم، تجب النفقة علىٰ أولاد الأولاد.

هـ - فائدة: لو كان للولد أموال، من هدية أو هبة أو استحقَّها لدية ضرب وما شابه، فيمكن للوالد أن يصرفها عليه، لأنَّ الولد والحال هذه غنيٌّ، فيصرف عليه من أمواله، بشرط أن تكون الحاجة ضرورية وليس فيها مفسدة علىٰ الولد، وينوي حين الصرف أنَّها من أموال الولد ولو ارتكازاً.

ثالثاً: المملوك:

فيجب الإنفاق علىٰ الحيوان المملوك أو بيعه أو هبته أو ذبحه، فلا يجوز حبس الحيوان - مملوكاً أو لا - حتَّىٰ يموت.

رابعاً: الاضطرار:

إذا اضطرَّ شخص إلىٰ طعام غيره لإنقاذ نفسه من الهلاك أو ما يدانيه، وكان المالك حاضراً، ولم يكن مضطرّاً إليه، وجب عليه بذله له.

نعم، له الحقُّ بالمطالبة بالعوض فيما إذا كان المضطرُّ عاجزاً الآن.

ولو كان كلٌّ من الطرفين مضطرّاً لم يجب علىٰ المالك الإيثار، ولكنَّه يجوز له ذلك في بعض الموارد.

وإذا توقَّفت صيانة الدين وأحكامه ونواميس المسلمين علىٰ بذل شخص، وجب عليه ذلك، ولا يجوز له المطالبة بعوض. وإذا توقَّف الدين علىٰ بذل النفس وجب.

أن أتـرك طعـامي مـن أجلهـا. قـال: فقـال لـه أبـو جعفـر عليه السلام: «إنَّـك لم تسـتخفّ بالفـارة وإنَّـما اسـتخففت بـدينك، إنَّ الله حـرم الميتـة مـن كـلِّ شيء»[1].

رابعاً: تعظيم ما نُسِبَ إليه جلَّ وعلا من موجودات:

كالأنبياء، والأئمَّة[2]، والأولياء[3].

وكالبيت الحرام[4].

---

(١) تهذيب الأحكام ١: ٤٢٠/ ح (١٣٢٧/ ٤٦).

(٢) ومـن الاسـتخفاف بالأئمَّـة عليهم السلام الاسـتخفاف بشـيعتهم ومحبّـيهم، وهـو اسـتخفاف في الوقـت نفسـه بحـقٍّ مـن حقـوق الله تعـالىٰ، ففـي الكـافي ٨: ١٠٢/ ح ٧٣: عـن صـالح بـن عقبـة أبي هـارون، عـن أبي عبـد الله عليه السلام، قـال: قـال لنفـر عنـده وأنـا حـاضر: «مـا لكـم تسـتخفّون بنـا؟»، قـال: فقـام إليـه رجـل مـن خراسـان فقـال: معـاذ لوجـه الله أن نسـتخفَّ بك أو بشـيء مـن أمـرك. فقـال: «بـلىٰ إنَّـك أحـد مـن اسـتخفَّ بي»، فقـال: معـاذ لوجـه الله أن أسـتخفَّ بـك، فقـال لـه: «ويحـك أوَلم تسـمع فلانـاً ونحـن بقـرب الجحفـة وهـو يقـول لـك: احملنـي قـدر ميـل فقـد والله أعييـتُ؟ والله مـا رفعـتَ بـه رأسـاً، ولقـد اسـتخففت بـه، **ومن استخفَّ بمؤمن فينا استخفَّ وضيع حرمة الله عزَّ وجلَّ**».

(٣) في الكـافي ٢: ٣٥٣/ بـاب مـن آذىٰ المسـلمين واحتقـرهم/ ح ١٠: عـن أبي عبـد الله عليه السلام، قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «لقـد أسرىٰ ربّي بي، فـأوحىٰ إليَّ مـن وراء الحجـاب مـا أوحـىٰ، وشـافهني...، إلىٰ أن قـال لي: «يـا محمّـد، مـن أذلَّ لي وليّـاً فقـد أرصـدني بالمحاربـة، ومـن حـاربني حاربتـه، قلـت: يـا ربِّ، ومـن وليّـك هـذا؟ فقـد علمـت أنَّ مـن حاربـك حاربته، قال لي: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيّك ولذرّيتكما بالولاية».

ولذا ورد النهي عن إهانـة أيّ مـؤمن، إذ لعلَّـه يكـون وليّـاً مـن أوليـاء الله تعـالىٰ، قـال الإمـام عـليّ عليه السلام: «إنَّ الله تبـارك وتعـالىٰ... أخفـىٰ وليَّـه في عبـاده، فـلا تستصـغرن عبـداً مـن عبيـد الله، فربَّما يكون وليُّه وأنت لا تعلم». (الخصال: ٢٠٩ و٢١٠/ ح ٣١).

(٤) ويشمل تعظيم البيت الحرام الأُمور التالية:

أ - الإلحاد في الحرم، ففي الكافي ٤: ٢٢٧/ باب الإلحاد بمكّة والجنايات/ ح ٣: عن أبي الصباح الكناني، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ ⇦

وكشهر رمضان[1].

⇦ عَذابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ [الحجّ: ٢٥]، فقال: «كلُّ ظلم يظلمه الرجل نفسه بمكّة من سرقة أو ظلم أحد أو شيء من الظلم فإنّي أراه إلحاداً»، ولذلك كان يتَّقي أن يسكن الحرم.

ب - عدم التعدّي علىٰ أيِّ شخص في الحرم المكّي حتَّىٰ لو كان مجرماً. نعم، يُقطَع عنه الطعام، حتَّىٰ يضطرَّ للخروج فيُؤخَذ، ففي الكافي ٤: ٢٢٧ و٢٢٨/ باب الإلحاد بمكّة والجنايات/ ح ٤: عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قتل رجلاً في الحلِّ ثمّ دخل الحرم، فقال: «لا يُقتَل ولا يُطعَم ولا يُسقىٰ ولا يُبايَع ولا يُؤوىٰ حتَّىٰ يخرج من الحرم فيُقام عليه الحدّ»، قلت: فما تقول في رجل قتل في الحرم أو سرق؟ قال: «يقام عليه الحدّ في الحرم صاغراً، إنَّه لم يرَ للحرم حرمة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]»، فقال: «هذا هو في الحرم»، فقال: «﴿لا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣]».

جـ - لا يجوز قتل أيّ حيوان في الحرم - إلَّا إذا كان مؤذياً وخاف المُحْرم علىٰ نفسه -، ولا قلع الشجر، كما هو مذكور في محرَّمات الحرم من كتاب الحجِّ في الرسائل العملية.

د - لا يجوز الدخول إلىٰ الحرم المكّي من دون إحرام.

هـ - لا يجوز التخلّي مستقبلاً ولا مستدبراً القبلة علىٰ الأحوط وجوباً. وللتفاصيل راجع: الذنوب الكبيرة لدستغيب ٢: ٣١٢ - ٣١٦/ الفصل الثالث: فيما كان معظَّماً في نفوس أهل الشرع: هتك الكعبة.

و - حكم بعض الفقهاء بحرمة لقطة الحرم، وبعض بكراهتها، والسيِّد السيستاني علىٰ الثاني.

(١) وحرمته تعني صيامه، وعدم إحداث أيّ ذنب فيه، وتجديد التوبة فيه، وإجهاد النفس فيه بما يُرضي الله تعالىٰ، وعدم تسميته برمضان، بل شهر رمضان، كما في الرواية الشريفة عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «لا تقولوا: هذا رمضان، ولا ذهب رمضان، ولا جاء رمضان، فإنَّ رمضان اسم من أسماء الله عزّ وجلّ لا يجيء ولا يذهب، وإنَّما يجيء ويذهب الزائل، ولكن قولوا: شهر رمضان...». (الكافي ٤: ٦٩ و٧٠/ باب في النهي عن قول: (رمضان).../ ح ٢).

وقراءة عابرة لخطبة النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان، ودعاء الإمام السجّاد عليه السلام في وداعه، تكشف الكثير من حقائق هذا الشهر العظيم.

وككتاب الله تعالىٰ القرآن الكريم[١].

وكمساجد الله تعالىٰ[٢]، فقد ورد عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلَّة في تعظيم المساجد، فقال: «إنَّما أمر بتعظيم المساجد لأنَّها بيوت الله في الأرض»[٣].

والمشاهد المشرَّفة للمعصومين بحكم المساجد من حيث الحرمة[٤]، يقول تعالىٰ: ﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى

---

(١) يجب تعظيم القرآن الكريم، ولا يجوز هتك حرمته بأيِّ شكل من الأشكال، فلا يجوز كتابته بحبر نجس، ولا يجوز إعطاؤه للكافر، ولا يجوز مسّ كتابته إلَّا بطهور، وإذا وقع - لا سمح الله - في بيت الخلاء وجب إخراجه فوراً ولو بصرف الكثير من الأموال، وإن لم يمكن ذلك حرم التخلّي في ذلك المكان. ولمزيد توضيح راجع: الذنوب الكبيرة ٢: ٣١٠/ الفصل الثالث: فيما كان معظَّماً في نفوس أهل الشرع: هتك القرآن.

ويُضاف إلىٰ ذلك أُمور، منها: تعاهد القرآن بالقراءة، وتعليمه للأولاد، والاستماع إلىٰ تلاوته، وغيرها ممَّا هو مذكور في محلِّه.

(٢) وتشمل حرمتها التالي:

أ - لا يجوز تنجيس المسجد، ويجب تطهيره لو تنجَّس.

ب - يحرم توقّف الحائض والنفساء والمجنب في المسجد، إلَّا إذا أراد المرور والدخول من باب والخروج من آخر، إلَّا المسجد الحرام ومسجد النبيِّ صلى الله عليه وآله فلا يجوز حتَّىٰ المرور.

(٣) علل الشرائع ٢: ٣١٨/ باب ٤/ ح ١.

(٤) في تهذيب الأحكام ٦: ٢٢/ ح (٥٠/ ٧): عن أبي عامر الساجي واعظ أهل الحجاز، قال: أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام، فقلت له: يا بن رسول الله، ما لمن زار قبره - يعني أمير المؤمنين - وعمَّر تربته؟ قال: «يا أبا عامر، حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدِّه الحسين بن عليّ، عن عليٍّ عليه السلام أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال له: والله لتُقتلنَّ بأرض العراق وتُدفَن بها، قلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمَّرها وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبا الحسن، إنَّ الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنَّة وعرصة من عرصاتها، وإنَّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحنُّ إليكم وتحتمل المذلَّة والأذىٰ فيكم، فيُعمِّرون قبوركم ويُكثِرون زيارتها تقرّباً منهم إلىٰ الله [و]مودَّة منهم لرسوله، أُولئك يا عليُّ المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غداً ⇐

الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ (الحجّ: ٣٢).

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله حرمات ثلاث، من حفظهنَّ حفظ الله له أمر دينه ودنياه، ومن لم يحفظهنَّ لم يحفظ الله له شيئاً: حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة عترتي»[1].

وعن ابن عبّاس، قال: (إنَّ لله عزّ وجلّ حرمات ثلاث ليس مثلهنَّ شيء: كتابه وهو نوره وحكمته، وبيته الذي جعله للناس قبلةً لا يقبل الله من أحد وجهاً إلىٰ غيره، وعترة نبيِّكم محمّد ﷺ)[2].

خامساً: تعظيم أسماء الله تعالىٰ:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «... وَعَظِّمِ اسْمَ الله أَنْ تَذْكُرَه إِلَّا عَلَىٰ حَقٍّ...»[3].

ويشمل هذا:

أ - عدم ذكر لفظ الجلالة ولا كتابته مجرَّداً، بل (كلَّما كتب اسم الله تعالىٰ أتبعه بالتعظيم، مثل: تعالىٰ، أو سبحانه، أو عزَّ وجلَّ، أو تقدَّس، ونحو ذلك، ويتلفَّظ بذلك أيضاً)[4].

⇦ في الجنَّة. يا عليُّ، من عمَّر قبوركم وتعاهدها فكأنَّما أعان سليمان بن داود علىٰ بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجَّة بعد حجَّة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتَّىٰ يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أُمُّه، فأبشر وبشِّر أولياءك ومحبّيك من النعيم وقرَّة العين بما لا عين رأت ولا أُذُن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يُعيِّرون زوّار قبوركم بزيارتكم كما تُعيَّر الزانية بزناها، أُولئك شرار أُمَّتي، لا نالتهم شفاعتي، ولا يردون حوضي».

(١) الخصال: ١٤٦/ ح ١٧٣.

(٢) الخصال: ١٤٦/ ح ١٧٤.

(٣) نهج البلاغة: ٤٥٩/ ح ٦٩.

(٤) منية المريد للشهيد الثاني: ٣٤٦.

ب - عدم الحلف بالله تعالىٰ ولو صادقاً، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين، فإنَّه عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]»[١].

وعن أبي بصير، قال: حدَّثني أبو جعفر عليه السلام «أنَّ أباه كانت عنده امرأة من الخوارج - أظنّه قال: من بني حنيفة -، فقال له مولىٰ له: يا ابن رسول الله، إنَّ عندك امرأة تبرأ من جدِّك، فقضىٰ لأبي أنَّه طلَّقها، فادَّعت عليه صداقها، فجاءت به إلىٰ أمير المدينة تستعديه، فقال له أمير المدينة: يا عليُّ، إمَّا أن تحلف وإمَّا أن تعطيها [حقَّها]. فقال لي: قم يا بنيَّ فاعطها أربعمائة دينار، فقلت له: يا أبه، جُعلت فداك، ألست محقّاً؟ قال: بلىٰ يا بنيَّ، ولكنّي أجللت الله أن أحلف به يمين صبر»[٢].

وأمَّا إذا كان كاذباً فهو حرام، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قال العبد: علم الله، وكان كاذباً، قال الله عزَّ وجلَّ: أمَا وجدت أحداً تكذب عليه غيري؟»[٣].

ومن وصيَّة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله للإمام عليٍّ عليه السلام: «يا عليُّ، لا تحلف بالله كاذباً ولا صادقاً من غير ضرورة، ولا تجعل الله عرضةً ليمينك، فإنَّ الله لا يرحم ولا يرعىٰ من حلف باسمه كاذباً»[٤].

ج - عدم سبِّ الله تعالىٰ[٥]، وهذه وإن كانت غريبة عندما

---

(١) الكافي ٧: ٤٣٤/ باب كراهيَّة اليمين/ ح ١.

(٢) الكافي ٧: ٤٣٥/ باب كراهيَّة اليمين/ ح ٥.

(٣) الكافي ٧: ٤٣٧/ باب آخر من اليمين الكاذبة/ ح ٢.

(٤) تحف العقول: ١٤.

(٥) في الفتاوىٰ الميسَّرة للسيِّد السيستاني (ص ٤١٩): السؤال: عند وقوع مشاجرة كلامية ⇦

نذكرها، ولكن مع الأسف نجد الكثير من الجهلة والمستخفّين بحقِّ الله تعالىٰ يتجاوزون الحدود ويسبّون الله تعالىٰ، في الوقت الذي يتحرَّزون من شتم شخص ذي منصب أو سلطة، بل يتحرَّزون من سبِّ إنسان عادي إذا كان هو أو أحد ولده موجوداً!

يقول تعالىٰ: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

إنَّنا في بعض الأحيان نسمع من يشتم الله تعالىٰ ويسبّه - والعياذ بالله -، لكن بصورة ربَّما غير واضحة وغير مقصودة، فينبغي تنبيه الغافل عنها، كمن يشتم ربّ سيّارته مثلاً! أو يشتم ربّ ماكنة قد أزعجته! وهكذا، وقد نسي أنَّ ربَّ كلّ شيء هو الله تعالىٰ، لذا ينبغي الالتفات إلىٰ ذلك.

وليكن معلوماً أنَّ سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام هو سبٌّ لله تعالىٰ، فقد ورد أنَّه مرَّ ابن عبّاس بنفر يسبّون عليّاً، فقال: أيُّكم السابُّ لله؟ فأنكروا، قال: فأيُّكم السابُّ لرسول الله؟ فأنكروا، قال: فأيُّكم السابُّ عليّاً؟، قالوا: فهذا نعم، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من سبَّ عليّاً فقد سبَّني، ومن سبَّني فقد سبَّ الله، ومن سبَّ الله عزّ وجل فقد كفر»[1].

⇦ يتلفَّظ بعض الأشخاص - للأسف - بألفاظ معناها الكفر بالله سبحانه وتعالىٰ، كما يتلفَّظون بما لا يليق بالمعصومين، وهم غير جادّين فيما يقولون، فهل يجب أن يقام عليهم الحدُّ لذلك؟ الجواب: ما داموا غير جادّين ولا قاصدين لما يقولون، فلا يقام عليهم الحدُّ الشرعي، وإنَّما يستحقّون التعزير.

السؤال: ولو كانوا جادّين قاصدين في سبِّهم لله عزّ وجل، أو للنبيِّ صلى الله عليه وآله، أو للأئمَّة، أو للدين، أو للمذهب، وقاصدين ذلك بإصرار منهم عليه؟ الجواب: حكمهم القتل.

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٢١.

د - تعظيم أسمائه جلَّ وعلا عند المناشدة بها، والاستجابة للمناشدة إذا كانت بحقِّه جلَّ وعلا، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً من بنى فهد وهو يضرب عبداً له، والعبد يقول: أعوذ بالله، فلم يقلع الرجل عنه، فلمَّا أبصر العبد برسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أعوذ بمحمّد، فأقلع الرجل عنه الضرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يتعوَّذ بالله فلا تعيذه، ويتعوَّذ بمحمد فتعيذه؟! والله أحقّ أن يُجار عائذه من محمّد، فقال الرجل: هو حرٌّ لوجه الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحقِّ نبيّاً لو لم تفعل لواقع وجهك حرُّ النار»(١).

ومع الأسف نجد البعض عندما تناشده بحقِّ أبيه أو بحقِّ شخص عزيز عليه، فإنَّه يبرُّ لك تلك المناشدة، ولكنَّك حينما تناشده بحقِّ الله تعالىٰ فلا تجد أيَّ أثر لتلك المناشدة!

طبعاً لا نعني لزوم ذلك حتَّىٰ إذا كانت المناشدة من أجل أمر باطل أو مرجوح، وإنَّما إذا كان من أجل مسألة شخصية أو من أجل حلِّ مشكلة دنيوية وما شابه.

هـ - عدم مسّ لفظ الجلالة إلَّا بطهور، وحرمة تنجيسه. من هنا يجب الالتفات إلىٰ بعض الملابس التي يُكتَب عليها لفظ الجلالة أن لا تُغسَل بالماء المتنجِّس مع الملابس المتنجِّسة. كذلك يُكتَب علىٰ بعض المسابح لفظ الجلالة، فلا يجوز مسّها بغير طهارة شرعية، (وضوء أو غُسل مجزي عن الوضوء).

و - إذا كان لفظ الجلالة مكتوباً في ورقة، يجري عليها حكم القرآن الكريم، من لزوم الطهارة - كما تقدَّم - وحرمة التنجيس. من

---

(١) كتاب الزهد لحسين بن سعيد: ٤٤ و٤٥/ ح ١١٩، عنه بحار الأنوار ١٦: ٢٨٢/ ح ١٢٧.

هنا يجب الالتفات إلىٰ أنَّ الدفاتر والأوراق التي فيها لفظ الجلالة، وكالملصقات الدعائية التي فيها مثلاً البسملة أو العلم العراقي الذي فيه لفظ الجلالة وما شابه، لا يجوز حرقها، وإنَّما الحلُّ فيها إمَّا أن تمسح لفظ الجلالة، وإمَّا أن تُقطِّعها بحيث تصبح كالطحين، وإمَّا أن تدفنها، وإمَّا أن ترميها في نهر. والخلاصة يجب أن تبقىٰ بعيدةً عن الانتهاك والتنجيس.

ومن هنا نرىٰ الناس المتَّقين لا يكتبون لفظ الجلالة في ورقة يمكن أن تُطرَح، وإنَّما يكتبونه هكذا: (ا...)، فينبغي لنا التزام هذه الطريقة[1].

إنَّ انتهاك أيّ حقٍّ من هذه الحقوق الإلهيَّة، إذا لم تستتبعه توبة نصوحة وسريعة، فإنَّ إدبار القلب سيكون وارداً جدّاً، وبالتالي سيعيش العبد حالة من الجفاف الروحي، نسأل الله تعالىٰ أن لا يرينا إيّاها.

السبب الثاني: الإعراض عن الله تعالىٰ:

«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُعْرِضاً عَنْكَ فَقَلَيْتَنِي»:

إنَّ الاستخفاف بحقِّ الله تعالىٰ سيكون مقدَّمة للإعراض عن ذكره جلَّ وعلا، فإنَّ الإنسان أوَّلاً يستخفُّ بحقٍّ من الحقوق، فلا يذكره في ذلك، فيؤدّي ذلك إلىٰ أن يعرض العبد عن ربِّه، ولا يجعله بين عينيه في أفعاله وحركاته وسكناته، وبالتالي سينتج هذا الإعراض ما قال عنه القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً

---

(١) في الفتاوىٰ الميسَّرة للسيِّد السيستاني (ص ٤١٩): السؤال: يرمي الناس الجرائد والمجلّات وبعض الكتب المحترمة في أماكن تُجمَع النفايات برغم احتوائها علىٰ بعض الآيات القرآنية أو أسماء الله سبحانه وتعالىٰ؟ الجواب: لا يجوز ذلك، ويجب رفعها من تلك الأمكنة وتطهيرها إذا أصابها شيء من النجاسة.

وَنَحْشُـرُهُ يَوْمَ الْقِيامَـةِ أَعْـمى ﴿١٢٤﴾ قـالَ رَبِّ لِـمَ حَشَــرْتَني أَعْـمى وَقَـدْ كُنْـتُ بَصِـيراً ﴿١٢٥﴾ قـالَ كَـذلِكَ أَتَتْـكَ آياتُنـا فَنَسِـيتَها وَكَـذلِكَ الْيَـوْمَ تُنْســى ﴿١٢٦﴾﴾ (طه: ١٢٤ - ١٢٦).

وقـال تعـالىٰ: ﴿وَمَـنْ يَعْـشُ عَـنْ ذِكْـرِ الـرَّحْمنِ نُقَـيِّضْ لَهُ شَـيْطاناً﴾، أي من تعامىٰ عن ذكر الرحمن ونظر إليه نظر الأعشىٰ جئنا إليه بشيطان، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ (الزخرف: ٣٦)، أي مصاحب لا يفارقه.

وقـال الإمـام عـليّ عليه السلام: «مـن نسـي الله سـبحانه أنسـاه نفسـه، وأعمىٰ قلبه»[1].

وفيما ناجىٰ الله تعالىٰ موسىٰ عليه السلام: «يا موسىٰ، لا تنسني علىٰ كلِّ حال، ولا تفرح بكثرة المال، فإنَّ نسياني يُقسي القلوب، ومع كثرة المال كثرة الذنوب»[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال إبليس: يا ربِّ، ليس أحد من خلقك إلَّا جعلت لهم رزقاً ومعيشةً، فما رزقي؟ قال: ما لم يُذكر عليه اسمي»[3].

إنَّ الله تعالىٰ قد أخذ علىٰ نفسه أن ينظر بعين الرحمة إلىٰ عباده علىٰ الدوام، وأن يفيض نِعَمه باستمرار، فإنَّ لله تعالىٰ في أيّام دهرنا نفحات وفيوضات، ولكن تلك النفحات والنعم إنَّما تنزل علىٰ محلٍّ قابل لها، وبقدر استعداد القلوب لنفحات الله تعالىٰ ستكون الإفاضة، لا لبخل في ساحة الله تعالىٰ، ولكن لعدم قدرة القلب علىٰ أكثر من سعته، يقول تعالىٰ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها﴾ (الرعد: ١٧).

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٨.

(٢) الكافي ٨: ٤٥/ ح ٨.

(٣) كنز العمّال ١: ٤٤٤/ ح ١٩١٧.

المفارقة الغريبة هنا، هي أنَّه وإن كان الله تعالىٰ دائماً في إنزال النعم والنفحات علىٰ البشر، ولكن بعض البشر يعرض متعمِّداً بوجهه عنه تعالىٰ، ولسان حاله: «خَيْرُكَ إِلَيْنا نازِلٌ، وَشَرُّنا إِلَيْكَ صاعِدٌ»(١).

وهنا، سيقع الإنسان في مصيدة الشيطان، ويتعرَّض للإبعاد الإلهي! ممَّا يُسبِّب إدبار القلب عن الله تعالىٰ.

ولكن، كيف يتمُّ الإعراض عن الله تعالىٰ؟

إنَّ للإعراض صوراً متعدِّدة، نذكر منها:

١ - ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾؟ قال: «يعني به ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»، قلت: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى ﴿١٢٤﴾﴾؟ قال: «يعني أعمىٰ البصر في الآخرة، أعمىٰ القلب في الدنيا، عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»، قال: «وهو متحيِّر في القيامة يقول: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴿١٢٥﴾ قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها﴾»، قال: «الآيات الأئمَّة عليهم السلام، ﴿فَنَسِيتَها وَكَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦]، يعني تركتها وكذلك اليوم تُترَك في النار كما تركت الأئمَّة عليهم السلام، فلم تُطِع أمرهم ولم تسمع قولهم»(٢).

٢ - ترك الحجِّ مع القدرة عليه، فعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من مات وهو صحيح موسر لم يحجّ فهو ممَّن قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]»، قال: قلت: سبحان الله أعمىٰ! قال: «نعم، أعماه الله عن طريق الحقِّ»(٣).

---

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٢٢٠.

(٢) الكافي ١: ٤٣٥ و٤٣٦/ باب فيه نكت ونتف من التنزيل.../ ح ٩٢.

(٣) الكافي ٤: ٢٦٩/ باب من سوَّف الحجّ وهو مستطيع/ ح ٦.

٣ - ولعلَّ أوضح مصاديق الإعراض هو الإعراض اللساني، فربَّما تمرُّ علىٰ المرء أيّام عديدة وهو لا يفتح القرآن، أو لا يدعو بدعاء.

٤ - وأشدُّ صور الإعراض عنه تعالىٰ هو الإعراض العملي، عندما يعيش المرء بعيداً عن الأوامر الإلهيَّة، ولا يقيم لها وزناً في تصرّفاته وأفعاله، متناسياً ما نُسِبَ لأمير المؤمنين عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلَّا ورأيت الله قبله»[١].

السبب الثالث: الدخول في مقام الكاذبين:

«لَعَلَّكَ وَجَدْتَنِي فِي مَقامِ الكاذِبِينَ فَرَفَضْتَنِي»:

إنَّ من استخفَّ بحقوق الله تعالىٰ، وأدّىٰ ذلك به إلىٰ أن يعرض عنه تعالىٰ، بالتالي سيكون في مقام الكاذبين، لأنَّه أكيداً لا يُظهر هذا الاستخفاف والإعراض، وإنَّما يدَّعي أنَّه من المؤدّين للحقوق والذاكرين لله تعالىٰ، وهذه أولىٰ مراتب الكذب، فإذا استمرَّ بهذا الكذب مرّةً ومرَّتين وثلاثة، حينئذٍ سيكتبه الله تعالىٰ في الكاذبين، وهذا ممَّا يؤدّي إلىٰ إدبار القلب عن الله تعالىٰ.

يقول جلَّ وعلا: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (التوبة: ٧٧).

وروي عن رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله: «لا يزال العبد يكذب وتنكت في قلبه نكتة سوداء حتَّىٰ يسودَّ قلبه كلّه، فيُكتَب عند الله من الكاذبين»[٢].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «يكتسب الكاذب بكذبه ثلاثاً: سخط الله عليه، واستهانة الناس به، ومقت الملائكة له»[٣].

---

(١) شرح أُصول الكافي للمازندراني ٣: ٨٣.

(٢) الاستذكار لابن عبد البرِّ ٨: ٥٧٥/ ح ١٨٦٣.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٥٥٠.

إنَّ أوَّل ما يترتَّب علىٰ الكذب هو خروج الإنسان عن مقام الإخلاص، الإخلاص الذي يُعتَبر شرطاً أساسياً في العلاقة مع الله تعالىٰ، فأيّ عمل لا إخلاص فيه فإنَّ قبوله محلّ شكٍّ، إن لم نقل: إنَّ الروايات الشريفة قد صرَّحت بعدم القبول!

وبعد هذا، سيقع المرء في عدَّة مفردات للكذب، نذكر منها:

أوَّلاً: مخالفة القول العمل والعمل القول، فإنَّه قد ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ ۝﴾ (الصفّ: ٣).

ثانياً: عدم إخلاص التوبة، فلرُبَّ تائب قد نكث توبته، فما أن يُعلِن توبته أمام الله ربّ العالمين، وإذا به يقع في أوَّل اختبار ويسقط في أوَّل ابتلاء! يقول الإمام السجّاد عليه السلام في دعائه في ذكر التوبة وطلبها: «اللّهُمَّ أيُّما عَبْدٍ تابَ إلَيْكَ وَهُوَ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ فاسِخٌ لِتَوْبَتِهِ وَعائِدٌ فِي ذَنْبِهِ وَخَطِيئَتِهِ...»[1].

ثالثاً: خلف الوعد، فإنَّه مصداق واضح للكذب، ولذا تجد أنَّ الوفاء بالوعد كان سمة الصالحين علىٰ مرِّ العصور، فقد روي أنَّه قال أبو الحميساء: بايعت النبيَّ صلى الله عليه وآله قبل أن يُبعَث، فواعدته مكاناً، فنسيته يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث، فقال عليه السلام: «يا فتىٰ، لقد شققت عليَّ، أنا هاهنا منذ ثلاثة أيّام»[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعد رجلاً إلىٰ الصخرة، فقال: أنا لك هاهنا حتَّىٰ تأتي»، قال: «فاشتدَّت الشمس عليه، فقال له أصحابه: يا رسول الله، لو أنَّك تحوَّلت إلىٰ الظلِّ، قال: قد

---

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ١٥٤.

(٢) مكارم الأخلاق للطبرسي: ٢١، عنه بحار الأنوار ١٦: ٢٣٥/ ح ٣٥.

وعدته إلىٰ هاهنا، وإن لم يجئ كان منه المحشر»[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال لأحد أصحابه: «أتدري لِمَ سُمّي إسماعيل صادق الوعد؟»، قال: قلت: لا أدري، قال: «وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره»[٢].

وقد اعتبرت الروايات الشريفة أنَّ الوعد أوَّلاً هو مع الله تعالىٰ، وبالتالي فخلفه هو خلف الله تعالىٰ أوَّلاً، فعن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عِدَة المؤمن أخاه نذر لا كفّارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ، ولمقته تعرَّض، وذلك قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصفّ: ٢ و٣]»[٣].

هذا..

وقد وردت تعليمات مهمَّة في الوعد، نذكر منها:

أ - ضرورة أن لا يعد المرء ما يعرف من نفسه عدم قدرته عليه، حتَّىٰ لا يقع في خلف الوعد، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «لا تعدنَّ عِدَة لا تثق من نفسك بإنجازها»[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تعدنَّ أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه»[٥].

ب - إنَّ خلف الوعد لا يصدق علىٰ من نوىٰ الوفاء ولم يقدر

---

(١) علل الشرائع ١: ٧٨/ باب ٦٧/ ح ٤.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٨٥/ ح ٩.

(٣) الكافي ٢: ٣٦٣ و٣٦٤/ باب خلف الوعد/ ح ١.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٥١٩.

(٥) تحف العقول: ٣٦٧.

لعارض، فعن رسول الله الأعظم ﷺ: «ليس الخلف أن يَعِدَ الرجل ومن نيَّته أن يفي، ولكن الخلف أن يَعِدَ الرجل ومن نيَّته أن لا يفي»[١].

لذا ينبغي دراسة ما يحيط بالوعد دراسة تُنجيك من الوقوع في الحرج!

ج - ضرورة الوفاء بالوعد حتَّىٰ للصبيان، فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا وعدتم الصغار فأوفوا لهم، فإنَّهم يرون أنَّكم أنتم الذين ترزقونهم، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يغضب بشيء كغضبه للنساء والصبيان»[٢].

رابعاً: الكذب علىٰ الله تعالىٰ، فإنَّه من مفطرات الصوم في شهر رمضان، وهو من الإفتاء بغير علم الذي يتبوَّأ صاحبُه مقعداً من النار!

قال تعالىٰ: ﴿وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هذا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (النحل: ١١٦).

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (آل عمران: ٧٨).

ومن ذلك، الكذب علىٰ رسول الله ﷺ بنسبة حديث له لم يقله! فويل للمأجورين الذين نسبوا له ﷺ ما لم يقله، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «فوَالله لئن أخِرّ من السماء أو تخطفني الطير أحبُّ إليَّ من أن أكذب علىٰ رسول الله ﷺ»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام - لـمَّا ذُكِرَ الحائك له أنَّه ملعون -:

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٤٥١/ ح ٧٥٧٦.

(٢) عدَّة الداعي: ٧٥، عنه بحار الأنوار ١٠١: ٧٣/ ح ٢٣.

(٣) قرب الإسناد: ١٣٣/ ح ٤٦٦.

«إنَّما ذاك الذي يحوك الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله ﷺ»[1].

وعنه عليه السلام: «إنَّ الكذبة لتُفطِر الصائم»، - قال أبو بصير: - قلت: وأيّنا لا يكون ذلك منه؟! قال: «ليس حيث ذهبت، إنَّما ذلك الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله وعلىٰ الأئمَّة صلوات الله عليه وعليهم»[2].

السبب الرابع: ترك شكر النعم:

«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شاكِرٍ لِنَعْمائِكَ فَحَرَمْتَنِي»:

من الأُمور التي تعارف عليها الناس هي قضيَّة المجازاة والمكافأة علىٰ الصنايع، فمن يحسن إليك لا بدَّ أن تردَّ له إحسانه من باب ﴿هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ ۝٦٠﴾ (الرحمن: ٦٠)، ونسيان هذا الأمر أو تركه يؤدّي إلىٰ ما يُسمّىٰ بـ (قطع سبيل المعروف).

ولهذه القاعدة موارد عديدة، من أهمّها شكر المحسن والمنعم، ولا محسن لنا ومنعم علينا كالله تعالىٰ، بل كلّ محسن ومنعم دونه فمن جوده وعطائه يُحسِن ويُنعِم. وكم من نعمة هي عندنا تستوجب الشكر!

فمثلاً: (إنَّ الإنسان عندما يعطس يتوقَّف القلب عن النبض خلال العطاس، وإذا حاول إيقاف عطاسه فجأةً فقد يؤدّي ذلك إلىٰ ارتداد الدم في الرأس أو الرقبة، وتحدث الوفاة، وإذا تُرِكَت العينان مفتوحتين فقد تخرجان من مكانهما، لكلِّ ذلك ألَا يجب علىٰ الإنسان أن يشكر ربَّه بعد العطاس؟!)[3].

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾ (النحل: ١٨)، نعمة واحدة فقط (لا تحصوها)!

---

(١) الكافي ٢: ٣٤٠/ باب الكذب/ ح ١٠.

(٢) الكافي ٢: ٣٤٠/ باب الكذب/ ح ٩.

(٣) مجلَّة الأبعاد الخفيَّة/ العدد ٣٩/ ص ٦٣، نقله عنها السيِّد حسين نجيب محمّد في كتابه في رحاب الله (ص ٢٥٢).

وعلىٰ كلِّ حالٍ، العقل - يعضده النقل - يحكم بخسَّة من لا يشكر ربَّه المنعم عليه، خصوصاً مع ما نراه من البعض من توجيه الشكر والتبجيل لطبيب إذا نجح في وصف علاج له، أو لميكانيكي إذا أصلح له سيّارته، أو لموظَّف إذا سهَّل له مجرىٰ معاملته، ولكنَّه مع ربِّه الذي كان هو سبب جميع تلك النعم يبقىٰ غافلاً عن شكره متناسياً لنعمه!

حريٌّ بمثل هذا الفرد أن يحرمه الله تعالىٰ من عطاياه، «لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شاكِرٍ لِنَعْمائِكَ فَحَرَمْتَنِي».

وحتَّىٰ نكون علىٰ بيِّنة من أمرنا - بعد تسليمنا وجوب الشكر لله تعالىٰ - ينبغي علينا أن نلتفت إلىٰ أُمور تُمثِّل كفران النعم وترك شكرها، وهي عديدة، نذكر منها:

أوَّلاً: عدم الشكر اللساني:

فإنَّ الشكر القلبي وإن كان هو الأهمّ، ولكن الكاشف عنه هو الشكر اللساني، القرآن الكريم يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ (الضحىٰ: ١١)، فللحديث اللساني أثر في قبول الأعمال، فينبغي عدم غفلة ذلك.

ولدينا في تراثنا العديد من الأدعية المختصَّة بالشكر، ولا أشهر من مناجاة الشاكرين للإمام زين العابدين عليه السلام التي تكشف الكثير من أسرار الشكر، والتي يقول فيها عليه السلام: «... فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلىٰ شُكْرٍ؟! فَكُلَّما قُلْتُ: لَكَ الحَمْدُ، وَجَبَ عَلَيَّ لِذلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الحَمْدُ...»[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ داود النبيّ عليه السلام قال: يا ربِّ،

---

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٤١٠.

أخبرني بقريني في الجنَّـة ونظـيري في منـازلي، فـأوحىٰ الله تبـارك وتعـالىٰ إليـه: إنَّ ذلك متّىٰ أبا يونس».

قال: «فاستأذن الله في زيارته فأذن له، فخرج هو وسليمان ابنه عليهما السلام حتَّـىٰ أتيا موضعه، فإذا هما ببيت من سعف، فقيل لهما: هو في السوق، فسألا عنه، فقيل لهما: اُطلباه في الحطّابين، فسألا عنه، فقال لهما جماعة من الناس: ننتظره الآن حتَّىٰ يجيء، فجلسا ينتظرانه إذ أقبل وعلىٰ رأسه وقر من حطب، فقـام إليـه النـاس، فألقى عنه الحطب، فحمد الله، وقال: من يشتري طيباً بطيب، فسـاومه واحـد، وزاده آخر حتَّىٰ باعه من بعضهم».

قال: «فسلَّما عليه، فقال: انطلقا بنا إلىٰ المنزل، واشترىٰ طعاماً بما كان معه، ثمّ طحنه وعجنه في نقير له، ثمّ أجَّج ناراً وأوقدها، ثمّ جعـل العجـين في تلـك النار، وجلس معهما يتحدَّث، ثمّ قام وقد نضجت خبيزته، فوضـعها في النقـير، فلفَّها وذرَّ عليها ملحاً، ووضع إلىٰ جنبه مطهَّرة مليء ماءً، وجلس عـلىٰ ركبتيـه، فأخذ لقمة، فلمَّا رفعها إلىٰ فيه قال: بسم الله، فلمَّا ازدردها قال: الحمد لله، ثمّ فعل ذلك بأُخرىٰ وأُخرىٰ، ثمّ أخذ الماء فشـرب منه، فذكر اسم الله، فلمَّا وضعه قال: الحمد لله، يا ربِّ، مـن ذا الـذي أنعمـت عليـه وأوليتـه مثـل مـا أوليتنـي، قـد صححت بصـري وسمعي وبدني، وقوَّيتني حتَّىٰ ذهبت إلىٰ شجر لم أغرسه، ولم أهتمّ لحفظه، جعلته لي رزقاً، وسقت لي من اشتراه منّي، فاشتريت بثمنه طعاماً لم أزرعه، وسخَّرت لي النار فأنضـجته، وجعلتنـي آكلـه بشـهوة أقـوىٰ بهـا عـلىٰ طاعتك، فلك الحمد».

قال: «ثمّ بكىٰ، فقال داود لسليمان: يا بنيَّ، قم فانصـــرف بنـا، فـإنّي لم أرَ عبداً قطّ أشكر لله من هذا»[1].

---

(١) تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام) ١: ٢٦، عنه بحار الأنوار ١٤: ٤٠٢ و٤٠٣/ ح ١٦.

ثانياً: استخدام النعم في معصية الله تعالىٰ!

وهذا من عجائب أفعال من يدَّعي العقل!

لقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «شكر كلّ نعمة الورع عمّا حرَّم الله عزَّ وجلَّ»[١].

إنَّ من أهمّ النعم الإلهيَّة علىٰ العبد هي: الصحَّة، الشباب، المال، الجاه، السلطان، القوَّة البدنية، وغيرها. وكلُّ هذه النعم هي من قبيل السلاح ذي الحدَّين، وحذار ممَّن يستعمل الحدَّ الأعوج!

ومن هذا الباب مواجهة النعم بالمعاصي!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يقول الله تبارك وتعالىٰ: يا ابن آدم، ما تنصفني، أتحبَّب إليك بالنعم وتتمقَّت إليَّ بالمعاصي، خيري عليك منزل وشرّك إليَّ صاعد، ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك في كلِّ يوم وليلة بعمل قبيح منك. يا ابن آدم، لو سمعتَ وصْفَك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف، لسارعت إلىٰ مقته»[٢].

ثالثاً: عدم أداء حقوق النعم الشرعية:

فإنَّ علىٰ الأموال حقوقاً شرعية عُبِّر عنها بالزكاة والخمس وزكاة الفطرة، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَه فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِه غَنِيٌّ، واللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ»[٣].

وإنَّ علىٰ الجاه حقّاً شرعياً، هو قضاء حوائج الإخوان.

وإنَّ علىٰ الجمال حقّاً شرعياً، وهو العفاف.

---

(١) الخصال: ١٤/ ح ٥٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣١/ ح ١٨، عنه بحار الأنوار ٧٠: ٣٥٢/ ح ٥٠.

(٣) نهج البلاغة: ٥٣٣/ ح ٣٢٨.

وإنَّ علىٰ الفقر حقّاً شرعياً، وهو الصبر.

وإنَّ علىٰ القدرة حقّاً شرعياً، وهو العفو[١].

وإنَّ علىٰ بقيَّة النعم حقوقاً شرعية لا بدَّ من الالتفات إليها.

وعدم الالتفات إليها يعني ترك الشكر!

رابعاً: إلهاء النعم عن ذكر الله تعالىٰ:

وهي من مصائد الشيطان وسلبيات النعم المتكاثرة، وهي تؤدّي إلىٰ طامة كبرىٰ يُعبَّر عنها بـ (الاستدراج) الذي عرَّفه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «هو العبد يذنب الذنب، فتجدَّد له النعمة معه تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب»[٢].

خامساً: عدم شكر الناس:

فإنَّ من أحسن إليك من الناس يجب شكره - وإن كان الشكر لازماً لله تعالىٰ أوَّلاً -، ولكن الله تعالىٰ أراد منك أن تشكر العبد إذا أحسن إليك حتَّىٰ تُشجِّعه علىٰ الإحسان مرّةً ثانية وثالثة ورابعة.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «يقول الله تبارك وتعالىٰ لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا ربِّ، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره»، ثمّ قال عليه السلام: «أشكركم لله أشكركم للناس»[٣].

السبب الخامس: ترك مجالس العلماء:

«لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجَالِسِ العُلَمَاءِ فَخَذَلْتَنِي»:

إنَّ الإسلام كنظام عامّ للمجتمع، جاء ليُصلِح أُمور الناس، دنيوياً

---

(١) يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِذَا قَدَرْتَ عَلَىٰ عَدُوِّكَ، فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْه شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْه». (نهج البلاغة: ٤٧٠/ ح ١١).

(٢) الكافي ٢: ٤٥٢/ باب الاستدراج/ ح ٣.

(٣) الكافي ٢: ٩٩/ باب الشكر/ ح ٣٠.

ودينياً، ولذاك نجد أنَّ له قولاً في كلِّ مسألة، حتَّىٰ اشتهر عند علماء الأُصول أنَّه ما من مسألة أو واقعة إلَّا وللشرع فيها حكم.

ومن دقَّته أنَّه أخذ بعين الاعتبار أنَّ الإنسان يحتاج إلىٰ أن يجالس غيره، فليس الإنسان كائناً وحشياً فردياً، وإنَّما هو كائن اجتماعي، علىٰ اختلاف في تخريج اجتماعيته، وأنَّه اجتماعي بذاته أو لأنَّه يحتاج إلىٰ بقيَّة أفراد نوعه ليتكامل معهم، لا شأن لنا بهذا الآن، المهمّ أنَّ الكلَّ متَّفق علىٰ أنَّه كائن اجتماعي.

عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: حدَّثني عليّ بن جعفر، عن أخيه موسىٰ بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام، قال: قال عليُّ بن الحسين عليه السلام: «**ليس لك أن تقعد مع من شئت،** لأنَّ الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]، وليس لك أن تتكلَّم بما شئت، لأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ولأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو صمت فسلم. وليس لك أن تسمع ما شئت، لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]»[1].

ولهذا فالمجالس داخلة في الحساب، وهي بالتجربة تُؤثِّر علىٰ الإنسان سلباً وإيجاباً، والإسلام وضَّح هذه المسألة بصورة جليَّة. ولذا ورد النهي عن حضور بعض المجالس والأمر بحضور بعض آخر.

---

(١) علل الشرائع ٢: ٦٠٥ و٦٠٦/ باب ٣٨٥/ ح ٨٠.

أمَّا المجالس المنهي عنها، فهي كلّ مجلس لا ينفع الإنسان لا في دنياه ولا في آخرته، ومنها المجالس التي لا يُذكر فيها الله تعالىٰ، أو يُذكر فيها لكن بصورة سلبية بما يُسمّىٰ بالاعتراض علىٰ حكم الله تعالىٰ أو الكفر به أو الخوض بالباطل، أو المجالس التي يُتجاوز فيها علىٰ الصالحين، خصوصاً الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام الذين نصبهم الله تعالىٰ حججاً علىٰ البشر.

والآيات والروايات في ذلك كثيرة، منها:

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَالْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴿١٤٠﴾﴾ (النساء: ١٤٠).

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (الأنعام: ٦٨).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ ...﴾ [النساء: ١٤٠]: «إنَّما عنىٰ بهذا الرجل يجحد الحقّ ويكذب به ويقع في الأئمَّة، فقم من عنده ولا تقاعده كائناً من كان»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يُسَبُّ فيه إمام، أو يُغتاب فيه مسلم، إنَّ الله يقول في كتابه: ﴿وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا ...﴾ [الأنعام: ٦٨]»[٢].

---

(١) الكافي ٢: ٣٧٧/ باب مجالسة أهل المعاصي/ ح ٨.

(٢) تفسير القمّي ١: ٢٠٤.

ويقـول الإمـام عـليّ عليه السلام: «لا تجلسـوا عـلىٰ مائـدة يُشـرَب عليهـا الخمر، فإنَّ العبد لا يدري متىٰ يُؤخَذ»[١].

وعنه عليه السلام: «إيّاك والجلوس في الطرقات»[٢].

وقـال الإمـام الصـادق عليه السلام: «لا ينبغـي للمـؤمن أن يجلـس مجلسـاً يُعصىٰ الله فيه ولا يقدر علىٰ تغييره»[٣].

وقـال الإمـام عـليّ عليه السلام: «مـن كـان يـؤمن بـالله واليـوم الآخـر فـلا يقوم مكان ريبة»[٤].

وربَّما نستطيع تلمّس بعض الحِكَم في النهي عن تلك المجالس من خلال نفس هذه الروايات الشريفة، منها:

١ - إنَّ الجلـوس في تلـك المجـالس فيـه احـتمال الإصـابة باللعنـة الإلهيَّـة لـو نزلـت، وهـي محتملـة النـزول في أيِّ لحظـة عـلىٰ تلـك المجـالس، وكما عبَّر الإمام عليه السلام في الرواية بـ«فإنَّ العبد لا يدري متىٰ يُؤخَذ».

ولـذا ورد أنَّ عـذاباً نـزل عـلىٰ قـوم فأصـاب المـؤمنين كـما أصـاب الكـافرين، لأنَّهـم جالسـوهم ولم يـأمروهم بمعـروف ولم ينهـوهم عـن منكر[٥].

والقاعدة العامَّة هنا هـي مـا قالـه لقـمان الحكـيم لابنـه: «اُجلـس مـع صـلحائهم فـربَّما أصـابهم الله برحمـة فتـدخل فيهـا فيصـيبك، وإن كنـت

(١) الخصال: ٦١٩/ حديث أربعمائة.

(٢) بحار الأنوار ٧٢: ٤٦٥/ ح ٦، عن أمالي الطوسي: ٨/ ح (٨/ ٨).

(٣) الكافي ٢: ٣٧٤/ باب مجالسة أهل المعاصي/ ح ١.

(٤) الكافي ٢: ٣٧٨/ باب مجالسة أهل المعاصي/ ح ١٠.

(٥) راجع: الكافي ٥: ٥٥ و٥٦/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ح ١.

صالحاً فابعد من الأشرار والسفهاء، فربَّما أصابهم الله بعذاب فيصيبك معهم»[١].

٢ - إنَّ الجلوس فيها مدعاة للظنِّ السيِّئ الذي ينبغي أن يُبعِد المرء نفسه عنه، علىٰ غرار «رحم الله امرءاً جبَّ الغيبة عن نفسه»[٢].

وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ وَضَعَ نَفْسَه مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِه الظَّنَّ»[٣].

«مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ»[٤].

«مجالسة الأشرار تورث سوء الظنِّ بالأخيار»[٥].

ومن خلال هذا سنعرف أنَّ الإسلام أمرنا بالجلوس في المجالس التي لا يُشتَبَه بنزول العذاب عليها، ولا تؤدّي إلىٰ سوء الظنِّ بالجالس، وفي هذا المجال جاءت الروايات الشريفة لتذكر لنا بعض مصاديق تلك المجالس، نذكر منها:

المجالس المأمور بها:

١ - **مجالس الذكر**: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه خرج علىٰ أصحابه، فقال: «ارتعوا في رياض الجنَّة»، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنَّة؟ قال: «مجالس الذكر»[٦].

---

(١) بحار الأنوار ٧١: ١٨٩/ ح ١٨، عن أعلام الدين للديلمي: ٢٧٢.
(٢) كشف الخفاء للعجلوني ١: ٤٢٦/ ح ١٣٦٧.
(٣) نهج البلاغة: ٥٠٠/ ح ١٥٩.
(٤) نهج البلاغة: ٥٣٦/ ح ٣٤٩.
(٥) أمالي الصدوق: ٥٣١/ ح (٧١٨/ ٩).
(٦) عدَّة الداعي: ٢٣٨/ ح ١٧.

وقال ﷺ: «ما قعد عدَّة من أهل الأرض يذكرون الله إلَّا قعد معهم عدَّة من الملائكة»[١].

وورد في حِكَم لقمان عليه السلام: «اختر المجالس علىٰ عينيك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله عزَّ وجلَّ فاجلس معهم، فإنَّك إن تكُ عالماً ينفعك علمك ويزيدونك علماً، وإن كنت جاهلاً علَّموك، ولعلَّ الله يصلهم برحمة فتعمّك معهم»[٢].

٢ - **مجالس المؤمنين:** قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم روضة من رياض الجنَّة فارتعوا فيها»، قيل: يا رسول الله، وما روضة الجنَّة؟ فقال: «مجالس المؤمنين»[٣].

٣ - **مجالس إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام:** قال الإمام الصادق عليه السلام: «من جلس مجلساً يُحيي أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[٤].

وقال عليه السلام لفضيل: «تجلسون وتُحدِّثون؟»، قال: نعم جُعلت فداك، قال: «إنَّ تلك المجالس أُحِبُّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا. يا فضيل، من ذَكَرنا أو ذُكْرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه ولو كان أكثر من زبد البحر»[٥].

مجالسة العلماء:

ومن هذا يتبيَّن أهمّية مجالسة العلماء وخطورة ترك مجالستهم، ولا

---

(١) عدَّة الداعي: ٢٣٨/ ح ١٦.
(٢) علل الشرائع ٢: ٣٩٤/ باب ١٣١/ ح ٩.
(٣) بحار الأنوار ٧١: ١٨٨/ ح ١٣، عن مستطرفات السرائر لابن إدريس: ٦٣٥.
(٤) الدعوات: ٢٧٨/ ح ٨٠٦.
(٥) قرب الإسناد: ٣٦/ ح ١١٧.

أظنُّ أحداً يُحكِّم وجدانه إلَّا ويصل إلىٰ قناعة كافية بهذه الحقيقة. والإمام السجّاد عليه السلام بيَّن أنَّ ترك مجالستهم يؤدّي إلىٰ الخذلان، لأنَّ الإنسان يحتاج في حياته إلىٰ توفيق من الله تعالىٰ، ومجالسة العلماء من أهمّ أسباب ذلك التوفيق. وهذا ما أكَّدته الروايات الشريفة.

روىٰ جابر بن عبد الله، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله، قال: «لا تجلسوا إلَّا عند كلِّ عالم يدعوكم من خمس إلىٰ خمس: من الشكِّ إلىٰ اليقين، ومن الرياء إلىٰ الإخلاص، ومن الرغبة إلىٰ الرهبة، ومن الكبر إلىٰ التواضع، ومن الغشِّ إلىٰ النصيحة»[1].

وقال الحواريون لعيسىٰ عليه السلام: لمن نجالس؟ فقال: «من يُذكِّركم الله رؤيته، ويُرغِّبكم في الآخرة عمله، ويزيد في منطقكم علمه»، وقال لهم: «تقرَّبوا إلىٰ الله بالبعد من أهل المعاصي، وتحبَّبوا إليه ببغضهم، والتمسوا رضاه بسخطهم»[2].

وقال لقمان لابنه: «يا بنيَّ، صاحب العلماء، وأقرب منهم، وجالسهم وزرهم في بيوتهم، فلعلَّك تُشبِهُهم، فتكون معهم، واجلس مع صلحائهم، فربَّما أصابهم الله برحمة فتدخل فيها فيصيبك، وإن كنت صالحاً فابعد من الأشرار والسفهاء، فربَّما أصابهم الله بعذاب فيصيبك معهم»[3].

وفي المقام سؤالان مهمّان جدّاً لا بدَّ من التعرّف علىٰ جوابهما:

السؤال الأوَّل: كيف نجالس العلماء؟

قد يقال بأنَّ العالم لديه الكثير من المشاغل التي تمنعه من إطالة

---

(١) بحار الأنوار ٧١: ١٨٨ و١٨٩/ ح ١٨، عن أعلام الدين: ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الجلوس مع الناس، فهو مشغول بدرسه الصعب الذي لا يوازيه أيّ درس في دراسة أُخرىٰ، ومشغول بأُمور الأُمَّة وتنظيم أُمورها، خصوصاً وأنَّ مهمَّته خطرة جدّاً، فإنَّ كلامه يصل إلىٰ الأُمَّة جمعاء، فهو في حالة نفسية لا يُحسَد عليها، وبالتالي فهو مشغول جدّاً عن مجالستنا، فكيف نجالسه والحال هذه؟

والجواب عن هذا من السهولة بمكان، إذا التفتنا إلىٰ أنَّ مجالسة العالم لا تنحصر بالجلوس المباشر، وإنَّما هو أفضل أنواع مجالسته لو أمكن، وهو ليس مستحيلاً، بل هو ممكن جدّاً. نعم، قد يمرُّ العالم أو الأُمَّة عموماً بظروف صعبة تمنع العالم من مباشرة الناس، وهو ظرف سبق وأن مرَّ به أئمَّتنا عليهم السلام، وأعطونا أفضل الطرق للتواصل مع أُمَّتهم وشيعتهم، وهم بذلك دلّونا علىٰ الطرق المناسبة للتواصل مع القادة والأئمَّة والعلماء، وبذلك نعرف أنَّ هناك طرقاً أُخرىٰ للتواصل ومجالسة العالم، مثل استماع محاضراته المسجَّلة، وقراءة كتبه ورسائله ونشراته، ومراسلته في الأُمور المهمَّة بما يُسمّىٰ بالمكاتبات أو الاستفتاءات، وكذلك مجالسة من ينصبهم العالم.

السؤال الثاني: لماذا أعرض الناس عن مجالسة العلماء؟

وما هي الأسباب التي جعلت بعض الناس يستخفّون بحقِّ العالم، ويتهاونون عن مجلسه؟

إنَّ هذا أمر واقعي نعيشه اليوم.

والحقيقة أنَّ بعض الناس لم يتهاونوا في ذلك وحسب، وإنَّما تهاونوا عن مجالسة أيّ مؤمن لا يدور في مجلسه سوىٰ الحقّ، فلماذا هذا الإعراض؟

إنَّ هذا السؤال يجرّنا إلىٰ البحث عن عموم الأسباب التي جعلت ذلك البعض يعرضون عن الدين عموماً، ولكن لنُخصِّص الكلام الآن عن ترك مجالسة العلماء - بالحدود التي عرفناها في جواب السؤال السابق - ما هو سببه؟

ربَّما يمكننا تلمّس العديد من الأسباب، نذكر منها:

أوَّلاً: مخالفة مجالس العلماء لأهواء النفس الأمّارة بالسوء، وعدم الانسجام التامّ مع الطرح الإيماني لمجالسهم، والناس تكره ما لا ينسجم مع توجّهاتها، فلكلِّ امرئ توجّهات نفسية تتناسب مع ما بنىٰ عليه حياته، ولا شكَّ أنَّ من كانت توجّهاته سطحية ولا دينية فإنَّه يكره مجالسة العلماء.

ثانياً: تشويه صورة العلماء في أذهان العامَّة من قِبَل أعداء الإسلام، وهناك الكثير من الأدلَّة التي تدلُّ علىٰ ذلك.

جاء في بعض بنود مخطَّطات اليهود ما نصّه:

(وقد عنينا عناية عظيمة بالحطِّ من كرامة رجال الدين من الأُمميين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤوداً في طريقنا. وإنَّ نفوذ رجال الدين علىٰ الناس ليتضاءل يوماً فيوماً)[1].

بالإضافة إلىٰ أنَّ الوثيقة الرابعة من الوثائق الاشتراكية اليهودية[2] تقول فيما تقول[3]:

---

(١) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) لمحمّد خليفة التونسي.

(٢) نقلها الأُستاذ طارق حجّي في كتابه (الشيوعية والأديان)، هذا الرجل الذي اعتقد الماركسية ومارس العمل بمبادئها، وقرأ فيها خمسة آلاف مرجع، ونشرتها كذلك مجلَّة (كلمة الحقِّ) في العدد الصادر في شهر المحرَّم سنة (١٣٨٧هـ)، ووردت في كتاب: (الكيد الأحمر) للمؤلِّف عبد الرحمن حسن حنبكة.

(٣) ملاحظة: ترقيم الفقرات حسب ما هو موجود في الوثيقة.

(٢ - تشـويه سـمعة رجـال الـدين، والحكّـام المتـديِّنين، واتّهـامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.

٤ - الحيلولـة دون قيـام حركـات دينيـة في الـبلاد مهـما كـان شـأنها ضعيفاً، والعمل الدائم بيقظة لمحو أيّ انبعاث ديني.

٥ - ومـع هـذا لا يغيـب عنّـا أنَّ للـدين دوره الخطـير في بنـاء المجتمعـات؛ ولـذا وجـب أن نحـاصره مـن كـلِّ الجهـات، وفي كـلِّ مكـان، وإلصاق التهم به، وتنفـير النـاس منـه بالأُسـلوب الـذي لا يـنمُّ عـن معـاداة الإسلام.

٦ - تشـجيع الكُتَّـاب الملحـدين، وإعطـاؤهم الحرّيـة كلّهـا في مواجهة الدين، والشعور الديني، والضمير الديني، والعبقرية الدينية.

١٤ - تحطـيم القـيم الدينيـة والروحيـة، واصـطناع الخلـل والعيـوب لها.

١٨ - إلصـاق كـلّ عيـوب الـدراويش، وخطايـا المنتسـبين للـدين بالدين نفسه؛ لإثبات أنَّ الدين خرافة.

١٩ - تسـمية الإسـلام الـذي تُؤيِّـده الاشـتراكية لبلـوغ مآربهـا وتحقيق غاياتها - بالدين الصحيح، والدين الثوري، والدين المتطوّر.

٢٠ - باسـم تصـحيح المفـاهيم الإسـلاميَّة، وتنقيـة الـدين مـن الشـوائب، وتحـت سـتار الإسـلام، يـتمُّ القضـاء عليـه بـأن نسـتبدل بـه الاشتراكية).

ثالثـاً: بعـض التصـرّفات الخاطئـة واللامسـؤولة مـن بعـض مَـنْ يُنسَـبون إلىٰ أهـل العلـم - وهـم ليسـوا مـنهم في الحقيقـة -، مـع تعمـيم صـورة المخطـئ إلىٰ العنـوان العـامِّ، أيّ إنَّـه إذا أخطـأ رجـل العلـم في مسـألة

ما، فإنَّ العامَّة أحياناً - أو ربَّما في كثير من الأحيان - يُعمِّمون هذه الصورة إلىٰ عموم العلماء! وهذا طبعاً خطأ منهجي من دون مبرِّر.

أضف إلىٰ ذلك أنَّ الكثير من الناس يفتقدون حسّ التمييز بين الأفراد، ممَّا يُسبِّب لهم إطلاق الأحكام العامَّة من وقائع جزئية لا مسؤولة.

ولعلاج هذه المسألة وردت الروايات الكثيرة التي تُحذِّر أهل العلم من مخالفة قولهم لأعمالهم:

قال الإمام عليّ عليه السلام - لـمَّا سُئِلَ عن خير الخلق بعد الأئمَّة عليهم السلام -: «العلماء إذا صلحوا»، قيل: فمن شرار خلق الله بعد إبليس وفرعون ونمرود...؟ قال: «العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق»[(١)].

وقال الإمام العسكري عليه السلام - في صفة علماء السوء -: «وهم أضرُّ علىٰ ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد علىٰ الحسين بن عليٍّ عليه السلام وأصحابه، فإنَّهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء...، يُدخِلون الشكَّ والشبهة علىٰ ضعفاء شيعتنا فيضلّونهم»[(٢)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أشرار علماء أمتنا: المضلّون عنّا، القاطعون للطرق إلينا، المسمّون أضدادنا بأسمائنا، الملقِّبون أضدادنا بألقابنا، يصلّون عليهم وهم للعن مستحقّون...»[(٣)].

هذا من جانب.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٦٤ و٢٦٥.

(٢) الاحتجاج ٢: ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق.

ومن جانب آخر وردت التربويات الدينية علىٰ ضرورة الفصل بين تصرّفات الأفراد وعدم تعميمها ولا تحميلها لغير الفاعل، قال تعالىٰ: ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (الأنعام: ١٦٤).

رابعاً: عدم معرفة أهمّية العالم، والاعتقاد بأنَّ مجالسه مجالس عادية، أو أنَّها لا فائدة فيها، أو أنَّها لا تُؤثِّر علىٰ سلوك الإنسان إيجاباً، والحال أنَّ حال العالم أفضل وأعظم ممَّا نتصوَّر.

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أقرب الناس من درجة النبوَّة أهل الجهاد وأهل العلم»[١].

وعنه ﷺ: «طالب العلم ركن الإسلام، ويُعطىٰ أجره مع النبيّين»[٢].

وعنه ﷺ: «موت العالم مصيبة لا تُجبَر وثلمة لا تُسَدُ، وهو نجم طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم»[٣].

ويمكن تلمّس أهمّية مجالسة وتكريم العالم من خلال الأحاديث الواردة في هذا المجال، ومنها قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا رأيت عالماً فكن له خادماً»[٤]، وفي رواية أُخرىٰ: «من وقَّر عالماً فقد وقَّر ربَّه»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: «من استقبل العلماء فقد استقبلني، ومن

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨: ٥٢٤.

(٢) الجامع الصغير للسيوطي ٢: ١٣٠/ ح ٥٢٥٣.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٣٨: ٣١٨.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ١٣٤.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٩.

زار العلماء فقد زارني، ومن جالس العلماء فقد جالسني، ومن جالسني فكأنَّما جالس ربّي»[١].

السبب السادس: الغفلة:

«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي فِي الغافِلِينَ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَنِي»:

قالوا: إنَّ النفس لا يمكنها أن تتوجَّه إلىٰ مدرَكين في آنٍ واحدٍ، لعدم قدرتها علىٰ ذلك، ففي كلِّ لحظة هي تتوجَّه إلىٰ شيء معيَّن واحد، وتوجّهها إلىٰ شيء معيَّن قد يعني إدبارها عن غيره، يعني أنَّها تدير بوجهها عن غيره، أو قل: (تغفل) عن غيره.

وهذه الحقيقة لها تطبيقات عديدة في الحياة، فمثلاً قالوا في قضيَّة المذاكرة والحفظ: إنَّ من أراد أن يحفظ فعليه أن يُركِّز فكره في مسألة معيَّنة حتَّىٰ يُتقِنها ويحفظها، وإلَّا فإنَّه لن يجني سوىٰ التعب.

والتاجر الذي عنده العديد من أنواع التجارات، وكلُّ واحد من تلك الأنواع يحتاج إلىٰ حساب خاصٍّ، فإنَّ عليه - إذا أراد النجاح - إمَّا أن يُوكِّل ويُفوِّض بعض أنواع تجاراته إلىٰ بعض الأفراد الذين يثق بهم، وإمَّا أن يعالجها واحدة تلو الأُخرىٰ، أمَّا أن يعالجها كلّها في آنٍ واحدٍ، فهذا من المحال بمكان.

ومن عنده عدَّة مشكلات، لا بدَّ عليه أن يفصلها بعضها عن البعض الآخر، ثمّ يعمل علىٰ علاجها واحدة تلو الأُخرىٰ.

وهكذا في جميع مجالات الحياة.

تصوَّر معي لو أنَّ شخصاً دخل إلىٰ غرفة مملوءة بشاشات تلفزيونات كثيرة، وكانت كلّها تعمل في آنٍ واحدٍ، وكلُّ واحدة موجَّهة نحو قناة غير

---

(١) كنز العمّال ١٠: ١٧٠/ ح ٢٨٨٨٣.

الأُخرىٰ، فإنَّه من المستحيل أن يلتفت إليها كلّها في آنٍ واحدٍ، وبالتالي عليه أن يُطفئ جميع القنوات إلَّا واحدة حتَّىٰ يمكنه أن يتوجَّه إليها.

والدين أخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة، بل وركَّزها في تربوياته، وجعلها محطّ نظره، وصرَّح بها حينما قال عزَّ من قائل: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (الأحزاب: ٤).

وورد فيما ناجىٰ الله تعالىٰ به عيسىٰ بن مريم عليه السلام: قال الله تبارك وتعالىٰ لعيسىٰ بن مريم عليه السلام: «يا عيسىٰ، ليكن لسانك في السرِّ والعلانية لساناً واحداً، وكذلك قلبك، إنّي أُحذِّرك نفسك، وكفىٰ بي خبيراً، لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا سيفان في غمد واحد، ولا قلبان في صدر واحد، **وكذلك الأذهان**»[(١)].

ولهذه الحقيقة تطبيقات عديدة في الدين، فمثلاً:

أوَّلاً: ينبغي للمؤمن أن يتوجَّه في صلاته، فإنَّ له منها ما أقبل به علىٰ الله تعالىٰ.

فعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «لا يقومنَّ أحدكم في الصلاة متكاسلاً، ولا ناعساً، ولا يُفكِّرن في نفسه، فإنَّه بين يدي ربِّه عزَّ وجلَّ، وإنَّما للعبد من صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه»[(٢)].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من صلّىٰ وأقبل علىٰ صلاته لم يُحدِّث نفسه ولم يسه فيها، أقبل الله عليه ما أقبل عليها، فربَّما رفع نصفها وثلثها وربعها وخمسها، وإنَّما أمر بالسُّنَّة ليكمل ما ذهب من المكتوبة»[(٣)].

(١) الكافي ٢: ٣٤٣/ باب ذي اللسانين/ ح ٣.

(٢) الخصال: ٦١٣/ حديث أربعمائة.

(٣) المحاسن ١: ٢٩/ ح ١٤.

ثانياً: تركيز الجهد علىٰ ما ينفع، علىٰ مستوىٰ العلم والعمل، فلا خير في علم لا ينفع، ولا خير في عمل لا يُقبَل.

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «أولىٰ العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلَّا به، وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما دلَّك علىٰ صلاح قلبك وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبة ما زادك في عملك العاجل، فلا تشتغلنَّ بعلم ما لا يضرّك جهله، ولا تغفلنَّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه»(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عرف نفسه فقد عرف ربَّه، ثمّ عليك من العلم بما لا يصحُّ العمل إلَّا به، وهو الإخلاص»(٢).

ثالثاً: التركيز علىٰ الاستفادة القصوىٰ من العمر فيما يبقىٰ ولا ينفد.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «لو اعتبرت بما أضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقي»(٣).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ العمر محدود لن يتجاوز أحد ما قُدِّر له، فبادروا قبل نفاذ الأجل»(٤).

إنَّ الغفلة عن التركيز علىٰ النافع تؤدّي إلىٰ أنَّه سيتوجَّه نحو ما لا ينفعه، وبالتالي سيخسر الكثير من رأس ماله (عمره) من دون مبرِّر، ولذا كان لزاماً علىٰ المؤمن أن لا يغفل عن هذه الحقيقة، وأن يبتعد عن مجالس الغافلين حتَّىٰ لا يصاب بمرضهم. وهو ما يقول عنه الإمام السجّاد عليه السلام بأنَّه يؤدّي إلىٰ اليأس من رحمة الله تعالىٰ - والعياذ بالله -.

---

(١) عدَّة الداعي: ٦٨.

(٢) بحار الأنوار ٢: ٣٢/ ح ٢٢.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤١٥.

(٤) أعلام الدين: ٣٣٦/ ح ١٢، عنه بحار الأنوار ٧٤: ١٧٩/ ح ١٠.

وحتَّىٰ تتمَّ الفائدة نحاول الإجابة عن بعض الأسئلة:

السؤال الأوَّل: لماذا تحصل الغفلة؟

إنَّ الغفلة هي حالة استثنائية عند الإنسان، فإنَّ الأصل فيه أن يكون ملتفتاً إلىٰ واقعه ونفسه وحياته وكلِّ أُموره، حتَّىٰ أُموره الدينية مع الله تعالىٰ ومع دينه ومذهبه ومجتمعه...، ولكنَّه في بعض الأحيان يقع في مصيدة الغفلة. ومن هنا يحقُّ لنا أن نتساءل عن الأسباب التي تؤدّي إلىٰ الوقوع في الغفلة، ويمكن تلمّس بعض تلك الأسباب بالتالي[1]:

أوَّلاً: الجهل:

فإنَّ الجهل بعواقب الغفلة، والجهل بما يُراد من الإنسان، والجهل بالمستقبل الأسود للغفلة، كلّها تؤدّي إلىٰ الغفلة!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف الأيّام لم يغفل عن الاستعداد»[2].

ثانياً: الغرور والأنانية:

فالمغرور يرىٰ نفسه عظيماً وفوق الناس، فيمشي وهو مغمض العينين، حتَّىٰ يقع في الحفرة!

ثالثاً: سكر النعمة:

فإنَّ الذي تتتابع عليه النعم قد يغفل عن كثير ممَّا يُراد منه اشتغالاً منه بالنعم أو بالتلهّي بها أو بالحفاظ عليها وما شاكل. فهارون العبّاسي لم يلتفت إلىٰ آخرته إلَّا عندما أرخىٰ رجليه في قبره وآنذاك قال: ﴿ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ ۝٢٩﴾ (الحاقَّة: ٢٨ و٢٩)[3]،

---

(١) أُنظر: الأخلاق في القرآن للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٢: ٣١٩ - ٣٢١.

(٢) الكافي ٨: ٢٣/ ح ٤، خطبة الوسيلة.

(٣) أخلاق أهل البيت للسيِّد محمّد مهدي الصدر: ٢٠٢.

وسُمِعَ عبد الملك بن مروان - ليلة قُبِضَ وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصّار - يقول: يا ليتني كنت غسّالاً أعيشُ بما أكسب يوماً بيوم. فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه[١]، وهكذا عمرو بن العاص، وغيرهم من طواغيت الدهر.

رابعاً: العافية والسلامة البدنية:

فإنَّ من عاش الصحَّة طول حياته، ومن لم يرَ المرضىٰ بأنواع الأمراض التي يعجز الأطبّاء عن معالجتها، ربَّما يعيش الغفلة والمثاليات والخيالات، والبعد عن الواقع.

خامساً: طول الأمل:

فإنَّ من طال أمله في الحياة يُسوِّف في أعماله، ويُصاب بالغفلة حتَّىٰ تنقضي بها أيّامه وهو لا يدري! كما كان عمر بن سعد يقول: (أتوب إلىٰ الرحمن من سنتين)[٢].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلموا عباد الله أنَّ الأمل يُذهِب العقل، ويُكذِب الوعد، ويحثُّ علىٰ الغفلة، ويورث الحسرة»[٣].

السؤال الثاني: كيف أتخلَّص من الغفلة؟

حيث إنَّ كلامنا عن العلاقة مع الله تعالىٰ وأسباب الإدبار بالقلب عنه تعالىٰ، فالسؤال حينئذٍ يكون متوجِّهاً عن أنَّه كيف أتخلَّص من الغفلة مع الله تعالىٰ، والجواب نجده صريحاً في كلمات أهل البيت عليهم السلام، وللتخلّص من الغفلة عليك بالتالي:

---

(١) أمالي المرتضىٰ ١: ٢٠٧.

(٢) الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف لابن طاووس: ١٩٣.

(٣) تحف العقول: ١٥٢، خطبة الديباج.

أوَّلاً: دوام ذكر الله تعالىٰ:

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «بدوام ذكر الله تنجاب الغفلة»[(١)].

ثانياً: النيَّة المستمرَّة لفعل الخير:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر، هم بالحسنة وإن لم تعملها، لكيلا تُكتَب من الغافلين»[(٢)].

ثالثاً: الالتفات إلىٰ تغيّر وانقضاء الأيّام:

قال الإمام عليّ عليه السلام: «من عرف الأيّام لم يغفل عن الاستعداد»[(٣)].

وقال عليه السلام: «استعينوا علىٰ بعد المسافة بطول المخافة، فكم من غافل وثق لغفلته، وتعلَّل بمهلته، فأمَّل بعيداً، وبنىٰ مشيِّداً، فنقص بقرب أجله بُعد أمله، فاجأته منيَّته بانقطاع أُمنيته»[(٤)].

رابعاً: المحافظة علىٰ الصلاة في أوَّل وقتها:

قال الإمام الباقر عليه السلام: «أيّما مؤمن حافظ علىٰ الصلوات المفروضة فصلّاها لوقتها، فليس هذا من الغافلين»[(٥)].

خامساً: كسب العبرة من التاريخ[(٦)]:

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أغفل الناس من لم يتَّعظ بتغيّر الدنيا من حالٍ إلىٰ حالٍ»[(٧)].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٨٨.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٣٦/ ح (١١٦٢/ ١).

(٣) الكافي ٨: ٢٣/ ح ٤، خطبة الوسيلة.

(٤) بحار الأنوار ٧٤: ٤٤٠/ ح ٤٨.

(٥) الكافي ٣: ٢٧٠/ باب من حافظ علىٰ صلاته أو ضيَّعها/ ح ١٤.

(٦) أُنظر في هذه النقطة: الأخلاق في القرآن ٢: ٣٢٦.

(٧) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩٥/ ح ٥٨٤٠.

وعلىٰ العموم، فإنَّ أهل البيت عليهم السلام يريدون أن يُلفتوا أنظارنا إلىٰ حقيقة مهمَّة، وهي أنَّ الغفلة يمكن أن ترتفع إذا ما فكَّر المؤمن قليلاً، فالإنسان قد كرَّمه الله تعالىٰ وجعله أفضل الموجودات، فهو مخدوم من جميع الموجودات، حتَّىٰ الملائكة هي بخدمة المؤمن، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء: ٧٠).

ومع هذا التكريم، فمن العيب علىٰ الإنسان أن يخرج من إنسانيته ليتنازل عنها إلىٰ مرتبة الحيوانية.

وما ألطف ما ورد في هذا المجال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**أمَا يستحي أحدكم أن يُغنّي علىٰ دابَّته وهي تُسبِّح**»[1].

ربَّما هذا واحد من معاني ﴿أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، فالأنعام تُسبِّح لله تعالىٰ ولم تغفل عن الذكر حتَّىٰ وهي تعمل، ولكن الإنسان في بعض الأحيان ينسىٰ الله تعالىٰ وينسىٰ ذكره ويغفل عنه ويُغنّي!

وإن أبيت، فما عليك إلَّا أن تزور بعض القبور، لترىٰ من أين جاؤوا؟! وعن ماذا انقلبوا؟! وهل من شيء نفعهم من أموالهم وأولادهم أم ماذا؟! عليك بزيارة القبور لترفع عن نفسك بعض الغفلة.

قد مضىٰ العمر وفات	يا أسير الغفلات
حصِّل الزاد وبادر	مسرعاً قبل الفوات
فإلىٰ كم ذا التعامي	عن أُمور واضحات
وإلىٰ كم أنت غارق	في بحار الظلمات

---

(١) المحاسن ٢: ٣٧٥/ ح ١٤٤.

لم يكـــن قلبـــك أصـــلاً ... بـــالزواجر والعظـــات

بيـــنما الإنســـان يســـأل ... عـــن أخيـــه قيـــل مـــات

أهلـــه يبكـــوا عليـــه ... حســـــرةً بـــالعبرات

وتـــــراهم حملـــوه ... سرعـــــةً للفلـــوات

أيـــن مـــا قـــد كـــان يفخـــر ... بالجيـــاد الصـــافنات

ولـــه مـــال جزيـــل ... كالجبـــال الراســـيات

ســـار عنهـــا رغـــم أنـــف ... للقبـــور الموحشـــات

كـــم بهـــا مـــن طـــول مكـــث ... مـــن عظـــام نـــاخرات

فـــاغنم العمـــر وبـــادر ... بـــالتقىٰ قبـــل الممـــات

وأنـــب وارجـــع واقلـــع ... مـــن عظـــيم الســـيِّئات

واطلـــب الغفـــران ممَّـــن ... تُرتجـــىٰ منـــه الهبـــات

قـال الله تبـارك وتعـالىٰ: ﴿كَـمْ تَرَكُـوا مِـنْ جَنَّـاتٍ وَعُيُـونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَـرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَـةٍ كانُـوا فِيهـا فـاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَـذلِكَ وَأَوْرَثْناهـا قَوْماً آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمـا بَكَـتْ عَلَـيْهِمُ السَّـماءُ وَالْأَرضُ وَمـا كانُـوا مُنْظَـرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الدخان: ٢٥ - ٢٩).

يـا صـاح إنَّـك راحـل فتـزوَّد ... فعساك في ذي اليوم ترحل أو غـدِ

لا تغفلـنَّ فـالموت لـيس بغافـل ... هيهـاتَ بـل هـو للأنـام بمرصـدِ

فليـأتينَّ منـه عليـك بسـاعة ... فتـودُّ أنَّـك قبلهـا لم تولـدِ

ولتخـرجنَّ إلىٰ القبـور مجـرَّداً ... ممَّـا شـقيت بجمعـه صـفر اليـدِ[1]

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي ١: ٥٠ و٦٠.

والخلاصة، أنَّ الجلوس مع الغافلين يؤدّي إلىٰ الغفلة بكلِّ تأكيد، فإنَّ الإنسان يتأثَّر كثيراً بما يُسمّىٰ بالعقل الجمعي، ولذا قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (الأنعام: ٦٨).

وهذا يعني فيما يعنيه أنَّ من أهمّ أسباب رفع الغفلة هو مجالسة البعيدين عن الغفلة، فقد وردت الأوامر بأن نجالس من يُذكِّرنا بالله رؤيته. وهو ما يُعبَّر عنه باختيار البطانة الصالحة.

وعلىٰ الإنسان أن يعمل علىٰ رفع الغفلة ليس عن نفسه فقط، بل يعمل علىٰ أن يكون مؤثِّراً في جلسائه بحيث يرفع عنهم الغفلة لو وقعوا فيها، علىٰ حدِّ ﴿وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (العصر: ٣).

وإن اضطررت إلىٰ مجالسة بعض الغافلين، فتسلَّح بذكر (لا إله إلَّا الله)، وكن فيهم ولا تكن منهم، واستغفر الله تعالىٰ عند قيامك منهم، فعليك أن تعدَّ نفسك إعداداً جيِّداً لمواجهة مثل تلك المجالس. والله تعالىٰ وحده المستعان.

السؤال الثالث: هل الإقبال علىٰ الدنيا دائماً يعني الغفلة عن الله تعالىٰ وعن الآخرة؟

كلَّا بالتأكيد، فالروايات وإن ذكرت تلك الأُمور التي تُبعِدك عن الغفلة، وأنَّ الالتفات إليها والتزامها يحكي عن قلب متوجّه نحو الله تعالىٰ، ولكن في الوقت ذاته فإنَّ التزام هذه الأُمور لا ينافي الكدّ علىٰ العيال وجمع الأموال وغيرها ممَّا يُعمِّر الحياة. كلَّا، فإنَّ الدين لا يتنافىٰ مع هذه الأُمور، نعم المفروض فيها أن تُكتَسب من حلال، وأن تُصرَف في

الحلال، فإنَّ السؤال يوم القيامة يكون عن «من أين اكتسبه، وفيم أنفقه»[(١)]، فإذا كانت كذلك فهي من عمل الآخرة علىٰ حدِّ تعبير الإمام الصادق عليه السلام، حينما سأله ابن أبي يعفور قائلاً: إنّا لنحبُّ الدنيا، فقال لي: «تصنع بها ماذا؟»، قلت: أتزوَّج منها، وأحجُّ، وأنفق علىٰ عيالي، وأُنيل إخواني، وأتصدَّق، قال لي: «ليس هذا من الدنيا، هذا من الآخرة»[(٢)].

ولذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس من حبِّ الدنيا طلب ما يُصلِحك»[(٣)].

ولذا كان لزاماً علىٰ المؤمن أن لا يذلَّ نفسه في الدنيا، بل عليه أن يبنيها من حلال، من أجل حكمتين:

الأُولىٰ: أن لا يمدَّ يده إلىٰ غيره، فيذلَّ نفسه، ولربَّما يُسبِّب ذلك نظرة ازدراء للمؤمنين ورميهم بأنَّهم متواكلون علىٰ غيرهم.

الثانية: أن يضربوا مثلاً لجميع الناس بأنَّ الدين لا يتنافىٰ مع الدنيا إذا حُدَّت بالحدود الشرعية، وأنَّ الكسب غير منحصر بالحرام - كما قد يدَّعي البعض -، فهؤلاء مؤمنون يعملون بالحلال وهم أغنياء أو علىٰ الأقلِّ وصلوا إلىٰ حدِّ الكفاف الاجتماعي اللائق بهم.

من هنا نجد الروايات الشريفة تثير في النفوس حقيقة إمكان الجمع بين الحياة هذه وبين الآخرة، راسمة الحدود المناسبة لهذا الجمع.

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبد حتَّىٰ يُسئل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعمَّا اكتسبه من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت». (تحف العقول: ٥٦).

(٢) مستطرفات السرائر: ٥٦٤.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٥٤٥/ ح ٨٢٥٧.

يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «اجعلوا لأنفسكم حظّاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المروَّة وما لا سرف فيه، واستعينوا بذلك علىٰ أُمور الدين، فإنَّه روي: ليس منّا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه»(١).

إنَّ التوازن بين طلب الدنيا وطلب الآخرة هو مشروع المؤمن وهمّه في حياته، وهذا ما يتطلَّب منه جهداً إضافياً لا يعرفه ولا يبذله من لا يهتمُّ لأمر آخرته، ولذلك عبَّرت الروايات الشريفة عن المؤمن بأنَّه أكثر همّاً من غيره.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «أعظم الناس همّاً المؤمن الذي يهتمُّ بأمر دنياه وأمر آخرته»(٢).

وورد أنَّ لقمان عليه السلام قال لابنه وهو يعظه: «يا بنيَّ، لا تدخل في الدنيا دخولاً يضرُّ بآخرتك، ولا تتركها تركاً تكون كلًّا علىٰ الناس»(٣).

السؤال الرابع: هل الغفلة دائماً مذمومة؟

تذكر لنا الروايات الشريفة مصطلحين في المقام: الغفلة والتغافل، والمقصود من الأوَّل غير المقصود من الثاني، فالأوَّل منهيٌّ عنه إذا أدّىٰ إلىٰ هلاك الإنسان - وهو ما كنّا نتكلَّم عنه -، أمَّا التغافل فقد أمرت به الروايات الشريفة ومدحته وجعلته من صفات المؤمنين(٤)، ومن الأُمور التي تساعد علىٰ بناء المجتمع.

---

(١) تحف العقول: ٤١٠.
(٢) سنن ابن ماجة ٢: ٧٢٥/ ح ٢١٤٣.
(٣) بحار الأنوار ٧٠: ١٢٤/ ح ١١٢، عن تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام) ١: ٨٧.
(٤) راجع: ميزان الحكمة ٣: ٢٢٨٧/ الرقم ٣١٠١، مدح التغافل.

من هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم يتغافل ولا يغضُّ عن كثير من الأُمور تنغَّصت عيشته»[1].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام - من وصاياه -: «اعلم يا بنيَّ أنَّ صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعايش ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل، لأنَّ الإنسان لا يتغافل [إلَّا] عن شيء قد عرفه ففطن فيه»[2].

وروي عن ابن مسكان، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إنّي لأحسبك إذا شُتِمَ عليٌّ بين يديك لو تستطيع أن تأكل أنف شاتمه لفعلت»، فقلت: إي والله جُعلت فداك، إنّي لهكذا وأهل بيتي، فقال لي: فلا تفعل، فوَالله لربَّما سمعتُ من يشتم عليّاً وما بيني وبينه إلَّا أُسطوانة فأستتر بها، فإذا فرغت من صلاتي فأمر به فأُسلِّم عليه وأُصافحه»[3].

وقد يُعبَّر عن هذا النوع من الغفلة بـ (**التغافل الإيجابي**)، ومعناه (أن يعيش الإنسان بحالة يُخفي معها الأشياء التي ينبغي إخفاؤها، أي أن يقوم الشخص بإظهار عدم اطِّلاعه وعدم علمه بالأشياء التي يعلم بها، ولكن إظهارها له عواقب سيِّئة، ويتصرَّف معها تصرّف المتغافل ويمرُّ عليها مرَّ الكرام، من موقع سعة الصدر، وقوَّة الشخصية، لغرض حفظ ماء وجه الآخرين واحترامهم، وحيثيتهم الاجتماعية.

ومن جملة موارد التغافل الإيجابي هو إخفاء عيوب الآخرين، فإنَّ لكلِّ شخص عيوباً وأخطاءً لا يُحِبُّ أن يطَّلع عليها الآخرون، ولذلك

---

(١) ميزان الحكمة ٣: ٢٢١٧.

(٢) كفاية الأثر للخزّاز القمّي: ٢٤٠.

(٣) المحاسن ١: ٢٥٩ و٢٦٠/ ح ٣١٣.

يسعىٰ لكتمانها، ولكن أحياناً يعلم بها بعض الأشخاص الأذكياء، ففي مثل هذه الموارد يكون التغافل مطلوباً، وفي الحقيقة هو نوع من ستر العيوب الخفيَّة التي لا ينبغي إظهارها إلَّا في موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بشكل لطيف ومستور أيضاً.

وهناك بعض الموارد يكون الكشف عن العيب فيها مؤدّياً إلىٰ تسقيط شخصية الأفراد، وكذلك يؤدّي إلىٰ حثِّ الآخرين علىٰ المعصية، فالفضيحة قد تؤدّي إلىٰ زيادة الإيغال في ارتكاب الذنوب، وبعبارة أُخرىٰ: إذا زال حجاب الحياء عن المذنبين فإنَّهم سوف يقدمون علىٰ ارتكاب الذنوب المختلفة، ولهذا ففي مثل هذه الموارد يكون (التغافل) مانعاً عن تفشّي هذه الظاهرة الاجتماعية السلبية...)[1].

وأبلغ من بيَّن الآثار الإيجابية للتغافل هو أمير البلاغة والبيان أمير المؤمنين عليه السلام حين قال:

«ذلِّلوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلىٰ المكارم، وعوِّدوا أنفسكم الحلم، واصبروا علىٰ الإيثار علىٰ أنفسكم فيما تجمدون عنه، ولا تداقّوا الناس وزناً بوزن، **وعظِّموا أقداركم بالتغافل عن الدنيِّ من الأُمور**، وأمسكوا رمق الضعيف بجاهكم وبالمعونة له إن عجزتم عمَّا رجاه عندكم، **ولا تكونوا باحثين عمَّا غاب عنكم فيكثر عائبكم**، وتحفَّظوا من الكذب، فإنَّه من أدنىٰ الأخلاق قدراً، وهو نوع من الفحش، وضرب من الدناءة، **وتكرَّموا بالتعامي عن الاستقصاء** - وروي: بالتعامس من الاستقصاء -»[2].

---

(١) الأخلاق في القرآن ٢: ٣٣٢.

(٢) تحف العقول: ٢٢٤.

السبب السابع: مؤالفة البطّالين في مجالسهم:
«لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي آلِفُ مَجالِسَ البَطَّالِينَ فَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ خَلَّيْتَنِي»:

لقد عرفنا بما فيه الكفاية أنَّ للمجالس مردودات إيجابية أو سلبية علىٰ الإنسان، فمجالسة العلماء سبب للتأييد الإلهي، وأمَّا مجالسة الغافلين فهي سبب لليأس من الرحمة الإلهيَّة، وهنا يتعرَّض الإمام السجّاد عليه السلام إلىٰ سبب آخر من أسباب الخذلان الإلهي، إنَّه مؤالفة البطّالين في مجالسهم، إنَّه يُسبِّب الإيكال إلىٰ النفس وإليهم.

إنَّ من يؤالف البطّالين يوكله الله تعالىٰ إليهم، وهل من أحد يستطيع أن يُدبِّر أُموره هو من دون التأييد الإلهي حتَّىٰ يمكنه أن يُدبِّر أُمور غيره؟! فمن أوكله الله تعالىٰ إلىٰ غيره لا يستطيع غيره أن يُدبِّر أيَّ أمر من أُموره.

وقد وردت التربويات الدينية في هذا المجال، ذاكرة مصاديق من مجالس البطّالين، والتي من أهمّها المجالس التي يُعصىٰ فيها الله تعالىٰ، أو المجالس التي يُستَهزأ فيها بحجج الله تعالىٰ، أو المجالس التي لا تنفع لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَالْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴿١٤٠﴾﴾ (النساء: ١٤٠).

وفي الكافي بسند صحيح عن شعيب العقرقوفي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها ...﴾ إلىٰ آخر الآية، فقال:

«إنَّما عنىٰ بهذا: الرجل يجحد الحقَّ، ويكذب به، ويقع في الأئمَّة، فقم من عنده ولا تقاعده كائناً من كان»[1].

وعنه عليه السلام، قال: «ثلاثة مجالس يمقتها الله ويُرسِل نقمته علىٰ أهلها، فلا تقاعدوهم ولا تجالسوهم: مجلساً فيه من يصف لسانه كذباً في فتياه، ومجلساً ذِكْرُ أعدائنا فيه جديد وذِكْرُنا فيه رثٌّ، ومجلساً فيه من يصدُّ عنا وأنت تعلم»، قال: ثمّ تلا أبو عبد الله عليه السلام ثلاث آيات من كتاب الله، كأنَّما كنَّ في فيه - أو قال: كفّه -: «﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ﴿وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هذا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]»[2].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «من قعد في مجلس يُسَبُّ فيه إمام من الأئمَّة يقدر علىٰ الانتصاف فلم يفعل ألبسه الله الذلَّ في الدنيا وعذَّبه في الآخرة وسلبه صالح ما منَّ به عليه من معرفتنا»[3].

وعن محمّد بن عاصم، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «يا محمّد بن عاصم، بلغني أنَّك تجالس الواقفة؟»، قلت: نعم جُعلت فداك، أُجالسهم وأنا مخالف لهم، قال: «لا تجالسهم، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ

---

(١) الكافي ٢: ٣٧٧/ باب مجالسة أهل المعاصي/ ح ٨.

(٢) الكافي ٢: ٣٧٨/ باب مجالسة أهل المعاصي/ ح ١٢.

(٣) الكافي ٢: ٣٧٩/ باب مجالسة أهل المعاصي/ ح ١٥.

بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، يعني بالآيات الأوصياء، والذين كفروا بها الواقفة»(١).

السبب الثامن: عدم استيعاب شروط استماع الدعاء:

«لَعَلَّكَ لَمْ تُحِبَّ أَنْ تَسْمَعَ دُعائِي فَباعَدْتَنِي»:

ما هي الواسطة القويَّة والرابطة الوثيقة بين السماء والأرض؟ وبين الله تعالىٰ وعباده؟

ما هو الأمر الذي يضمن العبد به قبوله عند ربِّه؟

ما هو الأمر الذي يجعل الله تعالىٰ ينظر إلينا برحمته؟

إنَّه ليس إلَّا الدعاء، يقول تعالىٰ: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً ۝٧٧﴾ (الفرقان: ٧٧).

ولذا اعتُبِرَ عدم الدعاء استكباراً يستحقُّ فاعله دخول جهنَّم، يقول تعالىٰ: ﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ ۝٦٠﴾ (غافر: ٦٠).

ولا بدَّ أن طرق سمعك أو جال بفكرك سؤال حيَّر الكثير! وهو أنَّ القرآن الكريم يُؤكِّد علىٰ أنَّ الدعاء يستتبع الإجابة من الله تعالىٰ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فلماذا لا يُستجاب للكثير من أدعيتنا؟

إنَّ الجواب علىٰ ذلك هو من القرآن أيضاً، إذ القرآن ليس عقداً قد انفرط وتناثرت حبّاته، إنَّما هو كلٌّ واحد مترابط، فلا بدَّ من ملاحظة مجموع الآيات المترابطة ليظهر موضوع ما متكاملاً.

والإمام السجّاد عليه السلام يريد أن يطرح لنا أمراً مهمّاً في المقام، إذ كأنَّه

---

(١) بحار الأنوار ٤٨: ٢٦٤/ ح ٢٢، عن اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٥٧ و٧٥٨/ ح ٨٦٤.

يريد القول: إنَّ أهمّية الدعاء رغم أنَّها لا تخفىٰ، ورغم أنَّه الواسطة المهمَّة جدّاً بين العبد وربِّه، ورغم أنَّ الله تعالىٰ يُحِبُّ أن يسمع دعاء العبد، إلَّا أنَّه رغم ذلك قد يصادف أنَّ الله تعالىٰ يعرض عن بعض ولا يُحِبُّ أن يسمع دعاءهم! وإذا لم يُحِبّ الله تعالىٰ أن يسمع دعاء عبد، فإنَّه تعالىٰ سيباعده عن ساحة القدس، ممَّا يُسبِّب له قسوة القلب، وهذا من باب الاضطرار بسوء الاختيار، أي إنَّ ابتعاد العبد عن ساحة القدس كان بسبب سوء اختياره هو، فلا يلومنَّ إلَّا نفسه. أمَّا بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ، فالمسافة بينه وبين جميع عبيده واحدة، هي مسافة الرحمة والرأفة والعطف الربّاني الذي لا مثيل له.

ولكن، لماذا قد لا يُحِبُّ الله سماع دعاء البعض؟

ما هي الأسباب التي تجعل الدعاء في معرض المبغوضية لله تعالىٰ؟

والجواب: يمكن أن يكون لذلك أكثر من سبب واحد، نذكر بعضها:

أوَّلاً: أن يكون الدعاء منافياً للحكمة، كمن يطلب شيئاً محرَّماً، أو مرجوحاً، أو مخالفاً للمروءة، وما شابه ذلك. وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ كرم الله تعالىٰ لا ينقض حكمته، فلذلك لا تقع الإجابة في كلِّ دعوة»[1].

ومن هذا القبيل ما قيل من أنَّ أعرابياً أمسك بأستار الكعبة وصاح: (اللّهمّ اغفر لي ولمحمّد، ولا تغفر لأحد معنا)[2]!

ثانياً: أن يكون الداعي آكلاً للحرام أو مجاهراً بالمعاصي، يقول

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٥١.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ١٧٦/ ح ٥٢٩.

الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ العبد يسأل الله الحاجة، فيكون من شأنه قضاؤها إلىٰ أجل قريب، أو إلىٰ وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تبارك وتعالىٰ للملك: لا تقضِ حاجته واحرمه إيّاها، فإنَّه تعرَّض لسخطي، واستوجب الحرمان منّي»[1].

ثالثاً: أن لا يستجمع الدعاء شروط الإجابة، وهي عديدة ذكرتها الروايات الشريفة، هذه عناوينها:

١ - الافتتاح بالبسملة.

٢ - التمجيد لله تعالىٰ.

٣ - البدء بالصلاة علىٰ محمّد وآل محمّد.

٤ - اختيار الأوقات والأماكن المناسبة للدعاء، كعقب الصلاة، وعند نزول المطر، وفي المسجد، وما بين الأذان والإقامة...

٥ - السجود أثناء الدعاء.

٦ - تقديم الدعاء للإمام المهدي عليه السلام.

٧ - الدعاء كهيئة المضطرِّ.

٨ - الختم بالصلاة علىٰ محمّد وآل محمّد.

رابعاً: أن يكون من الأشخاص الذين لا يُستجاب دعاؤهم، وهم عدَّة طوائف:

١ - القادر علىٰ السعي للرزق وقد أمره الله تعالىٰ بذلك، ولكنَّه يجلس في بيته، ويدعو الله أن يرزقه.

٢ - القادر علىٰ طلاق زوجته والخلاص منها وهي تؤذيه، فلا يُطلِّقها، بل يدعو عليها.

---

(١) الكافي ٢: ٢٧١/ باب الذنوب/ ح ١٤.

٣ - المتساهل في توثيق ديونه بالإشهاد أو غيره علىٰ غرمائه، فيترك ذلك، فينكره الغرماء، فيدعو عليهم.

٤ - القادر علىٰ تغيير داره، فيؤذيه جاره، فلا يُغيِّر داره، ثمّ يدعو عليه.

٥ - المفسد لماله الذي رزقه الله تعالىٰ إيّاه، فيتلف ماله، ثمّ يدعو الله ليرزقه.

٦ - المصرّون علىٰ المعاصي وآكلوا المال الحرام، وهم قادرون علىٰ التوبة والإنابة وترك أكل المال بالباطل، فإنَّه لا يُستجاب دعاؤهم.

٧ - التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتَّىٰ يتسلَّط الأشرار عليهم.

٨ - المعتصم بغير الله تعالىٰ، والمتوكّل علىٰ مخلوق دون الله تعالىٰ.

٩ - المعتذر عن ظلم الظالم، أي من يقول: إنَّ الظالم الفلاني معذور في ظلمه، ومن حقِّه أن يفعل كذا.

والروايات في ذلك عديدة[1]، منها: يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أربعة لا يُستجاب لهم دعوة: رجل جالس في بيته يقول: اللّهمّ ارزقني، فيقال له: ألم آمرك بالطلب؟! ورجل كانت له امرأة فدعا عليها، فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟! ورجل كان له مال فأفسده فيقول: اللّهمّ ارزقني، فيقال له: ألم آمرك بالاقتصاد؟! ألم آمرك بالإصلاح؟! ثمّ قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، ورجل كان له مال فأدانه بغير بيِّنة، فيقال له: ألم آمرك بالشهادة؟!»[2].

---

(١) راجع: الكافي ٢: ٥١٠/ باب من لا تُستجاب دعوته.

(٢) الكافي ٢: ٥١١/ باب من لا تُستجاب دعوته/ ح ٢.

ويقول رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: ما من مخلوق يعتصم [بمخلوق] دوني إلَّا قطعت أسباب السماوات وأسباب الأرض من دونه، فإن سألني لم أعطِه وإن دعاني لم أجبه»[١].

ويقول ﷺ: «لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهنَّ عن المنكر، أو ليستعملنَّ الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم»[٢].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «من عذر ظالماً بظلمه سلَّط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله علىٰ ظلامته»[٣].

ملاحظة:

إنَّ الروايات الشريفة تُؤكِّد علىٰ ضرورة التزام العبد المؤمن بالدعاء، بجعله منهجاً يومياً في كلِّ حاجة، وأنَّ دعاءه - أيّاً كان - هو ذو فائدة إن عاجلاً أو آجلاً، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ الله تبارك وتعالىٰ أخفىٰ أربعة في أربعة: ... وأخفىٰ إجابته في دعوته، فلا تستصغرنَّ شيئاً من دعائه، فربَّما وافق إجابته وأنت لا تعلم...»[٤].

من هنا تُؤكِّد الروايات الشريفة علىٰ أنَّ الداعي - بغير الحرام وما لا يرضاه الله تعالىٰ - يصيب إحدىٰ ثلاث:

١ - الاستجابة المعجَّلة، وهي منية كلِّ داعٍ.

٢ - أن تُبدَّل الاستجابة للدعاء بدفع بلاء غير معلوم للداعي لو لم يُدفَع عنه لأهلكه.

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٨٥/ ح (١٢١٠/ ١٥).

(٢) الكافي ٥: ٥٦/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ح ٣.

(٣) الكافي ٢: ٣٣٤/ باب الظلم/ ح ١٨.

(٤) الخصال: ٢٠٩/ ح ٣١.

٣ - وهـي أعظمهـا: أن تُؤجَّـل الاسـتجابة إلىٰ يـوم القيامـة، فيُعطـىٰ من الثواب ما يتمنّىٰ معه أن لم تستجب له دعوة في الدنيا.

يقـول رسـول الله ﷺ: «مـا مـن مسـلم دعـا الله تعـالىٰ بـدعوة لـيس فيهـا قطيعـة رحـم ولا اسـتجلاب إثـم إلَّا أعطـاه الله تعـالىٰ بهـا إحـدىٰ خصال ثـلاث: إمَّـا أن يُعجِّـل لـه الـدعوة، وإمَّـا أن يـدَّخرها لـه في الآخـرة، وإمَّا أن يرفع عنه مثلها من السوء»(١).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: قال النبيُّ ﷺ: «... فإذا أتيت بـما ذكـرت لك من شرائط الدعاء، وأخلصت بسـرِّك لوجهه، فأبشـر بإحدىٰ الثلاث: إمَّـا أن يُعجِّل لك ما سألت، وإمَّا أن يدَّخر لك ما هو أعظم منه، وإمَّـا أن يصـرف عنك من البلاء ما إن لو أرسله عليك لهلكت»(٢).

ويقـول عليه السلام: «يتمنـىٰ المـؤمن أنَّـه لم يُسـتَجب لـه دعـوة في الـدنيا ممَّـا يرىٰ من حسن الثواب»(٣).

السبب التاسع: تعجيل العقوبة:

«لَعَلَّكَ بِجُرْمِي وَجَرِيرَتِي كافَيْتَنِي»:

هـذه الحيـاة، هـي عبـارة عـن قاعـة امتحـان عظيمـة، الامتحـان فيهـا مفتـوح، مـا عـلىٰ المـرء فيهـا إلَّا أن يُطبِّـق الجـواب عـلىٰ السـؤال، مسـتغلًّا الوقت المتـاح لـه، والـذي لا يعـرف متـىٰ سـينتهي، وهـذا الأمـر - أي عـدم معلومية انتهاء الوقت - واحد من أهمّ اختبارات هذه القاعة.

تُؤكِّـد الروايـات الشـريفة عـلىٰ أنَّ نتيجـة هـذا الامتحـان وإن عرفهـا

(١) مكارم الأخلاق: ٢٦٩.

(٢) بحار الأنوار ٩٠: ٣٢٣/ ح٣٦، عن مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ١٤٤.

(٣) الكافي ٢: ٤٩١/ باب من أبطأت عليه الإجابة/ ح ٩.

بعض مسبقاً، ولكنَّه لن يرىٰ جزاءه علىٰ النجاح أو الرسوب - لا فرق من هذه الناحية - إلَّا في البيت الأبدي، والدار الخالدة، تلك هي الدار الآخرة. وهذا يُمثِّل القاعدة العامَّة لهذا الامتحان.

قال رسول الله الأعظم ﷺ: «... فإنَّكم اليوم في دار عمل ولا حساب، وأنتم غداً في دار حساب ولا عمل»[١].

لكلّ قاعدة استثناء!

إلَّا أنَّه بالرغم من ذلك، توجد بعض الموارد التي تعجل فيها النتيجة في قاعة الامتحان تلك، فقد تعجل بعض المثوبات للناجحين، وقد تعجل بعض العقوبات للراسبين والفاشلين.

لماذا الاستعجال بالثواب والعقاب؟

أمَّا عن تقديم ثواب الأعمال الصالحة، فربَّما لا نجد صعوبة في تفسير تقديم بعض المثوبات علىٰ الأعمال الصالحة التي تُمثِّل الفوز والنجاح في هذا الاختبار، مع العلم أنَّ التقديم ليس دائماً من مصلحة العبد، فربَّما يكون تقديم بعض الأعمال الصالحة لكافر أو منافق، حتَّىٰ يستوفي حقَّه من تلك الأعمال في الدنيا، فيصل في الآخرة صفر اليد منها!

والتفصيل أن نقول:

إنَّ الذي يعمل صالحاً، إمَّا أن يكون مؤمناً، وإمَّا غيره - سواء كان كافراً أو منافقاً أو مشركاً أو حتَّىٰ ملحداً -.

فأمَّا المؤمن فتقديم ثواب بعض أعماله لعدَّة حِكَم، منها تبشيره بالخير، ودفع غيره للاقتداء به، والإشارة إلىٰ سعة الرحمة الإلهيَّة والثواب بحيث يشمل

---

(١) الخصال: ٥١/ ح ٦٢.

الدنيا والآخرة، ولا ينقص هذا من ثوابه في الآخرة شيئاً، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ **وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴿١٢٢﴾﴾ (النحل: ١٢٠ - ١٢٢).

(علىٰ أنَّ الأخبار عن الأئمَّة الأطهار عليهم السلام مستفيضة بأنَّ من الأعمال ما يوجب الثواب في الدنيا والآخرة، فمن ذلك ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: «صلة الأرحام تُزكّي الأعمال، وتُنمّي الأموال، وتدفع البلوىٰ، وتُيسِّر الحساب، وتُنسئ في الأجل»[1].

وعنه عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أعجل الخير ثواباً صلة الرحم»[2].

وبسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده، فنفَّس كربته، وأعانه علىٰ نجاح حاجته، كتب الله عزَّ وجلَّ له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يُصلِح بها أمر معيشته، ويدَّخر له إحدىٰ وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله»[3]...)[4].

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ﴾: «فأمَّا الحسنىٰ فالجنَّة، وأمَّا الزيادة فالدنيا، ما أعطاهم الله في الدنيا لم

(١) الكافي ٢: ١٥٠/ باب صلة الرحم/ ح ٤.
(٢) الكافي ٢: ١٥٢/ باب صلة الرحم/ ح ١٥.
(٣) الكافي ٢: ١٩٩/ باب تفريج كرب المؤمن/ ح ١.
(٤) رياض السالكين للمدني الشيرازي ٤: ٢٧١ و٢٧٢.

يحاسبهم به في الآخرة، ويجمع لهم ثواب الدنيا والآخرة، ويُثيبهم بأحسن أعمالهم في الدنيا والآخرة، يقول الله: ﴿وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦]»[١].

و(في أمالي الصدوق عن الصادق عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١]، قال: «رضوان الله والجنَّة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعاش، وحسن الخُلُق في الدنيا»[٢].

وفي النبوي صلى الله عليه وآله: «الحسنة في الدنيا الصحَّة والعافية، وفي الآخرة المغفرة والرحمة»[٣])[٤].

وأمَّا إذا كان غير مؤمن، فتقديم ثواب عمله لأجل أنَّ الله تعالىٰ حيث إنَّه عادل ولا يحيف أحداً أبداً، فإنَّه تعالىٰ كتب علىٰ نفسه الرحمة بأن يُعطي الثواب لكلِّ من يعمل صالحاً، بغضِّ النظر عن هويَّته العقائدية. نعم، من كان علىٰ غير الخطِّ الذي رسمه الله تعالىٰ فربَّما عجَّل الله تعالىٰ له جزاءه ليستوفيه في الحياة الدنيا، فيبقىٰ في الآخرة من غير عمل صالح.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلَّا أثابه الله»، قال: فقلنا: يا رسول الله، ما إثابة الكافر؟ قال: «إن كان قد وصل رحماً، أو تصدَّق بصدقة، أو عمل حسنة، أثابه الله تعالىٰ المال والولد والصحَّة وأشباه ذلك»، قال: فقلنا: ما إثابته في الآخرة؟ قال:

(١) تفسير القمّي ١: ٣١١، عنه بحار الأنوار ٧: ٢٦٠/ ح ٦.

(٢) معاني الأخبار: ١٧٤ و١٧٥/ باب معنىٰ حسنة الدنيا وحسنة الآخرة/ ح ١، ولم نجده في أماليه.

(٣) بحار الأنوار ٧٨: ١٧٤.

(٤) مستدرك سفينة البحار للنمازي ٢: ٢٩٠ و٢٩١.

«عـــذاباً دون العـــذاب»، قـــال: وقـــرأ: «﴿أَدْخِلُـــوا آلَ فِرْعَـــوْنَ أَشَـــدَّ الْعَذابِ﴾ [غافر: ٤٦]»[1].

وأمّا عن تقديم عقاب بعض الأعـمال السـيِّئة، فهـو مـا ربَّـما نواجـه فيـه شبهةً أو سـؤالاً، إذ عرفنـا أنَّ الـدنيا دار عمـل بـلا حسـاب، فكيـف يُحاسَـب المذنب هنا في الدنيا؟

وفي الحقيقــة، يمكننــا تلمّــس العديــد مــن الحِكَــم في هــذا التقــديم للعقاب، نذكر منها:

أوَّلاً: إنَّ الــذي يُؤجَّــل مــن العقــاب عــلىٰ الــذنوب أكثــر بكثــير مــن الــذي يُعجَّــل، فــلا يُعَــدُّ تقــديم الــبعض القليــل خرقــاً للقاعــدة ولا منافيــاً للحكمة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤاخِـذُ اللهُ النَّـاسَ بِظُلْمِهِـمْ مـا تَـرَكَ عَلَيْهـا مِـنْ دَابَّـةٍ وَلكِـنْ يُـؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَـلٍ مُسَـمًّى فَـإِذا جـاءَ أَجَلُهُـمْ لا يَسْـتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل: ٦١).

وقــال تعــالىٰ: ﴿وَلَــوْ يُؤاخِــذُ اللهُ النَّــاسَ بِمــا كَسَــبُوا مــا تَــرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَلكِــنْ يُــؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَـلٍ مُسَـمًّى فَـإِذا جـاءَ أَجَلُهُـمْ فَـإِنَّ اللهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً﴾ (فاطر: ٤٥).

ثانيــاً: إنَّ الأصــل لــيس هــو تــأخير العقوبــة، بــل هــو تعقيــب الــذنب بالعقوبة، كحـال القـوانين الوضـعية اليـوم، فلـيس في الجريمـة تـأخير، وإنَّـما تكـون المؤاخـذة سـاعة ثبـوت الجريمـة، فالأصـل في المخالفـة هـو العقوبـة، والتأخير هو الذي يحتـاج إلىٰ دليـل، والـدين أجَّـل أغلـب العقوبـات، ورفـع عنّا الإصر الذي كان علىٰ الأُمم السابقة...»[2].

---

(١) مستدرك الحاكم ٢: ٢٥٣.

(٢) جاء في تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٢: ٣٦٩: ﴿رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً ⇦

ولكـن مـن حـقِّ الشـارع المقـدَّس أن يُقـدِّم، وتقديمـه لا يُعتَـبر نقضـاً للغرض، ولا مخالفاً للأصل.

وفي هـذا المجـال يقـول الإمـام السـجّاد عليه السلام: «يَـا إِلَهِـي، لَـوْ بَكَيْـتُ إِلَيْـكَ حَتَّـىٰ تَسْـقُطَ أَشْـفَارُ عَيْنَـيَّ، وَانْتَحَبْـتُ حَتَّـىٰ يَنْقَطِـعَ صَـوْتِي، وَقُمْـتُ لَكَ حَتَّىٰ تَتَنَشَّرَ قَدَمَايَ، وَرَكَعْـتُ لَـكَ حَتَّـىٰ يَنْخَلِـعَ صُـلْبِي، وَسَـجَدْتُ لَـكَ حَتَّـىٰ تَتَفَقَّـأَ حَـدَقَتَايَ، وَأَكَلْـتُ تُـرَابَ الْأَرْضِ طُـولَ عُمْـرِي، وَشَرِبْـتُ مَـاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي، وَذَكَرْتُكَ فِي خِـلَالِ ذَلِـكَ حَتَّـىٰ يَكِـلَّ لِسَـانِي، ثُـمَّ لَمْ أَرْفَـعْ طَـرْفِي إِلَىٰ آفَـاقِ السَّـمَاءِ اسْـتِحْيَاءً مِنْـكَ، مَـا اسْـتَوْجَبْتُ بِـذَلِكَ مَحْـوَ سَـيِّئَة وَاحِـدَة مِنْ سَيِّئَـاتِي، وَإِنْ كُنْـتَ تَغْفِـرُ لِي حِـينَ أَسْـتَوْجِبُ مَغْفِرَتَـكَ، وَتَعْفُـو عَنِّـي حِـينَ أَسْـتَحِقُّ عَفْـوَكَ، فَـإِنَّ ذَلِـكَ غَـيْرُ وَاجِـبٍ لِي بِاسْـتِحْقَاقٍ، وَلَا أَنَـا أَهْـلٌ لَـه بِاسْـتِيجَابٍ، إِذْ كَـانَ جَزَائِـي مِنْـكَ فِي أَوَّلِ مَـا عَصَـيْتُكَ النَّـارَ، فَـإِنْ تُعَذِّبْنِي فَأَنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِي...»[1].

⇐ كَمـا حَمَلْتَـهُ عَلَى الَّذِيـنَ مِـنْ قَبْلِنـا﴾ [البقـرة: ٢٨٦]: (الإصر) عقـد الشـيء وحبسـه. وتُطلَق علىٰ الحمل الثقيل الـذي يمنـع المـرء مـن الحركـة. وكـذلك العهـد المؤكَّـد الـذي يُقيِّـد الإنسان. ولهـذا تُطلَـق هـذه الكلمـة عـلىٰ العقـاب أيضـاً. وفي هـذا المقطـع مـن الآيـة يطلـب المؤمنـون مـن الله تعـالىٰ طلبـين: الأوَّل: أن يرفـع عـنهم الفـروض الثقيلـة التـي قـد تمنـع الإنسـان مـن إطاعـة الله، وهـذا هـو مـا ورد عـلىٰ لسـان النبـيِّ صلى الله عليه وآله بشـأن التعـاليم الإسلاميَّة، إذ قال: «بُعِثت بالشريعة السهلة السمحة».

هنا قد يسأل سائل: إذا كانـت السـهولة والسـماحة في الـدين جيِّـدة، فلـماذا لم يكـن للأقـوام السـابقة مثلهـا؟ في الجـواب نقـول: تفيـد آيـات في القـرآن أنَّ التكـاليف الشـاقَّة لم تكـن موجـودة في أصـل شرائـع الأديـان السـابقة، بـل فُرِضَـت كعقوبـات عـلىٰ أثـر عصـيان تلـك الأقـوام وعـدم إطاعتهـا، كحرمـان بنـي إسرائيـل مـن أكـل بعـض اللحـوم المحلَّلـة بسـبب عصيانهم المتكرِّر).

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ١٠٢، من دعائه عليه السلام في الاستقالة.

ثالثاً: إنَّ فضاعة بعض الذنوب لا تتحمَّل التأجيل إلىٰ الآخرة، فلا بدَّ من أن يرىٰ الناس عواقبها، فإنَّ الله تعالىٰ وإن كان رحيماً وغفوراً، ولكنَّه في الوقت ذاته شديد العقاب، وهو يغضب لبعض الأفراد من الناس، وغضبه قد يُنزِل العقوبة بالمذنب وإن كان في الدنيا. والروايات تذكر مفردات تلك الذنوب التي تعجل عقوبتها، كما سنرىٰ إن شاء الله تعالىٰ.

رابعاً: إنَّ نفس تعجيل العقوبة هو رحمة إلهيَّة مستعجلة، فإنَّ الناس عندما يرون عواقب بعض الذنوب سيعمل العاقلون منهم علىٰ اجتنابها، فإنَّه رغم التحذيرات الإلهيَّة والمعصومية المتكرِّرة، إلَّا أنَّ كثيراً من الناس قد يغفل عن فضاعة تلك الذنوب، فتأتي تلك العقوبات المستعجلة للبعض حتَّىٰ تقرع جرس الإنذار في النفوس الغافلة. وفي ذلك يقول رسول الله الأعظم ﷺ: «احذر سكر الخطيئة، فإنَّ للخطيئة سكراً كسكر الشراب، بل هي أشدُّ سكراً منه، يقول الله تعالىٰ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٨]»(١).

خامساً: إنَّ بعض أو أغلب الذنوب المعجَّلة عقوبتها هي من قبيل الذنوب الاجتماعية، كعقوق الوالدين وقطع صلة الرحم والبغي علىٰ الناس، فتعجيلها فيه تطييب الخواطر وتطمين للقلوب المنكسرة، فإنَّ الله تعالىٰ ﴿يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحجّ: ٣٨] وهو «عند المنكسرة قلوبهم»(٢).

سادساً: هذا فضلاً عن أنَّ تعجيل العقوبة يُعتَبر أحد مكفِّرات الذنوب ومسقطات عقوباتها، وربَّما يكون هذا خاصّاً بالمؤمنين الذين

---

(١) مكارم الأخلاق: ٤٥٣.

(٢) الدعوات: ١٢٠/ ح ٢٨٢.

يرأف الله تعالىٰ بهم فيُعجِّل عقوبتهم حتَّىٰ يصل إلىٰ الآخرة فارغاً من الذنوب فيدخل الجنَّة إن شاء الله تعالىٰ.

وهذا ما تشير إليه بعض الروايات، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد الله عزَّ وجلَّ بعبد خيراً عجَّل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتَّىٰ يوافي بها يوم القيامة»[1].

ويقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنَّ المؤمن إذا قارف الذنوب وابتلي بها ابتلي بالفقر، فإن كان في ذلك كفّارة لذنوبه وإلَّا ابتلي بالمرض، فإن كان ذلك كفَّارة لذنوبه وإلَّا ابتلي بالخوف من السلطان يطلبه، فإن كان في ذلك كفّارة لذنوبه وإلَّا ضيَّق عليه عند خروج نفسه، حتَّىٰ يلقاه وما له من ذنب يدَّعيه عليه، فيأمر به إلىٰ الجنَّة»[2].

ويقول الإمام عليّ عليه السلام: «ما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه فيموت حتَّىٰ يبتلي ببلية تُمحِّص بها ذنوبه، إمَّا في مال، وإمَّا في ولد، وإمَّا في نفسه، حتَّىٰ يلقىٰ الله عزَّ وجلَّ وما له ذنب، وإنَّه ليبقىٰ عليه الشيء من ذنوبه فيُشدَّد به عليه عند موته»[3].

ويقول رسول الله صلّى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله عزَّ وجلَّ: «يا محمّد، إنّي حظرت الفردوس علىٰ جميع النبيّين حتَّىٰ تدخلها أنت وعليّ وشيعتكما، إلَّا من اقترف منهم كبيرة، فإنّي أبلوه في ماله أو بخوف من سلطانه حتَّىٰ تلقاه الملائكة بالروح والريحان وأنا عليه غير غضبان، فيكون ذلك حلَّاً لما كان منه»[4].

---

(١) الكافي ٢: ٤٤٥/ باب تعجيل عقوبة الذنب/ ح ٥.

(٢) مشكاة الأنوار: ١٧٥/ ح ٤٥٢.

(٣) الخصال: ٦٣٦/ حديث أربعمائة.

(٤) التمحيص للإسكافي: ٤٠/ ح ٤٠، عنه بحار الأنوار ٤٧: ٣٨١ و٣٨٢/ ح ١٠٢.

ويقـول الإمـام الرضـا عليه السلام في قولـه تعـالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ﴾ منكم ﴿عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩]: «إنَّ من اعتقد الحقَّ ثمّ أذنب ولم يتب في الدنيا عُذِّب عليه في البرزخ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يُسئَل عنه»[(١)].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتَّىٰ يلقىٰ الله تبارك وتعالىٰ وما عليه من خطيئة»[(٢)].

ما هي الذنوب التي تعجل عقوبتها؟

لخَّصت لنا الروايات الشريفة تلك الذنوب بالتالي:

١ - عقوق الوالدين.

٢ - البغي علىٰ الناس، وظلمهم، خصوصاً الفقراء، ومن لا يجد ناصراً إلَّا الله تعالىٰ.

٣ - كفر الإحسان.

٤ - قطع صلة الرحم.

٥ - المجاهرة بالمعاصي.

٦ - اليمين الكاذبة.

٧ - التقصير في حقِّ النعمة.

٨ - الغدر بمن يعاهد علىٰ الوفاء.

والأحاديث الواردة في ذلك عديدة، هذه بعضها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاثة من الذنوب تُعجَّل عقوبتها ولا

---

(١) تفسير مجمع البيان للطبرسي ٩: ٣٤٣ و٣٤٤.

(٢) سنن البيهقي ٣: ٣٧٤.

تُـؤخَّر إلىٰ الآخـرة: عقـوق الوالـدين، والبغـي علىٰ النـاس، وكفـر الإحسان»[١].

وقـال الإمـام البـاقر عليه السلام: «أربعـة أسرع شيء عقوبـةً: رجـل أحسنت إليه ويكافيك بالإحسان إليه إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته علىٰ أمر فمن أمرك الوفاء له ومن أمره الغدر بك، ورجل يصل قرابته ويقطعونه»[٢].

وعنه عليه السلام: «في كتاب عليٍّ عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهنَّ أبداً حتَّىٰ يرىٰ وبالهنَّ: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة»[٣].

وقـال الإمـام علـيّ عليه السلام - لـمَّا سُـئِلَ: أيُّ ذنـب أعجـل عقوبـةً لصاحبه؟ -: «من ظلم من لا ناصر له إلَّا الله، وجاور النعمة بالتقصير، واستطال بالبغي علىٰ الفقير»[٤].

وعنه عليه السلام: «مجاهرة الله بالمعاصي تُعجِّل النقم»[٥].

السبب العاشر: قلَّة الحياء:

«لَعَلَّكَ بِقِلَّةِ حَيائِي مِنْكَ جازَيْتَنِي»:

في حياته الاجتماعية، يحتاج الإنسان إلىٰ التقدير الذاتي من نفسه ومن غيره، حتَّىٰ قيل: (إنَّ كلَّ إنسان يقول بلسان حاله: يا ناس احترموني).

ولكي يكتسب الإنسان التقدير، عليه أن يلتزم أُموراً متعارفة تُعتَبر من القوانين الاجتماعية التي لا تقبل المسامحة.

---

(١) أمالي المفيد: ٢٣٧/ ح ١.

(٢) الخصال: ٢٣٠/ ح ٧١.

(٣) الكافي ٢: ٣٤٧/ باب قطيعة الرحم/ ح ٤.

(٤) الاختصاص: ٢٣٤.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨.

ومـن تلـك الأُمـور هـي الابتعـاد عـن معـاقرة الأفعـال الشـائنة التـي تخالف العفـاف، أو تخـالف **الحيـاء الاجتماعـي**، لـذلك تجـد الـبعض يُحِـبُّ أن يلبس ملابـس معيَّنـة، ربَّـما رديئـة، وربَّـما قصـيرة زيـادةً عـن المعتـاد، ولكنَّـه يمتنع عنها بسـبب أنَّ المجتمـع لا يقبـل ذلـك في محيطـه، حتَّـىٰ لـو كـان عنـد ذلك الفـرد اسـتعداد نفسـي لفعـل ذلـك، ولكنَّـه يمتنـع عـن ذلـك بسـبب قانون وحدود المجتمع، أي إنَّ المجتمع يهيمن علىٰ أفراده.

ولكـن رغـم ذلـك تجـد الـبعض فاقـداً للحيـاء، فيقـوم بكسـر طـوق المجتمـع ويتجـاسر عـلىٰ هيمنتـه، فيخـرج رافعـاً شـعار: (خـالف تُعـرَف)، فيخـرج لابسـاً مـا لا يرضـاه المجتمـع، وقُـلْ مثـل ذلـك في الرضـا بملابـس الأولاد والزوجة، وقُلْ مثله في قضيَّة الألفاظ، وغيرها.

في الحديث عـن رسـول الله ﷺ: «لم يبـقَ مـن أمثـال الأنبيـاء إلَّا قـول الناس: إذا لم تسحي فاصنع ما شئت»[١].

والعلاقة مع الله تعالىٰ أيضـاً تخضـع لهـذا القـانون، قـانون الحيـاء، فمـن يتــذكَّر ويستحضــر المراقبــة الإلهيَّــة لا يمكنــه أن يتجــرَّأ عــلىٰ مخالفتــه ومعصيته، لأنَّ حياءه منه تعـالىٰ يمنعـه، ومـن هنـا يمكـن القـول: إنَّ مصـدر ذنب العارف بالمراقبـة الإلهيَّـة هـو عـدم الحيـاء، بمعنـىٰ أنَّ الإنسـان إذا كـان حييـاً مــن الله تعــالىٰ، وكــان عارفــاً بالمراقبــة الإلهيَّــة، فإنَّــه لــن يعصــيَ الله تعالىٰ، ولكنَّه إذا كان عارفـاً ومـع ذلـك عصـاه، فهـذا معنـاه أنَّـه لا يسـتحيي من الله تعالىٰ، وإلَّا فلو كان حيياً لما جاهر الله تعالىٰ بالمعصية.

وهذا الكـلام لـيس تنظـيراً نظريـاً فقـط، بـل هـو أمـر عمـلي وابتلائـي

(١) أمالي الصدوق: ٦٠٠/ ح (٨٣٠/ ١).

يـومي، الإمـام السـجّاد عليه السلام في دعـاء أبي حمـزة الـثمالي يقـول: «فَلَـوِ اطَّلَـعَ اليَوْمَ عَلىٰ ذَنْبِي غَيْرُكَ ما فَعَلْتُهُ، وَلَوْ خِفْتُ تَعْجِيلَ العُقُوبَةِ لاجْتَنَبْتُهُ»[1].

فالإنسـان عـادةً يسـتحيي مـن الإنسـان الآخـر، فـلا يجـاهر بالمعصـية أمامـه، خصوصـاً إذا كانـت تلـك المعصـية ممَّـا يُقلِّـل مـن شـأن الإنسـان ويهتـك حرمتـه، ولكـن الـبعض رغـم اطِّـلاع الله تعـالىٰ عليـه فإنَّـه يجـاهره بالمعصية!

يقـول تعـالىٰ: ﴿يَسْـتَخْفُونَ مِـنَ النَّـاسِ وَلا يَسْـتَخْفُونَ مِـنَ اللهِ وَهُـوَ مَعَهُـمْ إِذْ يُبَيِّتُـونَ مـا لا يَـرْضى مِـنَ الْقَـوْلِ وَكانَ اللهُ بِمـا يَعْمَلُـونَ مُحِيطاً ﴿١٠٨﴾﴾ (النساء: ١٠٨).

إنَّ قلَّة الحياء من الله تعالىٰ وبالتالي انعدامه، تُجرِّئ الإنسان عـلىٰ المعصـية، وبالتالي تُؤثِّر علىٰ القلب سلباً، فينتكس ويدبر عن الحقِّ جلَّ وعلا.

ولـذا يُحـذِّرنا الإمـام الصـادق عليه السلام مـن معـاقرة الـذنوب لأسـباب عديـدة، أهمّهـا أنَّ الله تعـالىٰ حيـث إنَّـه مطَّلـع علينـا، فلـربَّما أخـذنا بـذنوبنا، يقول عليه السلام: «إذا هممـت بسـيِّئة فـلا تعملهـا، فإنَّـه ربَّـما اطَّلـع الله عـلىٰ العبـد وهـو عـلىٰ شيء مـن المعصـية فيقـول: وعـزَّتي وجـلالي لا أغفـر لـك بعـدها أبداً»[2].

الحياء والإيمان:

مـن هنـا، تجـد الروايـات الشـريفة تُؤكِّـد عـلىٰ أنَّ مـن أهـمّ مـا يجعـل الإنسان مطيعاً لله تعالىٰ ولا يعصيه أبداً هو أن يكون حيياً من الله تعالىٰ.

---

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٢١٧.

(٢) الكافي ٢: ١٤٣/ باب تعجيل فعل الخير/ ح ٧.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الحياءُ يصدُّ عن القبيح»[١]، و«على قدر الحياء تكون العفَّة»[٢].

بل ربط الإمام الباقر عليه السلام بين الحياء والإيمان ربطاً وثيقاً ببيان رائع يقول فيه: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»[٣].

بل قال النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «الحياء هو الدين كلّه»[٤].

ولذا فإنَّه «لا حياء لمن لا دين له» كما قال الإمام الحسن عليه السلام[٥]، كما أنَّه «لا إيمان لمن لا حياء له» كما قال الإمام الصادق عليه السلام[٦].

مفردات من قلَّة الحياء مع الله تعالى:

أوَّلاً: الابتهاج بالذنب رغم الاطِّلاع الإلهي، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إيّاك والابتهاج بالذنب، فإنَّ الابتهاج به أعظم من ركوبه»[٧].

ثانياً: عدم الحياء من الله تعالىٰ في الخلوة، رغم الحياء من الناس، فإنَّ فاعل ذلك جبان بكلِّ تأكيد، لأنَّه لا يستطيع أن يواجه المجتمع بذنبه، ولكنَّه في الوقت ذاته لا حياء له، لأنَّ الله تعالىٰ رغم اطِّلاعه عليه ومسامحته له فإنَّه يعصيه ويستغلّ رحمته جلَّ وعلا.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٢٨.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٣٢٧.

(٣) الكافي ٢: ١٠٦/ باب الحياء/ ح ٤.

(٤) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٥٩٥/ ح ٣٨٦٢.

(٥) بحار الأنوار ٧٥: ١١١/ ح ٦، عن كشف الغمَّة للإربلي ٢: ١٩٤.

(٦) الكافي ٢: ١٠٦/ باب الحياء/ ح ٥.

(٧) نزهة الناظر للحلواني: ٩٢/ ح ١٧.

يقـول أمـير المـؤمنين عليه السلام: «اتَّقُـوا مَعَـاصِيَ الله فِي الْخَلَـوَاتِ، فَـإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ»(١).

ويقـول الإمـام البـاقر عليه السلام: «مـن ارتكـب الـذنب في الخـلاء لم يعبـأ الله به»(٢).

مـن هنـا قـال الإمـام زيـن العابـدين عليه السلام: «خـف الله جـلَّ ذكـره لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك»(٣).

وقـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «اسـتحي مـن الله اسـتحياءك مـن صـالحي جيرانك، فإنَّ فيها زيادة اليقين»(٤).

ثالثاً: استعمال نِعَـم الله تعـالىٰ في معصـيته، وهـذا مـن أشـدّ أنـواع عـدم الحياء! فالله تعالىٰ جهَّـزك بكـلِّ الآلات التـي تخـدمك وتُقـدِّم لـك مـا تريـد، ولكن مع الأسف البعض يستعمل تلك الآلات في المعاصي.

يـداك ورجـلاك، فمـك ولسـانك، بطنـك وفرجـك، عقلـك وذكاؤك، أموالـك وجاهـك، سـلطتك وسـطوتك، وكـلُّ وجـودك هـو هبـة مجّانية من الله تعالىٰ، فيا قلَّـة حيـاء مـن لا يحسـن اسـتعمال هـذه الآلات في مـا يرضاه الله تعالىٰ.

إنَّ حـقَّ تلـك الآلات - لـولا الرحمـة الإلهيَّـة - هـو أن يُحاسـبنا الله تعـالىٰ عليهـا، أي عـلىٰ مجـرَّد تزويـدنا بهـا، فضـلاً عـن كيفيـة اسـتخدامها، ولكـن وكـما يقـول مولانـا الإمـام السـجّاد عليه السلام: «... ثُـمَّ لَمْ تَسُـمْه

(١) نهج البلاغة: ٥٣٢/ ح ٣٢٤.

(٢) الخرائج والجرائح للراوندي ٢: ٥٩٤/ ح ٥.

(٣) نزهة الناظر: ٨٩/ ح ٢.

(٤) بحار الأنوار ٧٥: ٢٠٠/ ح ٢٨، عن مصباح الشريعة: ١٦٣.

الْقِصَاصَ فِيمَا أَكَلَ مِنْ رِزْقِكَ الَّذِي يَقْوَىٰ بِه عَلَىٰ طَاعَتِكَ، ولَمْ تَحْمِلْه عَلَىٰ الْمُنَاقَشَاتِ فِي الآلَاتِ الَّتِي تَسَبَّبَ بِاسْتِعْمَالِهَا إِلَىٰ مَغْفِرَتِكَ، وَلَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِه لَذَهَبَ بِجَمِيعِ مَا كَدَحَ لَه وَلَصَارَتْ جُمْلَةِ مَا سَعَىٰ فِيه جَزَاءً لِلصُّغْرَىٰ مِنْ مِنَنِكَ ، وَلَبَقِيَ رَهِيناً بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَائِرِ نِعَمِكَ، فَمَتَى كَانَ يَسْتَحِقُّ شَيْئاً مِنْ ثَوَابِكَ؟...»[١].

كيف تكون حيياً من الله تعالى؟

إنَّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام لم تنسَ هذا الجانب، بل أشبعته بالبحث وأغنتنا عن تجشّمه، وهم بذلك رسموا لنا الطريق السالكة نحو الحياء الممدوح من الله تعالىٰ، والروايات أكَّدت علىٰ عدَّة نقاط تُمثِّل الطريق نحو الحياء، وهي:

أوَّلاً: تذكّر المراقبة الإلهيَّة:

كما تقدَّمت الأحاديث في ذلك، ونُكرِّرها هنا، وهي:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «خف الله جلَّ ذكره لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك»[٢].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «استحي من الله استحياءك من صالحي جيرانك، فإنَّ فيها زيادة اليقين»[٤].

---

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٢٨، من دعائه عليه السلام في الشكر.

(٢) نزهة الناظر: ٨٩/ ح ٢.

(٣) تحف العقول: ٣٩٤.

(٤) بحار الأنوار ٧٥: ٢٠٠/ ح ٢٨، عن مصباح الشريعة: ١٦٣.

ثانياً: تذكّر مراقبة الملكين:

قال رسول الله ﷺ: «ليستحي أحدكم من ملكيه اللذين معه، كما يستحي من رجلين صالحين من صالح جيرانه، وهما معه بالليل والنهار»(١).

ثالثاً: تذكّر الموت وأنَّه قادم لا محالة:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام مذكِّراً لنا بحتمية الموت: «أنَّك طريد الموت الذي لا ينجو [منه] هاربه، ولا بدَّ أنَّه يُدرِكك يوماً، فكن منه علىٰ حذر أن يُدرِكك علىٰ حالِ سيِّئة قد كنت تُحدِّث نفسك فيها بالتوبة، فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهلكت نفسك. أي بنيَّ، أكثر ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتُفضي بعد الموت إليه، واجعله أمامك حتَّىٰ يأتيك وقد أخذت منه حذرك، ولا يأخذك علىٰ غرَّتك»(٢).

رابعاً: الزهد في الدنيا:

وذلك يتمُّ من خلال عدَّة طرق، من أهمّها تذكّر نعيم الآخرة وما فيها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وأكثر ذكر الآخرة وما فيها من النعيم والعذاب الأليم، فإنَّ ذلك يُزهِّدك في الدنيا ويُصغِّرها عندك»(٣).

خامساً: الإدارة الإيمانية لأدوات الرأس:

وهي اللسان والعينان والأُذُنان، وآثار كلّ واحدة - الإيجابية والسلبية - أوضح من الشمس، وأبين من الأمس.

سادساً: اللقمة الحلال:

فإنَّ لها أثراً بالغاً في حياة الإنسان مطلقاً، فينبغي علىٰ المؤمن

---

(١) شعب الإيمان ٦: ١٤٦/ ح ٧٧٣٩.

(٢) تحف العقول: ٧٦.

(٣) المصدر السابق.

الوقوف علىٰ مطالع الحلال فقط والابتعاد عن كلِّ ما فيه حرام، بل وشبهة. وهذا يحكي عن حياء من الله تعالىٰ أن يبرز له بصلاته ببطن حاوية للحرام.

وقد جمع هذه المعاني الأربعة الأخيرة قول رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حقَّ الحياء»، فقيل: يا رسول الله، ومن يستحيي من الله حقَّ الحياء؟ فقال: «من استحيىٰ من الله حقَّ الحياء فليكتب أجله بين عينيه، وليزهد في الدنيا وزينتها، ويحفظ الرأس وما حوىٰ، والبطن وما وعىٰ، ولا ينسىٰ المقابر والبلىٰ»[(١)].

وقول الإمام الكاظم عليه السلام: «رحم الله من استحيىٰ من الله حقَّ الحياء، فحفظ الرأس وما حوىٰ، والبطن وما وعىٰ، وذكر الموت والبلىٰ، وعلم أنَّ الجنَّة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات»[(٢)].

هل الحياء دائماً ممدوح؟

واضح بأدنىٰ اطِّلاع أنَّ كثيراً من الأحكام الشرعية المحظورة تباح عند ضرورة ما، أو عند هدف أهمّ، وهو ما يُعبَّر عنه بالأحكام الأوَّلية والثانوية، فالرياء مبطل للعمل، ولكنَّه إذا قُصِدَ به التعليم صحَّ واستُحِبَّ، بل لم يكن آنذاك رياءً. وأكل الميتة حرام، ولكن إذا توقَّف عليه إنقاذ النفس جاز. ومن هذا الباب الحياء، فهو مطلوب في العلاقة مع الله تعالىٰ، ومع الناس إذا اعتُبِرَ من حسن الخلق، ولكن في الوقت ذاته تجد موارد يكون الحياء مع الناس فيها مذموماً، والموارد عديدة، نذكر منها:

---

(١) بحار الأنوار ٦٧: ٣١٧/ ح ٢٤، عن كتاب الزهد للحسين بن سعيد الكوفي: ٤٥ و٤٦/ ح ١٢٢.

(٢) تحف العقول: ٣٩٠.

أوَّلاً: خدمة الضيف:

ربَّما يكون البعض ذا منصب وجاه، فهو مخدوم علىٰ الدوام، ولكن مهما كان جاهه، فإنَّه ينبغي له أن يخدم ضيفه، وخدمته لضيفه لا تُنزِّل من قيمته، بل علىٰ العكس ترفع من شأنه، لأنَّ خدمته لضيفه تحكي عن حبِّه له، وعن تواضعه لغيره، والتواضع من صفات العظماء.

عن ابن أبي يعفور، قال: رأيت عند أبي عبد الله عليه السلام ضيفاً، فقام يوماً في بعض الحوائج، فنهاه عن ذلك، وقام بنفسه إلىٰ تلك الحاجة، وقال عليه السلام: «نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله عن أن يُستَخدم الضيف»[١].

إنَّ في خدمة الضيف (تعبيراً عن المودَّة والاعتزاز والتواضع والبساطة، وفي ذلك ثواب كريم، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيّما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلَّا أعطاه الله مثل عددهم خدّاماً في الجنَّة»[٢]، وقد يأنف البعض أن يقوم بنفسه في خدمة ضيفه، فيرىٰ من الشرف أن يُكلِّف خادمه بذلك، بينما يقول الإمام الصادق (سلام الله عليه): «أربع لا ينبغي لشريف أن يأنف منها: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه لدابَّته ولو أنَّ له مائة عبد، وخدمته لمن يتعلَّم منه»[٣])[٤].

ثانياً: احترام الأب والمعلِّم:

ولا شكَّ في ذلك، وهل يمكن لأحد أن ينكر ضرورة احترامهما، وهما اللذان يكونان سبباً في وجودك (الأب) وحياتك (المعلِّم).

---

(١) الكافي ٦: ٢٨٣/ باب كراهية استخدام الضيف/ ح ١.

(٢) الكافي ٢: ٢٠٧/ باب في خدمته/ ح ١.

(٣) راجع: شرح إحقاق الحقِّ للمرعشي ١٩: ٥٣٢، عن الأنوار القدسية للشعراني: ٣٦ - ٣٨/ ط السعادة بمصر.

(٤) أدب الضيافة لجعفر البياتي: ١٤٨ و١٤٩.

واحـترامهما أوَّل وأهـمّ حقـوقهما، وتلـك الحقـوق كثـيرة، سـطرها الإمـام السجّاد عليه السلام باختصار في رسالته في الحقوق:

«... وحـقُّ سائسـك بـالعلم التعظـيم لـه، والتـوقير لمجلسـه، وحسـن الاسـتماع إليـه، والإقبـال عليـه، وأن لا ترفـع عليـه صـوتك، وأن لا تجيـب أحداً يسـأله عـن شيء حتَّـىٰ يكـون هـو الـذي يجيـب، ولا تُحـدِّث في مجلسـه أحـداً، ولا تغتـاب عنـده أحـداً، وأن تـدفع عنـه إذا ذُكِـرَ عنـدك بسـوء، وأن تستر عيوبه وتُظهِـر مناقبـه، ولا تجـالس لـه عـدوّاً ولا تعـادي لـه وليّـاً، فـإذا فعلـت ذلـك شـهد لـك ملائكـة الله بأنَّـك قصـدته وتعلَّمـت علمـه لله جـلَّ اسمه لا للنـاس...، وأمَّـا حـقُّ أبيـك فـأن تعلـم أنَّـه أصـلك، وأنَّـه لـولاه لم تكـن، فمهـما رأيـت في نفسـك ممَّـا يُعجبـك فـاعلم أنَّ أبـاك أصـل النعمـة عليك فيه، فاحمد الله واشكره علىٰ قدر ذلك. ولا قوَّة إلَّا بالله...»[1].

ثالثاً: المطالبة بالحقِّ:

فهـي علامـة صـدق الإيـمان، سـواء كـان الحـقُّ شخصـياً أو عامّـاً، فــ «أفضل الجهاد كلمة حـقٍّ عنـد سـلطان جـائر»[2]، ومـن اسـتحيىٰ مـن طلـب حقِّه عاش الحرمان والخيبـة، فعـن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «أتقـىٰ النـاس مـن قـال الحقَّ فيما له وعليه»[3].

وعــن الإمــام الصــادق عليه السلام: «إنَّ عــلىٰ المــؤمن ســبعة حقــوق، فأوجبهـا أن يقـول الرجـل حقّـاً وإن كـان عـلىٰ نفسـه أو عـلىٰ والديـه، فـلا يميل لهم عن الحقِّ»[4].

---

(١) الخصال:٥٦٧ و٥٦٨.

(٢) عوالي اللئالي ١: ٤٣٢/ ح ١٣١؛ مستدرك الحاكم ٤: ٥٠٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٩٥/ ح ٥٨٤٠.

(٤) تفسير القمّي ١: ١٥٦.

وعن رسول الله ﷺ: «ألَا لا يمنعنَّ رجلاً مهابة الناس أن يقول بالحقِّ إذا علمه...، ألَا وإنَّ أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر»[١].

رابعاً: التعلّم:

فلا حياء في طلب العلم، ولا إرث للحياء فيه إلَّا الجهل، وهذا ما لا ينكره أحد، فعليك أن تطلب العلم كما طلبه كميل بن زياد في قصَّة دعاء الخضر المعروفة[٢].

عليك أن تطلبه كما طلبه علماؤنا، إنَّهم تركوا الأوطان وجاعوا وتغرَّبوا وتركوا الأموال في سبيل أن يحصلوا علىٰ العلم.

واعلم أنَّنا لا نستطيع أن نفعل ما فعلوا، ولكن هناك قدراً مهمّاً من العلم لا يجوز لأحد أن يستغني عنه أو أن يجهله أو يتجاهله، كبعض المسائل الفقهية الداخلة في الابتلاء اليومي، كالطهارات والصلاة والصوم والخمس والتجارات ومسائل التواصل الاجتماعي وما أشبهها، فلا بدَّ علىٰ المرء أن يطلبها من دون حياء، إلَّا فسيقول الله تبارك وتعالىٰ له يوم القيامة: لِـمَ لم تتعلم؟!

خامساً: الاعتراف بالجهل:

لم يُكتَب للإنسان في هذه الحياة أن يكون عالماً بجميع ما في الكون وما في الوجود، بل إنَّ جهات الجهل التي تحيط به هي أكثر بكثير من جهات العلم، بل لا قياس بين الأمرين! ومعه، فلا يمكن للإنسان - ما عدا المعصوم طبعاً - أن يكون عالماً بكلِّ شيء، وبالتالي لا يمكنه أن

---

(١) مستدرك الحاكم ٤: ٥٠٦.

(٢) راجع: إقبال الأعمال ٣: ٣٣١.

يجيب عن كلِّ ما يُسئَل، وعليه أن يعترف بجهله من دون حياء، فليس العيب في أن يعترف أحد بجهله، إنَّما العيب أن يدَّعي مقاماً ليس هو من أهله، كمن يدَّعي العلم وهو أقرب للجهل منه إلىٰ العلم، ولذا وردت التعليمات التربوية الدينية بشأن ذلك، وأنَّ علىٰ الإنسان أن لا يستحي من أن يقول: (لا أعلم) للشيء الذي لا يعلمه.

وقد أخذت الأحاديث علىٰ عاتقها بيان هذه المفردات، نذكر بعضها:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من رقَّ وجهه رقَّ علمه»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحياء حياءان: حياء عقل، وحياء حمق. فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل»[٢].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «من استحيىٰ من قول الحقِّ فهو أحمق»[٣].

وقال عليه السلام: «لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَه»[٤].

الجانب الثاني: إدبار القلوب مع البشر:

إنَّ قلوب البشر تخضع لقانون التبدّل والتغيير، فليست هي علىٰ حالة واحدة دائمة، وإنَّما هي تتقلَّب، ولذلك سُمّي القلب قلباً! ولتغيّرها أسباب، فلإقبالها أسباب، ولإدبارها أسباب أيضاً، وقد تقدَّم في الفصل الثاني أسباب إقبالها، والآن الكلام عن أسباب إدبارها مع البشر.

---

(١) الكافي ٢: ١٠٦/ باب الحياء/ ح ٣.

(٢) الكافي ٢: ١٠٦/ باب الحياء/ ح ٦.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٠.

(٤) نهج البلاغة: ٤٨٢/ ح ٨٢.

خلق الله تعالىٰ بني آدم بصورة واحدة متشابهة، فالإنسان نظير الإنسان في الخلق، وهذا يعني أن من شأن هذا أن يتآلف الناس فيما بينهم، تآلف كلِّ شبيه وشبيه.

فلماذا نجد الناس يتباغضون ويتنافرون؟

ولماذا لا نجد قلوبهم متآلفة دائماً؟

ولماذا تُدبِر القلوب بعضها عن البعض الآخر؟

هناك أسباب عديدة تجعل القلوب تُدبِر بعضها مع البعض الآخر، وعلىٰ من يريد أن يجعل القلوب مدبِرة عنه أن يلتزم تلك الأسباب!

وأمَّا من يريد أن يجذب القلوب إليه، وأن يقلب إدبارها إقبالاً، فعليه أن يبتعد عنها، وأن يهرب منها هروبه من الأسد أو من مرض جذام!

أسباب إدبار قلوب البشر وتنافرها:

لقد ذكرت الأدبيات الدينية كثيراً من هذه الأسباب، وهي أسباب موضوعية جاء الدين ليُرشِدنا إليها، ويُعرِّفنا بها، وهي عديدة، نذكر منها:

السبب الأوَّل: خبث السريرة:

صحيح أنَّ الإنسان يتعامل مع الظاهر، وصحيح أنَّ معرفته بالباطن محدودة جدّاً، ولكن في خصوص المودّات فإنَّ القلوب لها القابلية[1] علىٰ اكتشاف الصادق منها من الكاذب، وقد تقدَّم في الفصل

---

(١) القابلية وليست الفعلية.

الأوَّل أنَّ أهمّ الأُمور التي تكشف عن صدق المودَّة هي شهادة القلب، فإنَّه شاهد لا يقبل الرشوة. وبالتالي، فإنَّ سوء السريرة وخبثها يُرسِل رسالة لا مرئية متوجِّهة نحو القلب تُخبِره بكذب المودَّة، وفي لا شعور الإنسان تحدث ظاهرة معاكسة لتلك الرسالة ينشأ عنها سوء الظنِّ من الطرف الآخر، وبالتالي ستتنافر القلوب من حيث لا تعلم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَىٰ دِينِ الله، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ، وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ، وَلَا تَوَادُّونَ»[1].

ما أعظمك يا أمير المؤمنين، تُعطي المرض وتُعطي أعراضه وتُعطي نتيجة الإصابة به، **فالمرض** هو سوء السريرة والضمائر، **وأعراضه** لمن يريد أن يكتشفها هي:

أ - عدم التآزر، بل الأفراد المرضىٰ بذلك المرض متفكِّكون وغير متعاونين، فإذا رأيت أفراداً كذلك فاعلم أنَّهم قد أُصيبوا بذلك المرض أو أوشكوا.

ب - عدم التناصح، فحتَّىٰ لو رأىٰ أخاه علىٰ أمر قبيح، فإنَّه يغضُّ الطرف عنه، كأنَّه ينتظر منه الوقوع في الحفرة ليشمت به!

ج - عدم التباذل، فتجد أحد أُولئك المرضىٰ ميسور الحال، ويرىٰ أخاه في حالة الصيهود المالي، ولكنَّه لا يُحرِّك ساكناً ولا يُغيِّر من موقف!

ونتيجة ذلك المرض هو عدم التوادِّ والمحبَّة، فالأفراد إذا لم يتواصلوا ولم يتباذلوا ولم يتآزروا ولم يتناصحوا، فإنَّ النتيجة الطبيعية لهذه الصفات هي فقدان المودَّة وانعدام المحبَّة فيما بينهم!

---

(١) نهج البلاغة: ١٦٨/ الخطبة ١١٣.

السبب الثاني: سوء الخُلُق:

لسنا في صدد بيان الآثار السيِّئة المترتِّبة علىٰ سوء الخُلُق، بل في صدد بيان أثره في انعدام المودَّة فقط، وهذا ما أكَّدته الروايات الشريفة، ولكن ينبغي الالتفات - وهذه قاعدة عامَّة - أنَّ الروايات الشريفة عندما تذكر آثاراً تترتَّب علىٰ أمر ما، فإنَّها لا تتعامل بالمثاليات والخياليات! كلَّا، إنَّما هي تتكلَّم عن واقع يعيشه الأفراد، ولكنَّهم ربَّما يغفلون عن ترتّب تلك الآثار علىٰ ذاك الأمر، فتأتي الروايات الشريفة لتُرشِد الناس إلىٰ تلك الآثار.

وفي سوء الخُلُق، تذكر الروايات الشريفة آثاراً عجيبة عليه، كلّها تؤدّي إلىٰ فقدان المودَّة، وبالتالي إدبار القلوب وتنافرها.

فاقرأ هذه الروايات بتمعّن، واربطها بالواقع الذي تعيشه مع أفراد أخلاقهم سيِّئة، لترىٰ بعينك انعدام المودَّة.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «من ساء خُلُقه ملَّه أهله»[1].

وقال عليه السلام: «من ساء خُلُقه أعوزه الصديق والرفيق»[2].

وقال عليه السلام: «من ساء خُلُقه ضاق رزقه»[3].

ففرد يعيش ضيق الرزق، ولا صديق يؤازره، ولا أهله يُحِبُّونه، هل ترىٰ أسوأ منه في نفرة القلوب عنه! وهذا ما عبَّرت عنه الروايات الشريفة بأنَّ صاحب الخُلُق السيِّئ سيكون معذِّباً لنفسه.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من ساء خُلُقه عذَّب نفسه»[4].

---

(١) تحف العقول: ٢١٤.

(٢) ميزان الحكمة ١: ٨٠٧.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٣١.

(٤) الكافي ٢: ٣٢١/ باب سوء الخُلُق/ ح ٤.

السبب الثالث: تتبّع العيوب:

علىٰ الإنسان أن يُسلِّم أمراً واقعياً لا محيص عنه، وهو: أنَّ العصمة ليست قاعدة عامَّة في البشر، وإنَّما العصمة لأهلها، وأهلها معروفون، وغيرهم معرَّضون للخطأ، ألف سبب وسبب يوقعهم في الخطأ، وهذا يعني أنَّ علينا أن نتقبَّل الأخطاء من أنفسنا ومن غيرنا. نعم، تقبّلنا لها لا يعني الرضا بها، بل يعني العمل علىٰ تصحيحها، ولكن الواقع هو أنَّ الإنسان معرَّض للخطأ، وبالتالي لا يمكنك أن تجد صديقاً خالٍ من الأخطاء، أي إنَّه لا بدَّ أن تتقبَّل حقيقة أنَّ أصدقاءك لديهم عيوب عديدة[1]. وأمام هذه العيوب يقف الإنسان موقف المسؤولية، لو لم يتحمَّل هذه المسؤولية لتنافرت القلوب عنه، ولأدبرت عن محبَّته، إذ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من تتبَّع خفيّات العيوب حُرِمَ مودّات القلوب»[2].

ومسؤوليته تتضمَّن:

أوَّلاً: عدم تتبّع عيوب الآخرين، فإنَّ تتبّعها من أخلاق المنافقين، وفي ذلك روي عن إسحاق بن عمّار أنَّه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلىٰ قلبه، لا تذمّوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنَّه من تتبَّع عوراتهم تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله تعالىٰ عورته يفضحه ولو في بيته»[3].

---

(١) يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من لم يؤاخ إلَّا من لا عيب فيه قلَّ صديقه. (نزهة الناظر: ١١٥/ ح ٥٤).

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٦.

(٣) الكافي ٢: ٣٥٤/ باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم/ ح ٢.

وعـن زرارة، عـن أبي جعفـر عليه السلام، قـال: «إنَّ أقـرب مـا يكـون العبـد إلىٰ الكفـر أن يـواخي الرجـلُ الرجـلَ عـلىٰ الـدين فيُحصـي عليـه عثراتـه وزلّاته ليُعنِّفه بها يوماً ما...»(١).

والأفضل أن يتابع المرء عيوب نفسه ويشتغل بها، ففي ذلك صلاح نفسه وغيره. وهذا ما أكَّده أمير المؤمنين عليه السلام في كثير من أحاديثه، فمثلاً يقول عليه السلام: «أفضل الناس من شغلته معايبه عن عيوب الناس...، كفىٰ بالمرء شغلاً بمعايبه عن معايب الناس...، كفىٰ بالمرء غباوة أن ينظر من عيوب الناس إلىٰ مـا خفـىٰ عليه من عيوبه...، لينهك عن معايب الناس ما تعرف من معايبـك...، ليكـف من علم منكم من عيب غيره لما يعرف من عيب نفسه...، من أبصـر عيب نفسه لم يعب أحداً...، من أنكر عيوب الناس ورضيها لنفسـه فـذلك الأحمـق...، لا تتبعنَّ عيوب الناس فإنَّ لك مـن عيوبـك (ان عقلـت) مـا يُشـغِلك أن تعيـب الناس»(٢).

ثانياً: التغافل عن عيوب الآخرين لو انكشفت، فـإنَّ ذلـك مـن أخـلاق المؤمنين، فقد ورد في وصايا الإمام زين العابدين عليه السلام: «اعلم يا بنيَّ، أنَّ صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعايش ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثـه تغافل، لأنَّ الإنسان لا يتغافل إلَّا عن شيء قد عرفه ففطن له»(٣).

ويقول الإمـام البـاقر عليه السلام: «صـلاح شـأن النـاس التعـايش والتعـاشر ملء مكيال: ثلثاه فطن، وثلث تغافل»(٤).

---

(١) الكافي ٢: ٣٥٥/ باب من طلب عثرات المؤمنين وعوراتهم/ ح ٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ١٤: ٢٠٢ و٢٠٣/ ح (٢٢٧٣/ ٦).

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ٢٣١/ ح ٧.

(٤) الدرَّة الباهرة للشهيد الأوَّل: ٥/ ح ٢، عنه بحار الأنوار ٧١: ١٦٧/ ح ٣٤.

وستر العيوب مطلوب من الله تعالىٰ، لأنَّه تعالىٰ لا يُحِبُّ أن تشيع الفاحشة في المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (النور: ١٩).

ثالثاً: وحينئذٍ ستنكشف لنا بعض الحكمة في مبغوضية بعض التصرّفات الاجتماعية، كالغيبة والنميمة وظنِّ السوء والتجسّس والدخول بين اثنين لم يدخلاه في أمرهما وغيرها.

السبب الرابع: الكبر:

للنفس أفعال وانفعالات، ويترتَّب علىٰ كلٍّ منها آثار معيَّنة، وهي - أي الأفعال والانفعالات - تتأثَّر بدرجة إيمانها وصفائها، فمن كانت نفسه مؤمنة صافية، فإنَّها تفعل ما يصلح دنياها وآخرتها، وتنفع المجتمع، وتنفع الدين، وتنفع الكون كلّه، فتنتفع هي بذلك أيضاً. وأمَّا من كانت نفسه مريضة فما يصدر عنها من أفعال ستكون مريضة عليلة، وانفعالاتها ستكون كذلك.

ومن ضمن أفعال النفس المريضة: التكبّر علىٰ الآخرين، والنظر إليهم بعين الاحتقار، ورؤية المرء نفسه أعظم من غيره، فإنَّ هذا الخُلُق يحكي عن نفس مريضة، وعن إنسان نزع إنسانيته ليقترب من أقلّ البهائم، إنَّه نسي أنَّ كلَّ البشر يرجعون لآدم، وآدم خُلِقَ من تراب، نسي أنَّه عندما يضع يده علىٰ كلِّ فرد فرد، فإنَّه يجده إمَّا أخاً له في الدين، أو نظيراً له في الخَلْق[1]، فما من سبب يدعو أحداً إلىٰ التكبّر علىٰ غيره.

---

(١) أُنظر: نهج البلاغة: ٤٢٧/ ح ٥٣.

عن زرارة، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قالا: «لا يدخل الجنَّة من في قلبه مثقال ذرَّة من كبر»(١).

فلاحظ دقَّة الحديث، إنَّه يجعل الكبر صفة للقلب والنفس، فهو من أفعالها، والكبر له وزن، والنفس كلَّما ابتعدت عن الإيمان كلَّما زاد وزن الكبر فيها، والعكس بالعكس، فالعلاقة بين الإيمان والكبر عكسية.

وهذه الصفة هي من موجبات قطع المودَّة وإدبار قلوب البشر عن المتكبِّر، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس لمتكبِّر صديق»(٢)، «ومن استطال علىٰ الأخوان لم يخلص له إنسان»(٣).

ولو لم يكن في الكبر إلَّا هذا الأثر لكان حريّاً بالحرِّ أن يتواضع ويبتعد عن الكبر.

فكيف إذا كان للكبر عدَّة آثار سيِّئة، خصوصاً في الآخرة؟!

عن ابن بُكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ في جهنم لوادياً للمتكبِّرين يُقال له: سقر، شكا إلىٰ الله عزَّ وجلَّ شدَّة حرِّه وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفَّس فأحرق جهنَّم»(٤).

وعن داود بن فرقد، عن أخيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ المتكبِّرين يُجعَلون في صور الذرِّ، يتوطَّؤهم الناس حتَّىٰ يفرغ الله من الحساب»(٥).

---

(١) الكافي ٢: ٣١٠/ باب الكبر/ ح ٦.
(٢) محاسبة النفس للكفعمي: ٧٧.
(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٥.
(٤) الكافي ٢: ٣١٠/ باب الكبر/ ح ١٠.
(٥) الكافي ٢: ٣١١/ باب الكبر/ ح ١١.

ولكن، ما هي حقيقة الكبر؟

صحيح أنَّ الكبر والتكبّر صفة نفسانية، ولكن هذه الصفة لا تُعرَف إلَّا من خلال آثار لها في الخارج، وقد يشتبه البعض فيرمي بعض الناس بأنَّه متكبِّر والحال أنَّه ليس متكبِّراً، كمن يرىٰ شخصاً حسن الهيأة والهندام، بعيداً عن الوساخة والأقذار، مترفِّعاً عن الدنايا، فيعتبره متكبِّراً، والحقيقة ليست كذلك، إذ قد ذكرت الروايات الشريفة معنىٰ التكبّر والكبر، وخلاصة معناه هو:

١ - إنَّ الكبر هو الجحود والكفر بالله تعالىٰ.

٢ - إنَّ الكبر هو الجهل بالحقِّ والطعن علىٰ أهله.

فعن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام، قال: «لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال حبَّة من خردل من الكبر»، قال: فاسترجعت، فقال: «ما لك تسترجع؟»، قلت: لما سمعت منك، فقال: «ليس حيث تذهب، إنَّما أعني الجحود، إنَّما هو الجحود»[1].

وعن عبد الأعلىٰ بن أعين، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ أعظم الكبر غمص الخَلْق وسَفَه الحقِّ»، قال: قلت: وما غمص الخَلْق وسَفَه الحقِّ؟ قال: «يجهل الحقَّ ويطعن علىٰ أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عزَّ وجلَّ رداءه»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر، من مات وفي قلبه مثقال ذرَّة من كبر لم يجد رائحة الجنَّة إلَّا أن يتوب قبل ذلك»، فقال رجل: يا رسول الله، إنّي ليعجبني الجمال حتَّىٰ وددت أنَّ علاقة سوطي وقبال نعلي

(١) الكافي ٢: ٣١٠/ باب الكبر/ ح ٧.

(٢) الكافي ٢: ٣١٠/ باب الكبر/ ح ٩.

حسن، فهل ترهب عليَّ ذلك؟ قال: «كيف تجد قلبك؟»، قال: أجده عارفاً للحقِّ مطمئنّاً إليه، قال: «ليس ذلك بالكبر، ولكن الكبر أن تترك الحقَّ وتتجاوزه إلىٰ غيره، وتنظر إلىٰ الناس فلا ترىٰ أحداً عرضه كعرضك ولا دمه كدمك...»(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن طلحة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يدخل الجنَّة عبد في قلبه مثقال ذرَّة من خردل من كبر، ولا يدخل النار عبد في قلبه مثقال حبَّة من خردل من إيمان»، قلت: جُعلت فداك، إنَّ الرجل ليلبس الثوب ويركب الدابَّة، فيكاد يعرف من نفسه الكبر؟ قال: «ليس ذلك بكبر، إنَّما الكبر إنكار الحقِّ، والإيمان إقرار بالحقِّ»(٢).

وعن محمّد بن عمر بن يزيد، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنَّني آكل الطعام الطيِّب، وأشمُّ الريح الطيِّبة، وأركب الدابَّة الفارهة، ويتبعني الغلام، فترىٰ في هذا شيئاً من التجبّر فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبد الله عليه السلام ثمّ قال: «إنَّما الجبّار الملعون من غمص الناس وجهل الحقَّ»(٣).

السبب الخامس: الاستهزاء:

هناك فرق بين الاستهزاء، وبين الطرفة والنكتة الطريفة والتضاحك في الحدود المتعارفة، ممَّا كان يفعله رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله، فالإنسان يحتاج إلىٰ الترفيه عن نفسه بشيء من الطرفة الزكية الخالية من

(١) أمالي الطوسي: ٥٣٨/ ح (١١٦٢/ ١).
(٢) ثواب الأعمال: ٢٢١ و٢٢٢.
(٣) الكافي ٢: ٣١١/ باب الكبر/ ح ١٣.

الفحش والكذب والسباب، ليطيب خاطره، فالابتسامة مهمَّة جدّاً للحياة، وقد تقدَّم الكلام عنها.

ولكن الاستهزاء يرجع في حقيقته إلىٰ إذلال الآخر، ومحاولة إخراجه بصورة ناقصة أو مربكة أو التحايل عليه، ومن يكن كذلك فلييئس من المودَّة الصادقة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا يطمعنَّ... المستهزئ بالناس في صدق المودَّة»[1].

إنَّ الاستهزاء من العوامل التي تُهدِّد كيان المجتمع، عندما يرىٰ البعض أنَّ غيرهم لا يتماشون مع طريقتهم وقناعاتهم، أو يرون غيرهم يضايقونهم في المال أو المنصب أو غيرها من شؤون الحياة الأُخرىٰ، فلكي يُحطِّموهم ويمنعوهم من منافستهم، فإنَّهم يعمدون إلىٰ إسقاطهم وتحطيم نفسياتهم بالاستهزاء بهم.

(علىٰ أيِّ حالٍ، فإنَّ كلَّ عضو من أعضاء المجتمع له موقعه، ويجب الانتفاع منه في توفير المصالح والمنافع الإسلاميَّة، وتحقيره يُسبِّب عدم إنجاز عمله النافع للمجتمع بصورة صحيحة، ولا يستفاد منه الفائدة المتوخّاة، وواضح أنَّ هذا الأمر يضرُّ بالمجتمع إضافةً إلىٰ احتمال ترك آثار سيِّئة في نفوس الأفراد، وإثارة روح الانتقام والردّ المقابل في الطرف الآخر...، يترتَّب علىٰ تحقير وتسقيط شخصية الآخرين - إضافةً إلىٰ التبعات الأخلاقية - خسائر وأضرار اجتماعية كبيرة أيضاً، ويُهدِّد وجود المجتمع وكيانه، وأقلّ أضرار ذلك هو ظهور العداء وتعكير الصفاء، وزوال التعاطف بين أعضاء المجتمع، ممَّا يؤدّي إلىٰ عدم المواساة والتعاون والتعايش في المجتمع...)[2].

---

(١) الخصال: ٤٣٤/ ح ٢٠.

(٢) أُنظر: الأخلاق في القرآن الكريم للمصباح اليزدي ٣: ٢١٧ - ٢٢٤.

وعلىٰ كلِّ حالٍ، فإنَّ الاستهزاء ذنب عظيم، يكفي أنَّه من الذنوب التي تُنزِل النقم، كما ورد هذا عن الإمام السجّاد عليه السلام حيث قال: «... والذنوب التي تُنزِل النقم: عصيان العارف بالبغي، والتطاول علىٰ الناس، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم...»(١).

قال تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْأَيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ (الحجرات: ١١).

وقال تعالىٰ في صفة المنافقين: ﴿وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ ﴿١٤﴾﴾ (البقرة: ١٤).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا بن مسعود، إنَّهم ليعيبون علىٰ من يقتدي بسُنَّتي وفرائض الله، قال الله تعالىٰ: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١٠ و١١١]»(٢).

وروي عنه صلى الله عليه وآله: «إنَّ المستهزئين بالناس يُفتَح لأحدهم باب الجنة، فيقال له: هلمَّ هلمَّ، فيجيء بكربه وغمِّه، فإذا جاء أُغلق دونه، فما يزال كذلك حتَّىٰ إنَّ أحدهم يُفتَح له الباب من أبواب الجنَّة، فيقال له: هلمَّ، فما يأتيه من الأياس»(٣).

---

(١) معاني الأخبار: ٢٧٠ و٢٧١/ باب معنىٰ تفسير الذنوب/ ح ٢.

(٢) مكارم الأخلاق: ٤٥٣.

(٣) شعب الإيمان ٥: ٣١٠ و٣١١/ ح ٦٧٥٧.

وقال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا ...﴾ [البقرة: ١٤]: «إنَّهم كهّانهم قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي علىٰ دينكم، ﴿إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ ﴿١٤﴾﴾ أي نستهزئ بأصحاب محمّد صلى الله عليه وآله، ونسخر بهم في قولنا: ﴿آمَنَّا﴾»[1].

الاستهزاء بالنفس:

هناك بعض من الأفراد الذين لا قيمة لأنفسهم عندهم يعملون علىٰ الاستهزاء ليس بالناس فقط، بل إنَّهم يستهزؤون بأنفسهم!

أمَّا كيف يكون ذلك؟

فهذا ما بيَّنه الإمام الرضا عليه السلام، حيث قال: «سبعة أشياء بغير سبعة أشياء من الاستهزاء: من استغفر بلسانه ولم يندم بقلبه فقد استهزأ بنفسه، ومن سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه، ومن استحزم ولم يحذر فقد استهزأ بنفسه، ومن سأل الله الجنَّة ولم يصبر علىٰ الشدائد فقد استهزأ بنفسه، ومن تعوَّذ بالله من النار ولم يترك شهوات الدنيا فقد استهزأ بنفسه، ومن ذكر الله ولم يستبق إلىٰ لقائه فقد استهزأ بنفسه»[2].

وكذلك ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم علىٰ الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ»[3].

السبب السادس: الذنوب:

لا شكَّ أنَّ للذنوب آثاراً متعدِّدة وكثيرة، بعضها مع الله تعالىٰ،

---

(١) تفسير مجمع البيان ١: ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار ٧٥: ٣٥٦/ ح ١١، عن كنز الفوائد: ١٥٢ و١٥٣.

(٣) الكافي ٢: ٤٣٥/ باب التوبة/ ح ١٠.

وبعضها مع البشر، أي إنَّ للذنوب مردودات سلبية تارةً علىٰ علاقة العبد بربِّه ﷻ، وأُخرىٰ علىٰ علاقته مع بقيَّة أبناء نوعه. **هذا أوَّلاً**.

وثانياً: إنَّ آثار الذنوب السلبية بين بني البشر لا تكون فقط بين المذنبين والمؤمنين، بل تتعدّىٰ ذلك لتُسبِّب آثاراً سلبية حتَّىٰ بين المذنبين أنفسهم، فكم رأينا من أصحاب المعاصي من كانوا خلّاناً، ولكنَّهم أصبحوا أعداءً!

وفي المقام، نجد الروايات الشريفة تُؤكِّد علىٰ أنَّ الذنوب هي أهمّ ما يجعل القلوب تتنافر وتتباعد! روي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «والذي نفس محمّد بيده ما توادَّ اثنان ففُرِّق بينهما إلَّا بذنب يُحدِثه أحدهما»[1].

وأظنُّ أنَّ هذا الأثر واضح الترتّب علىٰ الذنوب، فإنَّ العلاقة والمودَّة تنشأ من القلب، فإذا كان الذنب يُفسِد القلب فسد ما فيه أيضاً من المودَّة.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبد إلَّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب تلك السواد، وإن تمادىٰ في الذنوب زاد ذلك السواد حتَّىٰ يُغطّي البياض، فإذا غطّىٰ البياض لم يرجع صاحبه إلىٰ خير أبداً، وهو قول الله ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾ [المطفِّفين: ١٤]»[2].

هذا بالإضافة إلىٰ أنَّ المودَّة هي نعمة من نِعَم الله تعالىٰ علىٰ العبد، فإذا كانت الذنوب تُذهِب بالنعم، فإنَّها تُذهِب بالمودَّة أيضاً!

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٦٨.

(٢) الكافي ٢: ٢٧٣/ باب الذنوب/ ح ٢٠.

يقـول الإمـام الصـادق عليه السلام: «مـا أنعـم الله عـلىٰ عبـد نعمـة فسـلبها إيّاه حتَّىٰ يذنب ذنباً يستحقُّ بذلك السلب»[١].

السبب السابع: كثرة التقريع:

كـلُّ شيء في الوجـود لـه حـدود مـن جهـة البدايـة والنهايـة، تجاوزهـا يُـؤثِّر سـلباً شـاء المـرء أو أبـىٰ. والحكمـة تكـون في المحافظـة عـلىٰ الحـدود المعقولة لكلِّ شيء.

والنصـيحة حـقٌّ مـن حقـوق المـؤمن عـلىٰ المـؤمن، بـل مـن حقـوق الصديق علىٰ الصديق، ولها حدود معيَّنة يجب أن لا تتعدّاها.

إنَّ مـن الواجبـات عـلىٰ المـؤمن أن يُفعِّـل دوره الرقـابي في الحيـاة، أي أن يراقب زوجته وولده وجاره وصـديقه وزميلـه ومعارفـه وكـلَّ مـن يمـتُّ إليه بصلة، بـل وكـلَّ مسـلم، بـل وكـلَّ إنسـان، ويجـب عليـه أن ينصـح كـلَّ إنسان حسب الموقف، وحسب الظرف الموضوعي المناسب.

ولـذلك اعتُـبِرَت النصـيحة واحـدة مـن أهـمّ أسـباب اجـترار المـودَّة، يقـول أمـير المـؤمنين عليه السلام: «النصـيحة تثمـر الـودّ»[٢]، و«النصـح يثمـر المحبَّة»[٣].

ولكن هـذا لا يعنـي أن تنهـال النصـائح مـن دون آداب! فـرُبَّ ناصـح أخطأ في نصحه ووصل إلىٰ عكس ما يريده من نتيجة كان يتوخّاها!

ومن أهمّ حدود النصيحة أن لا تصل إلىٰ حدِّ التقريع!

وحتَّىٰ لا تصل إلىٰ حدِّ التقريع عليك باتِّباع التعليمات التالية:

---

(١) الكافي ٢: ٢٧٤/ باب الذنوب/ ح ٢٤.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٣٢.

(٣) المصدر السابق.

١ - عليك أن تجعل نصحك لوجه الله تعالىٰ، حتَّىٰ تؤتي الشجرة أُكُلها! يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه»[١].

٢ - عليك بالسرّية في النصح قدر الإمكان، فإنَّه أحفظ لماء وجه الآخر، وأدوم للمحبَّة، وأنقع في النتيجة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «نصحك بين الملأ تقريع»[٢].

٣ - عليك بالنصح المستمرّ، لكن بشرط أن لا يتحوَّل إلىٰ تقريع لاذع، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كثرة التقريع توغر القلوب وتوحش الأصحاب»[٣].

٤ - لا يجوز لك أن تتحوَّل إلىٰ رقيب سرّي علىٰ كلِّ أعمال من تعرفهم، خصوصاً من هم معك في البيت، وخصوصاً الزوجة، فإنَّ النقد المستمرّ وخصوصاً اللاذع منه يؤدّي إلىٰ عواقب وخيمة.

(إنَّ من الخطأ أن يُنصِّب الزوج من نفسه رجل مخابرات في بيته، فيبدأ بالتفتيش عن مواقع الأخطاء، ولا بدَّ أن يعتبر نفسه ملاحظ حسنات، ومشجِّعاً للمرأة التي تدير البيت)[٤].

٥ - ربَّما أخطأ ولدك، فعليك بنصحه وتصحيح أخطائه، لكنَّه ليس معصوماً أوَّلاً، وليس عنده مثل خبرتك وتجربتك للحياة ثانياً، وليس بعقلك ودرايتك ثالثاً، فعليك بقبول تبرير خطئه وإن كان عذراً من دون ملح (كما يقولون)، ولا تحمله علىٰ المكابرة بكثرة تقريعك له.

---

(١) الكافي ٢: ١٦٤/ باب الاهتمام بأُمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم/ ح ٣.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٧.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٣٩٠.

(٤) سلسلة فنِّ التعامل مع الناس للسيِّد هادي المدرّسي ٦: ٥٧/ فنُّ الصداقة مع العائلة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام - في الحكم المنسوبة إليه -: «إذا عاتبت الحدث فاترك له موضعاً من ذنبه، لئلَّا يحمله الإخراج علىٰ المكابرة»(١).

وهكذا مع كلِّ الناس، فيما لو سمح الوضع بذلك التسامح، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تأمن عدوّك ولا تُقرِّع إلىٰ صديقك، واقبل العذر وإن كان كذباً، ودَعْ الجواب عن قدرة وإن كان لك»(٢).

٦ - لا تستعمل أُسلوب الصراحة في نصحك دائماً، فلرُبَّ عاقل يكتفي منك بالإشارة، بل ربَّما تكون الإشارة أوقع في نفسه وأكثر تأثيراً فيها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا لوَّحت للعاقل فقد أوجعته عتاباً»(٣).

٧ - لا تُكثِر من النصح والعتاب علىٰ الأخطاء، بل وازن ذلك بوزن العقل والموقف. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تكثر العتاب فإنَّه يورث الضغينة ويجرُّ إلىٰ البغضة، واستعتب من رجوت إعتابه»(٤).

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «كثرة النصح تدعو إلىٰ التهمة»(٥).

* * *

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٣٣٣/ ح ٨١٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٥٢٩.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١٣٦.

(٤) تحف العقول: ٨٥.

(٥) بحار الأنوار ٧٢: ٦٦/ ح ٧، عن الدرَّة الباهرة: ٢٦/ ح (٥٤/ ٥).

ختامه مسك:

«إِنَّ هَـذِه الْقُلُـوبَ أَوْعِيَـةٌ، فَخَيْرُهَـا أَوْعَاهَـا»[1]، وأحاديـث أهـل بيـت العصمة أرقىٰ ما ملأ تلك الأوعية، وزادها نوراً وبصيرةً..

لقـد كـان الـذي كـان منّـا جولـة سريعـة في آيـات الكتـاب الكـريم وأحاديـث أهـل بيـت العصـمة، ولـو تأمَّلناهـا لوجـدناها منهاجـاً متكـاملاً للحياة، حتَّىٰ نـنجح بهـا علىٰ المستوىٰ الفـردي والجماعـي، لنفـوز بحـبِّ الله تعـالىٰ أوَّلاً، ثـمّ حـبّ النـاس ثانيـاً، لنُحِـبَّ أنفسـنا أخـيراً..، ولنتجنَّـب مـا يجعل قلوبنا مـدبرة عـن الحـقِّ وعـن الخلـق، ليعـيش المـرء سـعادة وطمأنينـة في الحياة المملوءة بألف سبب وسبب للقلق والملل والضجر.

نسـأل الله تعـالىٰ أن ينفعنـا والمـؤمنين بآيـات كتابـه المبـين وأحاديـث المعصومين من محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

---

(١) نهج البلاغة: ٤٩٥/ ح ١٤٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
الاحتجاج: الطبرسي/ ت محمّد باقر الخرسان/ دار النعمان/ ١٣٨٦هـ.
الاختصاص: الشيخ المفيد/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.
اختيار معرفة الرجال: الشيخ الطوسي/ ١٤٠٤هـ/ مؤسَّسة آل البيت/ مط بعثت/ قم.
الأخلاق في القرآن الكريم: المصباح اليزدي/ ط ٢/ ١٤٣١هـ/ دار التعارف.
الأخلاق في القرآن: ناصر مكارم الشيرازي/ ط ٢/ ١٤٢٦هـ/ مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام/ مط أمير المؤمنين عليه السلام/ قم.
أدب الضيافة: جعفر البياتي/ ط ١/ ١٤١٨هـ/ مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين/ قم.
الأربعون: الشهيد الأوَّل/ ١٤٠٧هـ/ مط أمير/ مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم.
إرشاد القلوب: الحسن بن محمّد الديلمي/ ط ٢/ ١٤١٥هـ/ مط أمير/ انتشارات الشريف الرضي/ قم.
الاستذكار: ابن عبد البرِّ/ ط ١/ ٢٠٠٠م/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
الاستيعاب: ابن عبد البرِّ/ ت البجاوي/ ط ١/ ١٤١٢هـ/ دار الجيل/ بيروت.
أُسد الغابة: ابن الأثير/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

الإصابة: ابن حجر/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
أعلام الدين: الحسن بن محمّد الديلمي/ مؤسَّسة آل البيت/ قم.
إقبال الأعمال: ابن طاووس/ ت جواد القيّومي/ ط ١/ ١٤١٤هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي.
الأمالي: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ ط ١/ ١٤١٧هـ/ مؤسَّسة البعثة.
الأمالي: الشيخ المفيد/ ت الأُستادولي، عليّ أكبر الغفاري/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.
الأمالي: السيِّد المرتضىٰ/ ت النعسّاني الحلبي/ ط ١/ ١٣٢٥هـ/ مكتبة المرعشي/ قم.
الأمالي: الشيخ الطوسي/ ت مؤسَّسة البعثة/ ط ١/ ١٤١٤هـ/ دار الثقافة/ قم.
الأنوار القدسية: الشعراني/ ط السعادة/ مصر.
بحار الأنوار: العلَّامة المجلسي/ ط ٢ المصحَّحة/ ١٤٠٣هـ/ مؤسَّسة الوفاء/ بيروت.
بصائر الدرجات: محمّد بن الحسن الصفّار/ ت كوجه باغي/ ١٤٠٤هـ/ مط الأحمدي/ منشورات الأعلمي/ طهران.
تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر/ ت عليّ شيري/ ١٤١٥هـ/ دار الفكر/ بيروت.
تحف العقول: ابن شعبة الحرّاني/ ت عليّ أكبر الغفاري/ ط ٢/ ١٤٠٤هـ/ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم.
تربية الطفل في الإسلام: محمّد الريشهري/ ط ٢/ ١٤٢٨/ دار الحديث للطباعة والنشر.

تعليقة علىٰ العروة الوثقىٰ: السيِّد عليّ السيستاني.

تفسير الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي.

تفسير القمّي: عليّ بن إبراهيم القمّي/ ت طيِّب الجزائري/ ط ٣/ ١٤٠٤هـ/ مؤسَّسة دار الكتاب/ قم.

تفسير مجمع البيان: الطبرسي/ ت لجنة من العلماء/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت.

التمحيص: محمّد بن همّام الإسكافي/ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم.

تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام): ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري/ ط ٢/ ١٣٦٨ش/ مط حيدري/ دار الكتب الإسلاميَّة/ طهران.

تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي/ ت حسن الخرسان/ ط ٣/ ١٣٦٤ش/ مط خورشيد/ دار الكتب الإسلاميَّة/ طهران.

تهذيب الكمال: المزي/ ت بشّار عوّاد معروف/ ط ٤/ ١٤٠٦هـ/ مؤسَّسة الرسالة/ بيروت.

ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق/ ت محمّد مهدي الخرسان/ ط ٢/ ١٣٦٨ش/ مط أمير/ منشورات الشريف الرضي/ قم.

جامع أحاديث الشيعة: البروجردي/ ط ١٣٩٩هـ/ مط العلمية/ قم.

الجامع الصغير: السيوطي/ ط١/ ١٤٠١هـ/ دار الفكر/ بيروت.

الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي/ ط ١ كاملة محقَّقة/ ١٤٠٩هـ/ مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم.

الخصال: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر الغفاري/ ١٤٠٣هـ/ جماعة المدرِّسين/ قم.

الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون): محمّد خليفة التونسي/ ط ٤/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

الدرَّة الباهرة: الشهيد الأوَّل/ ط ١/ ١٣٧٩ش/ انتشارات زائر.
دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي/ ت آصف فيضي/ ١٣٨٣هـ/ دار المعارف/ القاهرة.
الدعوات: قطب الدين الراوندي/ ط ١/ ١٤٠٧هـ/ مط أمير/ مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم.
ديوان قيس بن الملوح: قيس بن الملوح/ ط ١/ ١٩٩٩م/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
الذنوب الكبيرة: الشهيد دستغيب/ ط ١/ ١٤٢١هـ/ دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع.
روضة الواعظين: الفتال النيسابوري/ ت محمّد مهدي الخرسان/ منشورات الشريف الرضي/ قم.
رياض السالكين: المدني الشيرازي/ ط ٤/ ١٤١٥هـ/ مؤسَّسة النشر الإسلامي.
زهر الآداب: القيرواني/ ط ٤/ ١٩٧٢م/ دار الجيل/ بيروت.
سلسلة فنِّ التعامل مع الناس: السيِّد هادي المدرّسي/ ط ٧/ ١٤٣٠هـ/ دار الأمير للطباعة والنشر/ بيروت.
سنن ابن ماجة: ابن ماجة القزويني/ ت محمّد فؤاد عبد الباقي/ دار الفكر/ بيروت.
سنن أبي داود: ابن الأشعث السجستاني/ ت محمّد اللحّام/ ط ١/ ١٤١٠هـ/ دار الفكر/ بيروت.
السنن الكبرىٰ: البيهقي/ دار الفكر/ بيروت.
سير أعلام النبلاء: الذهبي/ ت حسين الأسد/ ط ٩/ ١٤١٣هـ.

شرح إحقاق الحقّ: السيِّد المرعشي/ ت شهاب الدين المرعشي/ مكتبة المرعشي/ قم.

شرح أُصول الكافي: المازندراني/ ت الشعراني/ ط ١/ ١٤٢١هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ ت محمّد أبو الفضل إبراهيم/ ط ١/ ١٣٧٨هـ/ دار إحياء الكتب العربية/ بيروت.

شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي/ ط ١/ ١٤٢٣هـ/ مكتبة الرشد.

صحيح ابن حبّان: ابن حبّان/ ت الأرنؤوط/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ مؤسَّسة الرسالة.

صحيح مسلم: مسلم النيسابوري/ دار الفكر/ بيروت.

الصحيفة السجّادية: أبطحي/ ت محمّد باقر الأبطحي/ ط ١/ ١٤١١هـ/ مط نمونة/ مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، مؤسَّسة الأنصاريان/ قم.

عدَّة الداعي: ابن فهد الحلّي/ ت أحمد الموحِّدي القمّي/ مكتبة وجداني/ قم.

علل الشرائع: الشيخ الصدوق/ ت محمّد صادق بحر العلوم/ ١٣٨٥هـ/ منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها/ النجف الأشرف.

عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي/ ت مجتبىٰ العراقي/ ط ١/ ١٤٠٣هـ/ مط سيِّد الشهداء/ قم.

عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق/ ت حسين الأعلمي/ ١٤٠٤هـ/ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت.

عيون الحِكَم والمواعظ: عليّ الليثي الواسطي/ ت حسين البيرجندي/ ط ١/ دار الحديث.

الفتاوىٰ الميسَّرة: السيِّد عليّ السيستاني.

فلاح السائل: ابن طاووس.
في رحاب الله: السيِّد حسين نجيب محمّد/ ط ١/ ١٤٢٩هـ/ دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
قرب الإسناد: الحميري القمّي/ ط ١/ ١٤١٣هـ/ مط مهر/ مؤسَّسة آل البيت/ قم.
قضاء حقوق المؤمنين: الصوري/ ت حامد الخفّاف/ مؤسَّسة آل البيت/ قم.
قوَّة التحكّم بالذات: إبراهيم الفقي/ طباعة ايدا صادق/ ٢٠٠٠م/ منار للنشر والتوزيع/ دمشق.
الكافي: الشيخ الكليني/ ت عليّ أكبر الغفاري/ ط ٥/ ١٣٦٣ش/ مط حيدري/ دار الكتب الإسلاميَّة/ طهران.
كتاب الزهد: حسين بن سعيد الكوفي/ ١٣٩٩هـ/ مط العلمية/ قم.
كتاب المؤمن: الحسين بن سعيد الكوفي/ ط ١/ ١٤٠٤هـ/ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم.
كشف الخفاء: العجلوني/ ط ٣/ ١٤٠٨هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
كشف الغمَّة: ابن أبي الفتح الإربلي/ ط ٢/ ١٤٠٥هـ/ دار الأضواء/ بيروت.
كفاية الأثر: الخزّاز القمّي/ ت عبد اللطيف الكوهكمري الخوئي/ ١٤٠١هـ/ مط الخيّام/ انتشارات بيدار.
كنز العمّال: المتَّقي الهندي/ ت بكري حياني/ ١٤٠٩هـ/ مؤسَّسة الرسالة/ بيروت.
كنز الفوائد:أبو الفتح الكراجكي/ ط ٢/ ١٣٦٩ش/ مط غدير/ مكتبة المصطفوي/ قم.
مثير الأحزان: ابن نما الحلّي/ ١٣٦٩هـ/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف.

مجمع الزوائد: الهيثمي/ ١٤٠٨هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
محاسبة النفس:الكفعمي/ ت فارس حسّون/ ط ١/ ١٤١٣هـ/ مـط نمونـة/ مؤسَّسة قائم آل محمّد/ قم.
المحاسن: البرقي/ ت جلال الدين الحسيني المحدِّث/ ١٣٧٠هـ/ دار الكتب الإسلاميَّة/ طهران.
مستدرك الوسائل: الميرزا النوري/ ط ١ المحقَّقة/ ١٤٠٨هـ/ مؤسَّسة آل البيت/ بيروت.
مستدرك سفينة البحار:عليّ النمازي/ ت حسن بن عليّ النمازي/ ١٤١٨هـ/ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم.
المستدرك: الحاكم النيسابوري/ إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
مستطرفات السرائر: ابن إدريس الحلّي/ ط ٢/ ١٤١١هـ/ مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين/ قم.
مسند أحمد: أحمد بن حنبل/ دار الصادر/ بيروت.
مشكاة الأنوار: عليّ الطبرسي/ ت مهدي هوشمند/ ط ١/ ١٤١٨هـ/ دار الحديث.
مصباح الشريعة: المنسوب للإمام الصادق عليه السلام/ ط ١/ ١٤٠٠هـ/ مؤسَّسة الأعلمي/ بيروت.
مصباح المتهجِّد: الشيخ الطوسي/ ط ١/ ١٤١١هـ/ مؤسَّسة فقه الشيعة/ بيروت.
معاني الأخبار: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر الغفاري/ ١٣٧٩هـ/ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم.
المعجم الأوسط: الطبراني/ ١٤١٥هـ/ دار الحرمين.

المعجم الكبير: الطبراني/ ت حمدي عبد المجيد السلفي/ ط ٢ مزيَّدة ومنقَّحة/ دار إحياء التراث العربي.

مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي/ ط ٦/ ١٣٩٢هـ/ منشورات الشريف الرضي/ قم.

الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف:ابن طاووس/ ط١/ ١٤١٧هـ/ مط مهر/ أنوار الهدىٰ/ قم.

من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر الغفاري/ ط ٢/ مؤسَّسة النشر الإسلامي/ قم.

مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب/ ت لجنة من أساتذة النجف/ ١٣٧٦هـ/ المكتبة الحيدرية/ النجف.

منية المريد: الشهيد الثاني/ ت رضا المختاري/ ط ١/ ١٤٠٩هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي.

ميزان الحكمة: محمّد الريشهري/ ط ١/ دار الحديث.

نزهة الناظر: الحلواني/ ت مدرسة الإمام المهدي عليه السلام/ ط ١/ ١٤٠٨هـ/ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام/ قم.

النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير/ ت طاهر أحمد الزاوي، محمود محمّد الطناحي/ ط ٤/ ١٣٦٤ش/ مؤسَّسة إسماعيليان/ قم.

نهج البلاغة: الشريف الرضي/ ضبط نصَّه الدكتور صبحي صالح/ ط ١/ ١٣٨٧هـ/ بيروت.

وسائل الشيعة: الحرّ العاملي/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ مط مهر/ مؤسَّسة آل البيت/ قم.

* * *

فهرست الموضوعات

* * *